

يَتِيْمَةُ الزَّهْرِ فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النِّيسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ
الدُّكْتُورُ مُضَيَّرُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الثَّانِي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
سبزوشت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمتَ قلبي فكن أنت الدواء له ولا تدعُه بأيدي الشوق مخترماً^(١)
عيناى أورثناه سقمه نظرا رضيت دمعى من عيناى منتقما
وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ضعفت نواظرها من الخفر^(٢)
وحديثه أشهى لسامعه من نغمة الشّادي على الوتر
ورضابه أشهى على كبدي من ريّ عذبٍ باردٍ خَصير^(٣)
وكانَ قلبي حين يفقده ما بين ذي نابٍ وذى ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس في عيناى مبتسماً وأعذب الخلق عندي منطقاً وفما
حلّت بقلبي من عينيك نازلةً من الهوى صيرتني في الورى علما

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اختر. منه المنية مثلاً ، والمقصود أنّه هالك .

(٢) الخفر : الحياء .

(٣) الخصر : البارد .

لم تبقَ جارحةٌ منِّي ألقبها
فأرحمُ مقامَ محبٍّ ما شكَا وبكى
إلا بعثت عليها بالهوى سقما
تبرماً بالذي يلقي ولا ندماً^(١)

وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عينك شاكٍ شكَا الحبَّ إلى شاكِي
يَقْصُرُ من ذكركَ ليلي على أنِّي فيه ساهرٌ باكي
ولي فؤادٌ يستجير من الشـشـوق إلى برد ثناياك
سيدتي لو كنت أبصرت ما يصنع بي حبك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنار لي وجهه ليلاً فخلت به
ومرَّ يمشي دقيق الخصر يجذبه
بدراً تماماً على الآفاق يطلع
ردفٌ ، فقلت : أدركوه قبل ينقطع^(٢)

وقوله [من الوافر] :

أجلَّك أن تحلَّ بك الأمانِي
وأكره أن يمثلك التمني
ولو أني استطعت لفرط شجوي
وما أشكو إليك بغير دمعي
فكيف بأن أراك وأن تراني
حذاراً أن ييوح به لساني
عليك لما رآك الحافظان
بيانُ الدمع أعربُ من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط
حملت قلبي أن يسلو تذكُّره
وحب من شفني بالروح مختلط
فقال : إن الذي حملتني شطط^(٣)

(١) التبرم : الملل والضجر .

(٢) وصل الهمز من « أدركوه » ليستقيم له الوزن .

والردف : العجز .

(٣) الشطط : البعد والجفاء .

تسومني الصبر عن روحي وتمنعني
وقوله [من الوافر] :

ترى العشاق لاقوا ما ألقى
خصصت من الهوى بامرئ شيء
أنا العبد الذي لا عتق يرجو
وقوله [من الطويل] :

وما سرّني أن الهوى غير صاحبي
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً
نسيم الهوى أذكي وإن جار واعتدى
وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى
إذا كان قلب المرء لا يآلم النوى
وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الشفتين عذب الريق آلمى^(١)
مخضراً شاربه علا درأ يريك الدرّ نظماً
لو زارني طيفاً له عند الهجوع ولو ألماناً
لأعاد روحاً أو لفرّ ج من هموم النفس هماً

* * *

(١) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الأباق : الهرب .

(٣) العبشميين : كلمة منحوتة من « عبد شمس » .

(٤) الأحوى : شديد بياض العيان وسوادها ، واللّمس : سواد مستحسن في الشفة ، واللّمي : سمرة في الشفة .

٢ - أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

بَكَرْتُ عَلَيَّ عَوَازِلِي تَلْحِينِي
إِيهَاءً عَلَيْكَ فَقَدْ كَبُرَتْ عَنِ الصَّبَا
أَتَى وَكَيْفَ وَقَدْ رَأَيْنَ تَغْيِيرِي
وَعَلَى مَفَارِقَةِ الشَّبَابِ شَمْتَنَ بِي
أَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا تَهَبَّ الْجَوَى
وَفَتَّنَنِي بِلَوَاحِظٍ تَشْكُو الضَّنَى
يُذَكِّينَ فِي قَلْبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي
وَمِنْهَا أَيْضاً :

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ ، إِنَّ أَيَّامَ الْغَنَى
بَنَوَالِهَا وَسَجَالِهَا وَثَمَالِهَا
وَقَوْلُهُ [من الكامل] :

وَصَحَائِحُ مَرْضَى الْعَيُونِ شَحَائِحُ
أَضْنَيْتَنِي بِلَوَاحِظٍ تَشْكُو الضَّنَى
بَجَوَى حَوْتِهِ مَهْجَتِي عَنْ مَقْلَتِي

(١) بكرت : أسرعت . وتلحيني : تلومني .

(٢) إيهاء : أمر بالسكوت .

(٣) الجوى : العشق والحرقه .

(٤) أصليتي : أي أسعرت النار بين الجوانح .

وله في العذار [من الكامل] :

يا ذا الذي خط الجمال بخده
ما صح عندي أن لحظك صارم
خطين هاجا لوعةً وبلا بلا
حتى لبستَ بعارضيك حمائلًا^(١)

وفي مثله [من الكامل] :

ومعذرٍ نقش الجمال بمسكه
لما تيقنَ أن سيف جفونه
خدأً له بدم القلوب مضرًا
من نرجسٍ جعل النجاد بنفسجا^(٢)

وقوله [من الوافر] :

تعللنا أمانة بالأمانى
إذا ما قلت : أين الوصل؟ قالت :
ولجَّ بنا البعاد من التداني
طلبت العز في دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمام الهوى أمتُ إليه
بأبي من زها عليَّ بوجه
وبحكم العقار أقضي عليه
كاد يدمي لَمَّا نظرت إليه
كلَّما علَّني من الراح صرفا
ناول الكأس واستمال بلحظ
فسقتني عيناه قبل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيها البدر الذي ضنَّ علينا بالطلوع
ابغ لي عندك قلباً طار من بين ضلوعي
يا بديع الحسن كم لي فيك من وجدٍ بديع

(١) العارضين : الخدين ، والحمائل : علائق السيف .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

وقوله [من الطويل] :

وساحة فضل الذبول كأنها
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي :

وقوله [من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي
نام الخلي عن الشجي به
كنت الشفاء فصرت لي سقماً

وقوله [من الطويل] :

سقوني حمامي يوم ساقوا حملهم
وأخرسَ لفظي وهو ليس بأخرس
فيا أبني تلك الدموع التي همت

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودّعني مقلّة
وتطلعت بين الحدوج كأنها
وشكت تباريح الصباية والهوى
كمهاة رمل قد تربّعت الحمى
حتى إذا ضرب المصيف رواقه

أوحى إليّ جفونها بسلام
شمس تطلّع في خلال غمام^(١)
بمدامعٍ نطقت بغير كلام
بين الظباء العفر والآرام^(٢)
صافت بظلّ أراكّة وبشام^(٣)

(١) ينبيك : يخبرك ، والوجد : شدة العشق وخذت : تركت آثاراً في الوجه والعبرات : الدموع .

(٢) تنوق : تشغف وتميل أشد الميل ، والمردى : المهلك .

(٣) الحدوج : مراكب للنساء .

(٤) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضها حمرة ، أو في سرتها احمرار ، والآرام : جمع رثم وهو ولد الظبية .

(٥) صافت : أي قضت زمن المصيف ، والبشام بفتح الباء : شجر عطر الرائحة .

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أَيْكة
هي الدار ما الآمال إلا فجائع
فكم سخنت بالأمس عينٌ قريرةٌ
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرةً تبعث الأسى
بلى ربّما حلّت عرى عزماته
لواقط حبات القلوب إذا رنت
وريط من الموشيّ أينع تحته
برودٌ كأنوار الربيع لبسناها
قرين نجوم ديم عن نور أوجه
وجوه جرى فيها النعيم فكللت
سألِس للأحزان ثوبَ تصبّر
وكيف ولى قلب إذا هبت الصبا

وقوله [من البسيط] :

ونائح في غصون السّدر أرقني
مطوّقٌ بعقود ما تزايله
وما عنيت بشيء ظلّ يعنيه
حتى تزايله إحدى تراقيه^(٤)

(١) العرى : ما يصل الشيء بالشيء ومنه العروة .

(٢) الریط : كل ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة .

(٣) ديم : يقال ديم به : أي أخذه الدوّار في رأسه .

(٤) تزايله : تفارقه .

قد بات يبكي لشجور ما دريت به وبت أبكي لشجور ليس يدريه
وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يمس فوق كثيب طيب المجتنى لذيد العناق
قد تغنى كما استهل يغني ساق حر مغرر فوق ساق^(١)
ينثر الدر في المسامع نثراً بين در منظّم مستاق^(٢)
وافترضنا من العواتق بكرا نكحت أمها بغير صداق^(٣)
ثم بانّت ولم تطلق ثلاثاً لم تبّن حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مديني^(٤) ، وفي شربنا الشراب عراقي^(٥)

وقوله [من الوافر] :

سرى طيف الحبيب على البعاد ليصلح بين عيني والرقاد
فبات إلى الصباح يدي وساد لوجنته كما يده وسادي
بنفسي من أعاد إلي نفسي ورد إلى جوانحه فؤادي
خيال زارني لما رأي عدتني عن زيارته عوادي
يواصلني على الهجران منه ويدنيني على طول البعاد

وقوله [من الطويل] :

وريان من ماء الشباب تهاقت به نشوات من صيا ودلال^(٦)
كما اهتز بان من أكاليل روضة تلاعبه ريحا صبا وشمال

(١) ساق حر : هو ذكر القماري المعروف بالحمام القمري ، سمّي بذلك لأن حكاية صوته ساق حر .

(٢) مستاق : متابع بعضها بعد بعض .

(٣) العواتق : الفتيات أول إدراكهن والصدّاق : المهر .

(٤) يريد بالمديني المنسوب إلى علم المدينة الامام مالك إذ يبيع السماع ، وبالعراقي المنسوب إلى عالم

العراق أبي حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ .

(٥) الريان : الكثير الارتواء ، وتهاقت : تداعت وثبت .

تعلّم منه الهجر طيفُ خياله هدواً فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ويمنع ذكره الخطور ببالي
وقوله [من الكامل] :

بأبي غزال صدّ بعد وصاله وزها عليّ بحسنه وجماله
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله^(١)
وقوله [من البسيط] :

مستوحشاً من جميع الناس كلهم كأنما الناس أقذاءً على بصري^(٢)
وقوله [من الطويل] :

أما والذي سوّى السماء مكانها ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام في الأوهام من غير رؤية بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفاك إلا لأربع عقائل لم يخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه ، وإعطاء نائل ، وتقليب هنديّ ، وحبس عنان

* * *

٣ - عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له [من المديد] :

قد بلوت الحب مختبراً فأنا المسئول عن خبره
هو عذب عز مورده غير أن الموت في صدره
نظري أذكى جوى كبدي وهلاك الصّب في نظره^(٣)

(١) الكرى : من الأضداد يطلق على الأرق والسهاد ، ويطلق على النوم .

(٢) القذى : ما يقع في العين من وسخ وغيره .

(٣) أذكى : أوقد وأشعل وأهاج والصب : العاشق .

وقوله [من الكامل] :

قمرٌ بسبي ذوي العقول أنيقاً
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه
ورشاً بتقطع القلوب رقيقاً^(١)
درأً يصير من الحياء عقيقاً
أبصرت وجهك في سناه غريقاً^(٢)

وقوله [من الكامل] :

برح الخفاء فأعيتني أو عاتبي
لو كنت أعلم لي سوى فرط الهوى
يا ظالمًا لا يستفيد بظلمه
فهاك سداً عليّ رحب مذهبني
لو كنت أعلم لي سوى فرط الهوى
يا ظالمًا لا يستفيد بظلمه
لما ذلت إليك ذلة راغب
متعباً في الحب غير معاتب



٤ - الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عيني جفونك أم خمراً
وشعراً أراني صبح وجهك أم دجا
وجسمٌ تشنى بين ثوبيك ناعمٌ
فقد رحت ملآن الجفون به سكرًا
ووجهاً جلا إظلام شعرك أم فجراً
أم الغصنُ اللدن اكتسى ورقاً خضراً^(٣)

وقوله [من الخفيف] :

رب خمر شربتها من جفون
ورياض جنيتها من حدود

(١) أنيق : متقن ومعجب .

(٢) السناء : الضياء .

(٣) فرط الهوى : شدته .

(٤) اللدن : الطري .

إذ يشجّ اللثام ريقاً بریقٍ ويلفّ العناق جيداً بجيد^(١)
تحت ظل من النعيم ظليل وبفيء من السرور مديد
وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع نيران شوقٍ وغليلاً يذوب منه الغليل^(٢)
وحينئاً إليه في طول ليلٍ ما إلى الصبح من دجاء وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عنّي المليح الجميل
وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ترك القلب والهأ مستكينا
يا غزلاً يصبي القلوب هواه وهلاًلاً يُعشي سناه العيونا^(٣)
أنت علّمتني الصبابة والبخل فصرت البخيل فيك الضنينا^(٤)
وقوله [من البسيط] :

لأنزعنّ وإن لم أقض من وطري إلّا لبانة أشواقٍ ومُدكّر^(٥)
أكفّ كفي وأثني من تقلّبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* * *

٥ - يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل] :

هو ظالمي لكن أرقُّ عليه من أن أجيل اللحظ في خديّ

(١) يشجّ : يشق ، والجيد : العنق .

(٢) الغليل : الظمأ .

(٣) أصبى : استمال ، وأعشى : أضعف البصر ليلاً ونهاراً .

(٤) الصبابة : رقة الحبّ وشدّته والضمنين : الشديد الحرص .

(٥) الوطر : الغاية ، واللبانة : الحاجة .

أعفيت رقة وجنتيه من أذى عيني وما أعفيت من عينيه
وكان در الخد يكسي حمرة السياقوت من نظر العيون إليه

وقوله [من الوافر] :

أنضرب بين عيني واغتماضي بواشٍ من لواظك المراضِ
وتخلفني بوعد قد تَقَضَّى مدى عمري وليس له تقاضي
ولم أسألك إلا النزر ، إني بذاك النزر مغتبطٌ وراضٍ^(١)
أبحُ تفاحتك للحظ عيني وأعطيك الأمان من العضاضِ

* * *

٦ - عبد الله بن إسماعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبان إلى قلبي من الفكرِ
قد كنت أسمع عَمَّن لست أذكره خوفاً عليه من التصريح بالذكرِ
سمعت حتى إذا أبصرت قلت له : يا حاش لله ما هذا من البشرِ

* * *

٧ - سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعي فلا كان أعمى بالبكا بصري وقاد قلبي إلى الأحزان والفكرِ
فإن بكت مقلّة من فَقْد من عَرَفْتُ فقد بكيت بمن لم أدر بالنظرِ
يا واصفيه رويداً إنَّ وصفكمُ لم يُبق من جلّدي شيئاً ولم يذر^(٢)

(١) النزر : القليل واليسير .

(٢) الجلد : الصبر .

قالوا بدا فغلطنا بالسّرار له
وقوله [من الكامل] :

سقم الأحبة للقلوب سقام
لله بدرٌ قد تنقص نوره
وقوله [من المتقارب] :

بكيت ومثلي بكى للوداع
ولم أحمد الصبر يوم النوى
ولو كنت لم أبك من بينهم
وأنشدني لبعضهم شعراً [من الوافر] :

كلامك مثل ريقك ، ذا بهذا
فلو أني إذا أسمعْتُ هذا
فإن أبصرتني منه صريعاً
وقل هو نشوة من خمر حبّ
مزاج سلافةٍ حلوّ بعذب^(١)
شربت بذاك ضاع عليّ لبي^(٢)
فغالط في هواي وشاةٍ صخبي
فإنّ الدنّ قد يدعى بحبّ

* * *

٨ - يحيى بن عبد الملك بن هذيل رحمه الله تعالى !

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلمّ هائماً قد استحسن الوجـد وكلّ أمره إلى استحسانه

(١) السّرار : اختفاء القمر والتبليج : الإشراق .

(٢) النوى : الفراق .

(٣) السلافة : الخمر .

(٤) لبي : عقلي .

فأنا الطائع المشوق لمن صا ر يُريني الهوانَ في عصيانه
 مرّبي خاطراً يكاد من العجب به ان يُراعَ في ريعانه^(١)
 في ملاءٍ كأنّه وهو فيها ورد خديّه في جنى سوسانه^(٢)
 يشتكي بالفتور من كسل المشي ولا يشتكيه من أجفانه
 ولقد شفّني وأسهر طرفي لمع برق يزفّ في لمعانه^(٣)
 شمتة والظلام يفتّر عنه كافترار الزنجي عن أسنانه^(٤)

وقوله [من الطويل] :

ألا عودة من طيفه فيرى حالي يكاد يضيق الجو من عظم زفرتي
 ألا يا ادكاري للكرى لي أتى تالي وتهفو نجوم الليل من فرط إعوالي
 أطاع ولكن فعله هو أنكى لي أبى غير تعذيبي ولو أمر الردى

وقوله [من الخفيف] :

والثريا دنت من البدر حتى خلتها دارعا يدير مجناً^(٥)

وقوله [من الكامل] :

ومزنة والبرق ينسج فوقها بردئين من نوءٍ وطلٍّ باكي^(٦)
 مالت على طيّ الجناح وإنّما جعلت أريكتها قضيب أراك^(٧)

(١) خاطراً : ماشياً بهوياً وتبختر، ويراع : من الروع وهو الخوف .

(٢) الملاء : الخمار .

(٣) شفّني : أمرضني وأهزلني .

(٤) شمتة : ترقبته وتطلعت إليه .

(٥) المجن : الدرع .

(٦) المزنة : السحابة ، والنوء ، المطر .

(٧) الأراك : شجر طيّب الرائحة .

وقوله في الخضاب [من الكامل] :

لما رأت شعري تغير لونه ورأته محتجباً وراء حجاب
قالت : خضبت ، فقلت : شيبي إنما لبس الحداد على ذهاب شبابي

* * *

٩ - قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع] :

استحيت الأغصان من قدّه وحرار ماء الحسن في خدّه
إنّي لمشتاقٌ إلى ريقه طوبى لمن يرشف من برده

* * *

١٠ - محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له [من الخفيف] :

يا سقيم الجفون من غير سقمٍ حاشَ الله أن تبوء بائمي^(١)
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي وجعلت السقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قام م خطيباً من سحر عينيك خصمي

* * *

١١ - عبد الله بن حارث

قال [من الطويل] :

عزائم وجدٍ ما يحلّ لها عقد وجرية دمعٍ ليس يبقى لها خدّ

(١) تبوء بائمي : أي تتحمله .

ومقلّة ممنوع الرقاد كأنما
وبادية الإعراض لا عن ملالة
منعمة تزهو بخدّ مورّم
وقد وثقت مني بعزم صباية
وما الصدّ إلا كالوصال إذا غدا
جری بین عینیه و بین الکرى حقد
ولکنّ إعراضاً یولّده الود^(١)
کأنّ شعاع الشمس من خدها یدو
لها دون عقد الصبر من مهجتي عقد
لغير ملالٍ أو قلّی ذلك الصدّ^(٢)

* * *

١٢ - عباس بن قرماس

أنشدني له [من الطویل] :

وأحور ما يعفى العيون من العشق
وللحسن في خديّه شمس مقيمة
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى
له كذب في الجدّ أحلى من الصدق^(٣)
وبدر كمال لا يحور إلى محق^(٤)
بأحور ما يبقى هواه ولا يُبقي

* * *

١٣ - أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسي من يصدّ بغير ذنب
عجبت لقلبه قاسٍ كجسمي
فهلاً بالتشاكل كان قاسٍ
سوى إدلاله ثقةً بحبي
ويحكي جسمه في اللين قلبي
لقاسٍ ، واغتدى رطبٌ لرطب^(٥)

(١) الإعراض : الصدّ والهجر .

(٢) القلى : البغض والكراهة .

(٣) الأحور : من كان في عينيه حور ، وهو شدة البياض وشدة السواد معاً .

(٤) لا يحور : لا يرجع ، والمحق : من المحاق وهو اختفاء القمر ، وأراد به النقصان .

(٥) التشاكل : التشابه .

وإن لم ينعطف باللين فظُّ فقولِي بالقساوة قلب صَبُّ^(١)
وقوله [من الوافر] :

بأيَّهما أنا في الحب بادي بشكر الطَّيْف أم شكر الرقاد^(٢)
سرى وأرادني أُملي ولكنَّ عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حَرَجٍ ولكنَّ جريت من العفاف على اعتقادي
وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سکناً لقلبي أفرُّ إليه من نوب الخطوبِ
وألتذُّ الغرام المحض منه وأستحلي به حتى كروبي^(٣)
كذاك الحب ضيفٌ ليس يأتي إلى غير الكرام من القلوب
وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها فترك شمل العزم وهو مبدُّ^(٤)
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه من الأين يمشي ظالعٌ ومقيَّد^(٥)

* * *

١٤ - أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يوم وصالٍ مستجدٌ وبين يوم صدودِ
وحديثٌ موشَّحٌ بعتابٍ فيهما نزهة الفؤاد العميد^(٦)

(١) بادي : أراد أن يقول « بادیء » فلم يستقم له الوزن فقلب الهمز ياء .

(٢) المحض : الخالص ، والكروب : الهموم .

(٣) الأين : التعب والاعياء . والظالع : الذي أصابه الظلع : وهو شبه العرج .

(٤) الموشَّح : المزین ، والعميد :

من غزالٍ في مقلتيه سهامٌ هنّ أمضى من مرهفات الحديد^(١)
وقوله [من الطويل] :

وكم ليلةٍ قد نادمتني نجومها أديمٌ صبحاً عندها وغبوقاً^(٢)
يعاطيتني كأساً ألدّ من المنى وأعذب من ريق الأحيّة ريقاً
وأنشدني لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنياي التي كلما غدتُ لها عزّة المولى فلي ذلّة العبدِ
أعالج داء الدهر منك بذلّتي وقد قيل قديماً : عالجوا الضدّ بالضدّ

* * *

١٥ - زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له [من الكامل] :

صبراً على هجر الحبيب وصدّه لا يؤيسّنك هجره من ودّه
لا تقنطن من الصدود فإنّما لين الزمان معرّض بأشده^(٣)
وأنا الفداء لشادنٍ علّفته حيّه صيرني تحلّة عبده^(٤)
ماء الشباب يجول في وجناته وحسام رونقه يجول بخده

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطيّ على المنازل بالسفح من حصنٍ فعاقِلْ
دِمنٌ أناخ بها الربيع وحلّ أثقال الرواحل^(٥)

-
- (١) المرهفات : أي الحادة ، وأمضى : أقطع .
(٢) الصبح : مشرب الخمر صباحاً ، والغبوق شرب الخمر مساءً .
(٣) القنوط : اليأس ، والصدّ : الإعراض .
(٤) الشادن : الغزال ، وعلفته : عشقته .
(٥) الدمن : الأطلال .

لعبت بها هوج البوا رح بالغدو وبالأصائل^(١)
تستن في عرصاتها وتجر أذيال القساطل^(٢)
حتى كأن رسومها إخلق أجفان المناصل^(٣)
أو أسطر من عهد ذي الـ قرنين في الصُحف الأوائل

* * *

١٦ - فاتك الشهواجي

[قال] في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالة من كلف الفؤاد
أجفانه وقف على السهاد
إلى الذي ممّا لقيت خالي
يريد هجري ويرى مطالبي
يا غصن بانٍ مخجل الأغصان
يا قمرأ ما إن له مداني
بلغت أعداي الذي أحبوا
هذا جزا من بصبي يصبو
يا عبد ما تعرف ما ألاقي
نفس بحق الودّ عن خناقي
معذب بالصّد والبعاد^(٤)
يكي بدمع رائج وغادي
منعم العيش رخيّ البال
لئن سلاني لست عنه سالي^(٥)
ويا رхим الدلّ والمعاني
يا ذا الذي بطرفه سباني^(٦)
صرت عليّ والزمان ألب
عشرت والطرف الجواد يكبو
يا عبد ما شوقك كاشتيافي
ما شدّد الهجران من وثاقي

(١) البوارح : الآلام .

(٢) العرصات : الساحات ، والقساطل : الغبار الساطع في الحرث .

(٣) إخلق : إبلاء ، والمناصل : السيوف وغيرها .

(٤) كلف الفؤاد : العاشق والمتيم .

(٥) المظل : التسويف .

(٦) سباني : أسرنى .

يا ذا الذي يملكني بطرفه
يا قاتلي بوعده وخلفه
ارحم عزيزاً في هواك ذلاً
قطعه العذال فيك عدلاً
إرث لقلب دائم الجراح
لا تقبلن في قول لآحي
فقد عفا الرحمن عما قد سلف
واحن على الصب بوصل وانعطف
بحق ما في فيك من رصاب
لا تقطعن الدهر في عتاب
بحق من أنزل صُحُفاً وكتب
يا لعبة وافت على كل اللعب
لم يرض بالذلة غير نذل
إنني أرى من دون هذا قتلي
وهي طويلة جداً .

* * *

١٧ - أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :
غزالُ جنينا الورد من وجناته على أنه منّا القلوب بها يجني

(١) الخلف : عدم الوفاء ، والحذف : الموت والردي .

(٢) اللآحي : اللاثم ، وسراحي : فك أسري .

(٣) الصلف : التكبر .

(٤) الرصاب بضمّ الراء : الريق .

(٥) جد : تكرم .

إذا ما بدا والليل منسدل الدُّجَا رأيت سناء كيف يفعل بالدَّجَنِ
أُخْبِرُهُ بالطَّرْفِ أني أحبه فتخبرني عيناه أن قد وعى مني
وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذبي يا غايةً في الحسن والطيب
إن الذي قال عليّ العدى إفك كما قيل على الذَّيْبِ
يا يوسفَ الحسنِ أما رحمةً تكشف عني ضرَّ أيوب؟^(١)

* * *

١٨ - مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أُسمِّي بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ إنس لو فرَّجَ همِّي ؟
سيّدي ، وجهك شمسٌ أشرقت أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل] :

أودى الفراق بقلبه فكأته بعد الطعائن ميتٌ لم يلحد^(٢)
يا ظاعناً ولّى بقلبي إذ غدا ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيْتُ فيكَ دموعَ عيني بعد ما أفنيْتُ فيكَ تصبُّري وتجلُّدي
الله يعلم أن نار صبابتي من يومِ بنتٍ جحيْمُها لم يبرد^(٣)

(١) يوسف الحسن : أي النبي يوسف عليه السلام وتكشف : تزيل ، والضرّ : البؤس والشقاء والعذاب ، وأيوب : أي النبي أيوب عليه السلام .

(٢) أودى : أذهب وأهلك وقضى ، والطعائن : النساء الراحلات ، والظمن : الرحيل والفراق .

(٣) بنت : بعدت وغبت .

وقوله [من الكامل] :

ذكر الرّصافة قلبه فاشتاقا وأذاع ماء جفونه مهراقاً^(١)
كم بالرّصافة من أخٍ لي مسعدٍ لولا النوى ما جئتهم مشتاقاً
يا حبذا أرض الرّصافة منزلاً لقيّ الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلدٍ به أهلي فحكم البين أن اشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنما أزرى بقدري أنني لست من بابة أهل البلد^(٢)
ليس منهم غير ذي مقلية لذوي الألباب أو ذي حسد^(٣)
يتحامون لقائي مثلما يتحامون لقاء الأسد
طلعتي أثقل في أعينهم وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني قعر بحرٍ لم يكن أحداً يأخذ منهم بيدي^(٤)

* * *

١٩ - الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال [من الرمل المجزوء] :

قتلت عيناك عبدك قبل أن تقضيه وعدك
حُلّت عن عهد محبٍّ لم يزل يحفظ عهدك

* * *

(١) أذاع : أسال وأظهر ، ومهراقاً : أي أراقها وسفحها .

(٢) أزرى : أعاب وأنقص والبابة : الصنف ، والخصلة .

(٣) ذي مقلية : أي صاحب بغض وكره .

(٤) أي أنهم لو رأوه غريقاً لما ساعدوه .

٢٠ - عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال [من الخفيف] :

كيف صبري وأملح الثَّقَلَيْنِ مُخْلِيفٌ موعدي ولاؤي بديني^(١)
كلما رمت وصلها وصلتي بصدورٍ وذُنُوبٍ بيني^(٢)
هي وسنى الجفون لكنْ بنومٍ مذ أرتنيه أذهبتْ نومَ عيني^(٣)

* * *

٢١ - الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاي حتى متى أضرعُ وأشكو إليك فما تسمعُ
نباي الوساد وطول البعاد وطار الرقاد فما أهجع^(٤)
أودُّ بأن المنايا أتت وأين يرى اللحد لي مضجع
يُقَطِّعُ قلبي صدودك عني فما لي في عيشةٍ مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدودٌ ليس يبلغه عقاب وعتبٌ ليس يشيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٍ وإعراضٌ وصدٌ واجتناب
فلا سهرٌ يطيب ولا رقادُ ولا أكلٌ يسوغ ولا شراب

* * *

(١) الثقلين : الجن والانس ، ولاؤي بديني : مماطل به ، ومنكر له .

(٢) ذنُوبتي بين : أي زاد البعد بعد الصد .

(٣) الوسن : التعاس .

(٤) نبا : جفا وباعد ، والهجع : الرقاد .

٢٢ - محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولون كم تدعو إلى غير راحم وما كل من يشكو إلى الناس يرحم
وددت بأن يرضى فإن جاد بالرضا تفكر في ذنب المحب فيندم
وقوله [من الخفيف] :

كان في كثرة العتاب دليل
من نوى جفوة تقول في الحد
فاقطعني الوصل أو صلي فبقائي
واسلكي بي سبيل عروة إن لم
لي على أن من هويت ملول
ب على من يحبه ما يقول^(١)
مع طول العتاب منك قليل
يتجه لي إلى رضاك سبيل^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ولم أدر إذ زمو الهوادج بالضحي
فيا جفن عيني كيف تطمع في الهوى
أطرفي أعمى أم نهاري مظلم؟^(٣)
بنوم ونوم العاشقين محرم؟

* * *

٢٣ - علي بن حنفان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقي المحب مخلفاً
بالله لا تنس الوداد فإتني
بعد الأحبة من جوى وسهاد
باق على عهدي ومحض ودادي

* * *

(١) تقول : اختلق الأقوال .

(٢) عروة : هو عروة بن حزام أحد متبني العرب وصاحبه اسمها عفراء .

(٣) زمو : شدوا وأزمعوا الرحيل .

٢٤ - محمد بن عديس الجناني

رحمه الله !

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمدٌ بشجوي يداً	فقد بلغ الحبُّ منِّي المدى ^(١)
فريد المحاسن أنت الذي	قد أثبتني في الأسى مفردا
ترفُّقٌ فلو كنت بعض العدى	وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحني فقد بتُ ممّا لقيت	وأروحُ ما أرتجيه الردى

* * *

٢٥ - أحمد بن أبي صفوان بن العباس

ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلو ترائني نشواناً أميل على	هذا وذاك بلا خوف الرقيين
والكأس يسعى ونقر العود يخفرها	ونقل كأسِي من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئيٍّ وأبهجه	ليث العرين صريعا بين ريمين

* * *

٢٦ - أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

ربُّ ليلٍ أحيتُ فيه سنا الصب	ح بوجه يُعشي الوجوه سناه
بات والراح في غلائلها اليـ	ض تعاطيكها به راحتاه

(١) الشجو : الحزن .

فأعار الكؤوس توريدُ خديّ ه وطيب النسيم من رياه
 وكأنّ المدام قد علّمتها كيف تَسْبِي ألبابنا مقلّناه^(١)
 وقوله [من الخفيف] :

قد توفعت حادث البين إشفاء قأ عليه من قبل حين وقوعه
 فرأيت الفراق دلاً على أن فراق الحياة في توديعه
 وقوله [من الخفيف] :

من مجير المشوق من أشواقه ويكف الدموع من آماقه
 بان عني من غادر القلب مني فرّقاً من تأسّفي لفراقه^(٢)
 وأنشدني لبعض أدبائهم [من الطويل] :

وليلة أنسٍ كاد يسبقها الفجر وتسفر في عيني بها الظلم الكدرُ
 لقيتك منها بالأمانِي ذاكراً فيا طيب ليلى من لقاء هو الذكرُ
 أقمّتك في نفسي لنفسي تذكراً ففزت بوصل ما يغالبه الهجرُ
 ألسنت نظير البدر حسناً وبهجةً فمالك لا تسري كما يفعل البدر ؟

* * *

٢٧ - محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثل شوقي إليك ينفرج وهو بروحي والجسم ممتزج ؟
 أين لقلبي من الهوى وزر ولوعة الشوق فيه تعتلج ؟^(٣)

(١) المدام : الخمر ، وتسبي : تأسر .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) وزر : مساعد ، تعتلج : تتلاعب .

وابأبي من يذيب نفسي بالتذكيره منه الدلال والغنج
علم طرفي السهاد من طرفه الساحر ذاك الفتور والدعج^(١)

* * *

٢٨ - حسن بن محمد بن ربيع الفاني

قال [من البسيط] :

لولا جفونك ما استولى بي الكمد ولا تحكّم في أجفاني السهد^(٢)
الهجر يذكي جوى قومٍ فيا عجباً للوصل يذكي جوى قومٍ فيتقد
كأنه ليس يبقى في جوانحه إلا ليشقى بما يلقي وما يجد
هذا مقام فوادي في تشوقه فلا تسلّ بعد ذا ان كان لي كبد

* * *

٢٩ - عبد الله بن بكر رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الخفيف] :

حسدت نفسي الطيب وقالت ليت كفي مكان كفّ الطيب
عجباً كيف ساعدته يده فصّدّ ذاك المطرّف المخضوب^(٣)
ليت وجه الحبيب كان من الدنيا ومن جنة الخلود نصيبي

(١) الفتور : الضعف والإنكسار ، والدعج : سعة العين مع اشتداد بياضها وسوادها .

(٢) الكمد : الحزن والغم ، والشهد : الأرق والسهر .

(٣) الفصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بألة حادة والمطرّف المخضوب : أي الكفّ المخضب بالخضاب .

وقوله [من الكامل] :

لما رأيت شعاع وجهك قد بدا
سَبَّحْتُ من عجبٍ وقلت : متى
ما كنت أحسب مثل صورتها
متهللاً كتهلل البرق
للشمس مُطْلَعٌ سوى الشرق ؟
متكوّناً أبداً من الخلق

وأشدني للكلبي [الوافر] :

بنفسي من هواك لهيب شوقٍ
هو الداء الذي لم يشف منه
وتروي بالعناق قلوب قومٍ
على أني إذا ما غبت عني
وما يخبو كما يخبو اللهب^(١)
لقاء يلتقيه ولا مغيب
وتظماً لو تعانقت القلوبُ
وان أصبحت في أهلي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده ،
فكتب إليه كتاباً متنصلاً^(٢) ، وجعل عنوانه « عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء
نسبته » فاستظرف الحكم كتابه ، وضحك منه ، ودعاه فأعتهبه^(٣) ، ووصله .

* * *

٣٠ - محمد بن حفص بن فرح

قال [من البسيط] :

يا من غدت نفسه نفسي فإن سلمتُ
ما إن علمت الذي تشكوه من سقمٍ
سلمتُ أو أَلَمْتُ قاسمتُها الألما
حتى وجدت بنفسي ذلك السقما

(١) يخبو : يخمد وينطفئ .

(٢) متنصلاً : متبرئاً .

(٣) أعتهبه : أرضاه وأزال سبب عته .

وله [من الخفيف] :

في المنى راحة لكل عميد شفه الحب بالنوى والصدود
إن تنأى الحبيب أدنته منه فغدا في العباد غير بعيد
أو جفاه فإنه لمناه واصل حبله برغم الحسود

* * *

٣١ - عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال [من الطويل] :

شكا السقم من أهوى وجدَّ به الصبا ولا مثل ما جدَّ الصَّبَا بي في الحبِّ
وما عدته إلاَّ وسقْمِي واحدٌ وأبْتُ ولي سقمان بالحب والكرب^(١)

وقوله [من الخفيف] :

ما لهذا الصدود من غير معنى يا حبيبي ، إلى متى تتجنَّى؟^(٢)
أنت غصنٌ فكيف تقسو لجانٍ مدُّ كفاً وأنت تهتزُّ لدنا^(٣)
إن تكن قد مللت قربي تباعد ت قليلاً لعلني سوف أدنى
أيها الباخل الممانع جدُّ لي من حياتي ببعض ما أتمنى
أو أرحني بالموت فالموت عندي هو خير من أن أعيش مُعْنَى^(٤)

وقوله [من الطويل] :

رحلت وقلبي عنك ليس براحل وزلت وصبري عنك أول زائل

(١) أبْتُ : عُدْتُ .

(٢) تتجنَّى : تتحامل وتتهم .

(٣) الجاني : القاطف ، واللدن : الطري الناعم .

(٤) المعْنَى : المعذب .

وَجَدْتُ بِنَا الْعِيسِ الْعَتَاقَ وَإِنَّمَا
وَمَنْ عَجَبَ اخْتَارَ فَيْكَ مَنِيَّتِي
وقوله [من المتقارب] :

رَحِيلِي مِنَ الدُّنْيَا بَتْلَكَ الرُّوَاحِلَ^(١)
وَمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ خِيَارٍ لِعَاقِلٍ

نَظَرْتُ إِلَى عَقْدَاتِ الْكُثِيبِ
وَكَمْ نَظْرَةً مَلَأْتُ نَاطِرِي
رَعَى اللَّهُ أَهْلَ كُثِيبِ اللَّوَى
وَشَقَّقَ فِيهِمْ جُيُوبَ السَّمَاءِ
وقوله [من الطويل] :

أَرَى نَارَ لَيْلِي بِالْعَقِيقِ تَلُوحُ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ تَسْبُحُ فِي الدَّجَى
فَسَلَنِي بِوَجْدٍ لَوْ تَقَسَّمَ فِي الْوَرَى
فِيَا لَكَ نَاراً تَصْطَلِيهَا جَوَانِحِي
فَتَدْنُو النَّوَى بِالشُّوقِ وَهِيَ تَرُوحُ
وَإِنْسَانَ عَيْنِي فِي الدَّمُوعِ سَبُوحِ^(٢)
لَمَّا بَاتَ بَيْنَ الْخَافِقِينَ صَحِيحُ
وَدُونَ الصَّلَا مِنْهَا مَهَامَهُ فَيَحُ^(٣)

* * *

٣٢ - محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لَمْ أَبْحِ بِاسْمِهِ لِأَنِّي ضَنِينُ^(٤) بِاسْمِهِ أَنْ تَذِيلَهُ الْأَفْوَاهُ^(٥)

(١) العيس العتاق : النوق الكريجات .

(٢) الكُثِيب : التلّ من الرمال ، واللوى : ما التوى من الرمال .

(٣) الرتق : ضدّ الفتق .

(٤) إنسان عيني : ناظرها . وسبوح : سابح وغارق .

(٥) الفيح : الواسعة ، والمهامه : الفلوات والقفار .

عند ذكرى له فكيف سواه
مع علمي عفاف من أهواه
حرقاً خلت أنها شكواه

أنا من خاطري أغار عليه
ساء ظني لفرط غيرة قلبي
وإذا ما سمعت من يتشكى

وقوله [من البسيط] :

أن لا يطيف به طيف من الوسن^(١)
حتى رمتني الليالي فيك بالمحن

إنني زعيمٌ لمن أسهرت مقلتهُ
سبحان رب الورى ما كان أغفلني

وقوله [من الخفيف] :

واسفح الدمع فيه سفح الغيوم
ومحاهها الغمام محو الرقيم^(٢)
ت المعالي بمنبت القيصوم^(٣)
ل على قدر جوهر المعلوم

قف بربع البلى وربع الهموم
غيرت آية صروف الليالي
ساء ما اعتاض بالسحائب من نب
فالأسى حين يعدم الشيء محمو

وقوله [من الوافر] :

وزمزم والمشاعر والمقام^(٤)
شجت قلب الخلي من الغرام^(٥)
فكيف نرى فؤاد المستهام؟
ويبعث شجوها نوح الحمام^(٦)
يُشوقها لموشكة الحمام

أما البيت والشهر الحرام
لقد حنت ركاب الركب حتى
إذا شاق الحنين فؤاد خلوي
تحن إلى حنين العيس نفسي
وإن حياة نفس كل شيء

(١) زعيمٌ : كفيل ، والوسن : النعاس .

(٢) الصروف : الأحداث والتقلبات ، والرقيم : الخط والكتاب .

(٣) القيصوم : نبات ذهبي الزهر طيب الرائحة يُدأوى به .

(٤) يجمع الشاعر في هذا البيت الحج ومناسكه .

(٥) الخلي : الذي لا يعرف العشق .

(٦) يبعث : يثير ، والشجو : الحزن .

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركي للعيادة عن قلى مني ولا لتبدل وتغير
لكن علمت إذا سمعتك تشتكي أن لا يقوم به جميل تصبري

* * *

٣٣ - محمد بن عبد العزيز العتيبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذي يجدي عليك سؤال ربع دائر؟
عَفَّتْ معالمه الليالي مثل ما عَفَّى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خوذٌ تستعير إذا مشتٌ لينَ القضيب الناعم الميَّاس^(١)
لانت أناملها ولكن قلبها في قسوة الحجر الصلِّود القاسي

وقوله [من الكامل] :

ألا في سبيل الله قلب مقيم أصيبت بين الظاعنين مقاتله
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى وغالته إذ بان الخليط غوائله^(٢)
وبين الحمول المستقلة شادنٌ أغنٌ غليظ القلب رخصٌ أنامله^(٣)
تيقنت أن الصبر عني زائلٌ عشية زمت للرحيل رواحله^(٤)

* * *

(١) لموشكة الحمام : لقريبة إلى الموت .

(٢) الحوراء : من الحور ، وهو شدة بياض العين وشدة سواد ، والخود : الشابة الجميلة الناعمة والميَّاس : المتأيل .

(٣) غالته : أهلكته وقضت عليه وبان الخليط .

(٤) الأغن : من في صوته غنة كغنة الظبي والرخص : الناعم اللين .

٣٤ - محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلع البسيط] :

من فرط شحّي عليك أتّي رسول نفسي إليك عني
فلو سألت الرسول ممن أتى لقال الرسول مني

* * *

٣٥ - المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي

قال [من البسيط] :

لا يبعد الله أياماً نعمت بها بين الغواني وشمل الحي ملتئم^(١)
بكلّ ناعمة الأطراف مشرقة تكاد تسفر من إشراقها الظلم
كأنّها دمية بل كوكب شرّق بل روضة أنف زهراء بل صنم^(٢)
فما لمثلي لا يبكي لفرقتها والعهد منها ولو أن البكاء دم

* * *

٣٦ - مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال [من السريع] :

كم لي بمن أهواه من وجد بين إلى هجر إلى صد
وعبر لو أنها جمرة ما أطفئت من شدة الوجد
إن حالت الريح إلى غيرها أقول قد حال عن العهد
وإن دنا دنا دان توهمته دنا ليشيك عن الود
كأن سوء الظن مستجمع من بين هذا الخلق لي وحدي

(١) ملتئم : مجتمع .

(٢) روضة أنف : أي لم ترع .

وقوله [من الكامل] :

ومنعم للحسن في وجناته	فجر ينم صباحه ونهاره
قد تاه قرطقه بنهدي صدره	وزها بلعبة خصره زناره ^(١)
أمسى يعللني المدام وعنده	عود ترن بشجوه أوتاره
فيهيج مني لوعة لو أنها	بصفا المقرّر ضعفت أحجاره
والدنّ مقطوع الوتين ترى له	علقاً يجود بصوبه مدراره ^(٢)
طفئت مصابحنا فكان سراجنا	مصباحه حتى الصباح وناره

* * *

٣٧ - أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] :

لئن منعوا من ناظر نور ناظري	فما منعوا ما بيننا في الضمائر
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا	إذا ما التقينا نشكي بالمحاجر ^(٣)

وقوله [من السريع] :

ودّعني إذ ودّعوا صبري	وجمّعوا البين إلى الهجر
واستخلفوا في كبدي لوعة	لاعجها أذكي من الجمر ^(٤)
لولا دموع العين يوم النوى	لأحرقت من حرّها صدري
وكيف صبري في هوى شادنٍ	مكتحل الأجنان بالسّحر

* * *

(١) القرطق : الثوب أو نوع من الثياب .

(٢) الوتين : شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها . والصوب : المطر .

(٣) المحاجر : يعني العيون .

(٤) اللاعج : حرقه الحبّ .

٣٨ - محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بعرجون

قال [من الخفيف] :

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي وأسألها ولو بقاء حياتي
قل لها قد قضى هواك عليه فهو ميتٌ أو مؤذِنٌ بالممات
فالحظية ترين إن شئت ميتاً كان يحيا بأيسر اللحظات
واعجبي أن تكون لحظة عينٍ منك تهدي الحياة للأموات

* * *

٣٩ - عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقنتني كأسَ الحبِّ عيناه صرفاً وثنيَ بأخرى طيب رِيَّاه^(١)
وزادني وردتي خديه ثالثة فأسكرتني عيناه وخداه
يا من كساه ضياء الحسن خالقه فبالملاحه حيَّاه وردَّاه^(٢)
حيُّ يرجي سلاماً في ملاحظةٍ تشفي به سقم قلبٍ طال بلواه

* * *

٤٠ - أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نَفَسْتُ على الأراك ، وحق لي لما اجتني بالذوق طيب جناك
وبِي الصَّدَى لا بالأراك ، فما له رشف اللَّمى وحرمت رشف لماك ؟^(٣)

(١) الصرف : الصافي الذي لم يمزج بغيره .

(٢) ردَّاه : ألبسه .

(٣) الصَّدَى : الظمأ .

أشعرت لو أني حللت محله
وقال [من الطويل] :

على صدع شملي منك قلبي تصدعا
على النَّأي منكم أم على قرب داركم
بلى إن في قرب الديار لراحةً
كما أن أيام النوى تبعث الأسى
وقوله [من البسيط] :

هَبَّتْ لَنَا الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
وَمَا عَرَفْتُ نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ بَلَدِي

* * *

٤١ - عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أَذَاعُ سَافِحٌ دَمْعَ الْعَيْنِ حِينَ هَمِي
لَا تَحْسِبِي أَنَّهُ سُرٌّ بَذَلَتْ بِهِ
لَوْلَا عَوَاصِي دَمُوعٍ لَا تَطَاوَعْنِي
لَوْمْ بَذِي الْحَبَّ أَنْ يُبْدِي سَرَائِرَ مَا
سَجَّيْتِي أَنْنِي أَرَعَى وَدَائِعَكُمْ

من الجوانح سرّاً كان مُكْتَمّاً^(١)
ولا فتحت به للكاشحين فما^(٢)
ما ذاع سرُّك عندي لا ولا علماً
يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرماً
وأحفظ العهد منكم كلما قدماً^(٣)

(١) صدع الشمل : تفرقه .

(٢) كاظمة : اسم موضع ، والوهن : الضعف .

(٣) همي : نزل وانذرني والمكتم : المستتر .

(٤) الكاشح : المبغض .

(٥) السجينة : الطبع .

وأُنْثِي أَمْنَح الْوَاشِي بِكُمْ أَذْنًا مَعَارَةً فَيْكُمُ عَنْ قَوْلِهِ صَمَمَا^(١)

* * *

٤٢ - عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما لعذري يزيد في قدر ذنبي وعتابي يغريك فيَّ بعُتْبٍ
ولماذا اشتريت ودِّي وقد أعطيتك الود من لساني وقلبي
حسبي الله من أعادٍ وحساً ، وبالصدق في ترضيك حسبي
أنت شربي وليس في العيش حظ لي يصفو إذا تكدرَ شربي

* * *

٤٣ - عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من المجتث] :

أبدى الصدود حبيبٌ قد خان عهدي وملاً
ولي فمن لي بروحي يردّها إذ تولّى !
لا آخذ الله منه من بالجفاء تحلّى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بي الشوق فكر ما يسالمني أقام بين ضلوعي حرب صفينا^(٢)
هذا وما خان أحبابي الأولى ظلموا وإنهم لعهود الحب راعونا^(٣)

(١) الصمم : الورق .

(٢) صفين : مدينة على الفرات كانت بها الواقعة العظمى بين جيشي عليّ ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

(٣) راعون : محافظون .

يا أهل ودِّي عدا بي عن زيارتكم هوى يلحُ بإيعادي أحياناً
مالي على الحبّ من عونٍ يوازرني فيه سوى أدمع تجري أفانينا^(١)

* * *

٤٤ - الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائباً لي بالصدو د إذا ذكرت قبيح عذركُ
أخلّيت من قلبي مكا نأ كان معموراً بذرك
وأنا أحبّك لو وثقت وأستديم بقاء عمرك

* * *

٤٥ - عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيبٍ كان لي قرّةً مقترب الود لطيف المكان
يرى على الأعداء فيما يرى كالصارم الهندي أو كالسنّان
حتى إذا الدهر نبا نبوةً حال فحلنا بانقلاب الزمان^(٢)
كان صديق الغيب فيما يرى وإنّما كان صديق العيان^(٣)

وقوله [من المتقارب] :

تقول : بعدتْ فأنسيّتنا ولم يك حبك بالدائم

(١) الأفانين : جمع أفنان الذي هو جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة .

(٢) نبا نبوةً : جفا جفوةً، والصارم : السيف القاطع .

(٣) صديق الغيب : أي من يودك في القرب والنأي . وصديق العيان : من لا يودك إلا في القرب والمشاهدة .
أي صديق المصلحة .

فقلت لها : لو علمت الهوى لما جرت فيه على العالم^(١)
لأن الهوى وانتزاح النوى يزيدان في لوعة الهائم^(٢)
كفعل الرحيق وسكر الكرى إذا ما استعانا على النائم^(٣)

* * *

٤٦ - محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إنَّ جهلاً بالمرء ذي الحزم والرأ ي رجوعٌ في الغيِّ بعد نزاع^(٤)
ومحالاً بأن يطيع هواه والهوى - ما علمت - شرُّ مطاع

وله [من الخفيف] :

أودَعْتُ مهجتي غداة الوداع حركات تجنُّها أضلاعي
طفلة تستبي العقول بدلٌ آخذ للقلوب والأسماع
كشف البينُ ما كتمت وما كنـت قديماً أصونه في قناعي^(٥)

* * *

٤٧ - الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد^(٦)

أنشدني له أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الفقيه
الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها [من الطويل] :

(١) جرت : ظلمت من الجور .

(٢) انتزاح النوى : كدر البعد وطول مدته .

(٣) الرحيق : الشراب .

(٤) النزاع : وهو النزوع عن الشيء والإقلاع عنه .

(٥) البين : البعد ، وأصونه : أحفظه والقناع : يريد به الصدر موضع الأسرار .

(٦) له ترجمة وافية في ذخيرة ابن بسّام (١ - ١٦١) وما بعدها .

وأخرى اعتلقنا دونهن، ودونها
يزينها ماء النعيم وحفها
إذا رامها ذو حاجة صد وجهه
ومنها :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها
إذا زاحمت فيها المخارم صوبت
تكلفتها والليل قد جاش بحره
ومن تحت حضني أبيض ذو شقاشق
إلى بيت ليلي وهو فرد بذى الغضا
هما صاحبائي من لدن كنت يافعا
فذا جدول في الكف تشفي به المنى
فبتنا على ضم اشتياقنا
ومنها :

ودوية من فتنه مدلهمة
إذا جابها الخريت في طرقاتها
ترى ثابتات الحكم عند اعتسافها
وإن سلكت أضواجها عييت بها

قصور وحجاب ووالٍ ومعر
من العيش فينان الأراكة أخضر^(١)
ظبا الباترات والوشيج المكسر^(٢)

تزل بها ريح الصبا فتحدّر
هبواً على بعد المدى وهي تجأر^(٣)
وقد جعلت أمواجه تتكسر
وفي الكف من عسالة الخط أسمر^(٤)
يضيء كعين المستهام ويزهر
مقيلان من جد الفتى حين يعثر
وذا غصن في الكف يجني ويثمر
تكاد له أكبادنا تنفطر

دريس الصوى معروفها منكر^(٥)
يظل بها أعمى وإن كان يبصر^(٦)
ترك على إدفافها فتهور
غوارب من ذي مطريات تزجر^(٧)

(١) الفينان : وصف للغصن الرطيب الطويل الكثير الحسن .

(٢) الظبا : الحد ، والباترات : القاطعات ، والوشيج : شجر نتخذ منه الرماح .

(٣) المخارم : جمع خرم ، وهي الطرق والأنفاق في الجبال .

(٤) الحضن : الجانب وبين الإبط ، والأبيض : السيف ، والأسمر : الرمح .

(٥) الدوية : القفر والصحراء ، والصوى : الطريق والمعالم .

(٦) الخريت : الدليل الحاذق الماهر .

(٧) أضواجها : منعطفات الأودية وغوارب : المطي النشيطة .

وسرنا نجوز النهج حتى بدا لنا
وله من أخرى أولها [من الطويل] :

* أمن رسم دار بالعقيق محيل *

ولما هبطنا الغيث يذعر وحشه
مسومة نعتدها من جيانا
إذا ما تغنى فوق متونها
تدوس بنا أوكار نوء كأنه
رمينا بها عرض الصوار فأقعصت
وبادر أصحابي النزول فأقبلت
فقلت لساقية أدرها سلافة
فقام بكأسيه مطيعاً لأمري
وشعشع راحيه فما زال مائلاً
على كل خوار العنان أسيل^(١)
لطرّد قنيص أو لطرّد رعي^(٢)
ضحياً أجابت تحتهم بصهيل
رداء عروس أودنت برحيل
أغنّ قتلناه بغير قتيل^(٣)
كراديس من غضّ الشواء نشيل^(٤)
شمولاً ومن عينيك صرف شمول
يميل به الإدلال كل ميل
برأس كريم منهم ونيل

وله من أخرى^(٥) [من الطويل] :

منازلهم تبكي إليك عفاءها
ألثت عليها المعصرات بقطرها
حبست بها عدواً زمام مطيتي
سقتها الشريا بالعري نحاءها^(٦)
وجرت بها هوج الرياح ملاءها^(٧)
فحلّت بها عيني عليّ وكاءها^(٨)

(١) الأسيل : اللين المستوي الأملس .

(٢) المسومة : المعلمة ، والرعي : القطيع .

(٣) الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، فأقعصت : قتلت في مكانها .

(٤) الكراديس : القطع .

(٥) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة (١ - ٢١٦) مع اختلاف يسير .

(٦) العفاء : زوال آثارها ، والعري : اسم مكان والنحاء : الزق والجرة .

(٧) ألثت عليها المعصرات : أي دام المطر بها أياماً متتابعة دون انقطاع .

(٨) الوكاء : رباط القربة والوعاء والكيس وغيره .

ولم تر ليلي فهي تسفح ماءها
 بدارتها الأولى نُحَيَّ فناءها
 حواها الجوى لما نظرت جواءها
 وقد شمت ما راب الحمى وأساءها
 رتعت بها حتى ألفت طباءها
 ولا ذئب مثلي قد رعى ثم شاءها
 ليالي يهديني الغرام خباءها
 بكيت لها لما سمعت بكاءها
 بكى بين ليلي فاستحث بكاءها
 وتأبى الحسان أن أطيق لقاءها
 فتى لم يشجع حين حان رياءها
 شبا فكرات قد أطل مضاءها^(١)
 يد سبقتهم يتقون عداها
 كريم إذا رأي المكارم جاءها

رأت شدن الأرام في زمن الهوى
 خليلي عوجا بارك الله فيكما
 ولا تمنعاني أن أجود بأدمع
 فأقسم ما شمت الغداة وقودها
 ميادين أفراس الصبا ومراتع
 ولم أر أسراباً كأسرابها الدمى
 ولا كضلال كان أهدي لصبوتي
 وما هاج هذا الشوق إلا حمائم
 تغن فلا يبعد بذى الأيك عاشق
 أنا البحر لا يستوهن الخطب طاقتي
 تيمم قصدي النائبات فردّها
 إذا طرقت الحادثات أعارها
 أما وأبى الأعداء ما دفعتهم
 جزاهم بما حازوا من الجهل حلمه
 ومنها :

وقد نازلتنا الحادثات إزاءها
 وقد نفضت فيه العقاب رداءها
 يرايع سدّت خيفة قصعاءها^(٢)
 حسمت بها أهواءها ومراءها^(٣)

وكم لك من يوم وقفت بظله
 ومن موقف ضنك زحمت به العدى
 وكم أمة أنجدها وكأنها
 ومن خطبة في كبة الصك فيصل

(١) الشبا : يقال شبا النار : أوقدها وهنا يقصد قوة الفكر والرأي ومضاءها : إعماها وحدها .

(٢) يرايع : جمع يربوع ، وهو حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وطويل الذنب .

(٣) كبة الصك : الكبة : الزحمة والجماعة والشدة والصك : الكتاب ، والمراء : المزاج والهوى .

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

* أنكيت - إذ ظعن الفريق - فراقها *

يقول فيها :

إني امرؤُ لعب الزمان بهمتي
فإذا ارتمتُ نحوي المنى لأنالها
فإذا أبو يحيى تأخر سعيه
الملبسي ذهبيةً من فضله
والماعني من صرف دهري بعدما
حتام لا تزوي جياذك للوغى
وتسدّ طرق الأرض منك بجحفلٍ
بحرٌ إذا خفقت عقاب لوائه

وسقيتُ من خمر الخطوب دهاقها
وقف الزمان لها هناك فعاقها
فمتى أوْمَل في الدنا إلحاقها^(١)
ثنت العيون فلم تطق رراقها
قلبتُ إليّ الحادثات حداقها^(٢)
وتشيم من بيض السيوف رفاقها^(٣)
يذر الملوك مديمةً إطراقها
بتخوم أرضٍ لم تخف إخفاقها

ومنها :

بطلٌ إذا خطب النفوس إلى الوغى
لو عارضت هوج الرياح بنانه
وإذا الملوك جرت جياذاً في الوغى
وكو أن أفواه الضراغم منهلٌ

جعل الظُّبا تحت العجاج صداقها^(٤)
يوماً لسدَّ ببعضها آفاقها
والجود قطع غفوةً أعناقها
للورد أورد خيله أشداقها^(٥)

وقوله [من الطويل] :

أفي كلّ عامٍ مصرعٌ لعظيم
أصاب المنايا حادثي وقديمي

(١) كذا ، وفي الذخيرة « فمتى أوْمَل في الزمان لحاقها » .

(٢) الحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .

(٣) تزوي : تجمع وتهى .

(٤) الصداق : المهر .

(٥) المنهل : مشرع الماء ، والورد : حيث ترد الحيوانات للإرتواء من الماء .

فكيف لقائي الحادثات إذا سطت
مضى السلف الوضاح إلا بقية
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجت
أما وأبي الأيام لولا اعتداؤها
وقارعت من يبغي قراعي منهم
أحلوا ملامي لا أبا لأبيهم
فلا تعذلوني إن ولهت فإنها
وقد فل سيفي منهم وعزيمي^(١)
كغرة مُسودّ القميص بهيم^(٢)
وقد فقدت عيناى ضوء نجومى
لظاهرت في ساداتها بقروم^(٣)
بأحلام بطش أو بطيش حلوم
وإني ورب المجد غير ملوم
علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غوي^١
وانقطعنا لواعظات مشيب
وإذا ما الصبا تحمّل عنا
وفتروا سرورا وقد عكف الليل
وكان النجوم لما هدتهم
وكان الصباح قانص طير
وكان البروق إذ طالعتهم
يتقرون جوز كل فلاة
عن ذكرى لمدلجهم فتاهوا
وانسلخنا من كل ذام وعاب
آذنتنا حياتها بذهب
فقيح بما ارتضاه التصابي
أشرق للعيون من آدابي
قبضت كفه برجل غراب
أوقدت في سمائها من شهابي
جرح ليل جوزاؤه من ركابي^(٢)
من حديثي في عرض أمر عجاب^(٣)

(١) سطت : من السطوة : أي بطشت وفتكت ، وفل : تشقق وتقطع .

(٢) أي كغرة الفرس .

(٣) القروم : الأسباد ، وظاهرت : استعنت ، وطابقت .

(٤) الفتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم .

(٥) يتقرون : يتلمسون ويتفحصون وجوز الفلاة : وسطها .

(٦) الإدلاج : المسير في الظلمة .

همّة في السماء تسحب ذيلاً من ذيول العلا وجدّ كابي^(١)
 وفتى أرهفت ظباه المعالي فثته بالباتر القرضاب^(٢)
 نيّته أيامه ولياليه بظفر من الخطوب وناب
 حوّن لو رآه صرف الليالي لتواري من خوفه في حجاب
 ذاق أيامه فكان سواء عنده طعم شهدها والصّاب
 وكو أنّ الدنيا كريمة نجر لم تكن طعمة لفرس الكلاب^(٣)
 وإذا ما نظرت ما حاز غيري قلّ عما حملته في ثيابي

وقوله [من الرمل] :

أصفيح شيم أم برق بدا أم سنا المحبوب أوري أزنذا^(٤)
 هب من مرقد منكر صرّاً مسبلا للكمّ مرخ للردا
 يمسح النعسة من عيني رشاً صائد في كل يوم أسدا
 كاد أن يرجع من لثمي له وارتشافي الثغر منه أدردا^(٥)
 قال لي يلعب : صدّ لي طائراً فتراني الدهر أجري بالكدا^(٦)
 فإذا استنجزت يوماً وعده قال لي يمطل : ذكرني غدا
 شربت أعضاؤه خمر الصبا وسقاه الحسن حتى عربدا
 وأنا المجروح من عضته لا شفاني الله منها أبدا
 ومكان عازب من جيرة أصدقاء وهم عين العدا
 ذي نبات بلبلت أعرافه كعدار الشعر في الخدّ بدا^(٧)

(١) وجدّ كابي : أي خط عائر .

(٢) أرهفت : أمضت ، والباتر : القاطع .

(٣) النجر : الأصل .

(٤) أوري أزنذا : أشعل الزند ، والزند شجر سريع الاحتراق وشديد الحرارة .

(٥) الأدرد : ذاهب الأسنان .

(٦) الكدا : الاستعطاء .

(٧) الأعراف : تيجان النبات والعذراء : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

قلت إذ خيَّمتُ فيه قاطناً
ورأيت الدهر خوفي ساكناً
جاد من أصبحت في أيامه
ملكٌ يحسب عدلاً ملكاً
خلته والرمح في راحته
نِعَمَ ما اخترت لنفسي فاعلموا
ليس من يعيشو إلى نار القرى

ومن شعره [من الطويل] :

أبرقُ بدا أم لمع أبيضَ قاصل
ألا إنها حرب جنيت بلحظة
هوى تغلبيَّ غالب القلب فانطوى
ردى تعلمي بالخيل ما قرَّب النوى
جزينا بيوم المرج آخر مثله
ومنها :

سهرت لها أرعى النجوم وأنجماً
وقد فغرت فاهاً بها كلَّ زهرة
كأنَّ الدجى همِّي ودمعِي نجومه
وما بيَّ إلاَّ همَّةٌ أشجعية
وكيف ارتضائي دارة الجهل منزلاً

وتلاقتني الأمانى سجداً
وبنى الأحرار حولي أعبداً
والردى يحذر من خوفي الردى
وإمامٌ أمٌّ فينا فهدي
قمرأً يحمل منه فرقداً
إنَّ زمان جار أو صرفُ عدا
مثلَ من يعيشو إلى نار الهدى^(١)

ورجعُ شدا أم رجع أشقر صاهلٍ
إلى عُرْبٍ يوم الكثيب عقائل
على كمدٍ من لوعة القلب داخل
جياذك بالثرثار يا ابنة وائل
وغصنٍ سقينا ناب أسمر عاسل^(٢)

طوالع للراعين غير أوافل
إلى كلِّ ضرعٍ للغمامة حافل^(٣)
تحدَّرَ إشفاقاً لدهرٍ ماحل^(٤)
ونفسٌ أبت لي من طلاب الرذائل
إذا كانت الجوزاء بعض منازلٍ

(١) يعيشو : يقصد ليلاً ، والقرى : الضيافة .

(٢) العاسل : الرمح .

(٣) فغرت : فتحت ، والضرع : الثدي في الحيوانات اللبونة .

(٤) هميٌ : من هما المطر : أي نزل .

وصبري على محض الأذى من أسافل
ولما طمى بحر البيان بفكرتي
زفقت إلى خير الورى كل حرق
وما رمتها حتى حططت رحالها
وقوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

* هاتيك دارهم فقف بمغانها *

يقول فيها :

ودعتهُم وزناد قدح في الحشا
يا صاحبي إذا ونى حاديكما
وخذا بمرتبع الحسان فربما
وكأنما الشعرى عقيلة معشر
وكأنما طرق المجرة منهج
المعجلين عداتهم برماهم
أنا طودها الراسي إذا ما زلزلت
وعلي للصبر الجميل مفاضة
وكأنني لما كرمت وقد شكت
وقضت بعز النفس مني دوحة
أسري لهم بالخيّل حتى خيلوا
دون الضلوع يشب من نيرانها
فتنشقا النفحات من ظيائها^(١)
شفع الشباب فصرت من أقدانها
نزلت بأعلى النسر من ولدانها
للعامرية ضامن فينانها
والجاعلين الهام من تيجانها
أيدي الحوادث من فؤاد جبانها
زغف أفل بها شاة سنانها^(٢)
أرضى الحوادث غبت من حدانها
من عامر أصبحت من أغصانها
أن الجبال رمتهم برعانها^(٣)

(١) زفقت : قدّمت وأنشأت أحسن القصائد والأفكار ، لم تحمل : تزول آثارها .

(٢) حلال : السيد الشجاع .

(٣) ظيائها : عسلها .

(٤) المغاظة : الدرع . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

(٤) المغاظة : الدرع ، والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

(٥) خيلوا : حسبوا ، والرعان : جمع رعن وهو أنف الجمل .

ورمى العدى بكتائب ملء الفضاء
 من كل سلهبة تطير بأربع
 نشأوا بزاهرة الملوك ومائها
 وأرثتهم العرب الكرام مصاعها
 أعمدن نصل الصبح في رهجانها^(١)
 ينسبك مؤخرها التماح لبانها^(٢)
 وكأنهم نشأوا على غسانها^(٣)
 فتعلموا من ضربها وطعانها^(٤)

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليلي ما آنفك الأسى منذ بينهم
 أريد دنواً من خليلي وقد نأى
 وإنني لتعروني الهموم لذكركم
 وإن هبوط الوادين إلى النقا
 لمسرح سرب ما تقرى نعاجه
 ومرتجز ألقى بذي الأثل كلكلاً
 سعى في قياد الرّيح يسمح للصبا
 وما زال يروي التراب حتى كسا الرّبي
 وعنت له ريح فأسقط قطره
 ولم أر درا بددته يد الصبا
 حبيبي حتى حلّ بالقلب فاختطأ
 وأهوى اقتراباً من مزار وقد شطا^(٥)
 هدواً فلا أستطيع قبضاً ولا بسطا
 بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
 بريراً ولا تقرو جآذره خطاً^(٦)
 وحطّ بجرعاء الأبارق ما خطاً^(٧)
 فالقّت على غير التّلاع به مرطاً^(٨)
 درانك والغيطان من نسجه بسطا^(٩)
 كما نثرت حسناء من جيدها سمطا
 سواء فبات الزهر يجمعه لقطا

(١) الرهج : الغبار .

(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة ، واللّبان : الصدر .

(٣) غسانها : رجالها ، والغسان : ريعان الشباب وحدته .

(٤) المصاع : الجلال والقتال .

(٥) شطا : بعدّ .

(٦) تقرى : تطعم ، والبرير : الأول من ثمر الأراك ، والخط : نوع من الشجر .

(٧) الكلكل : الصدر ، والجرعاء : أرض حزنة بها رمل وحجارة .

(٨) التلاع : المرتفع والمنصب من الأرض والمرط : الثوب الطويل الذيل .

(٩) الدرانك : ضرب من الثياب .

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزل كسا جثمانه مستترا طيالس سوداً كالدجى وهو أطلس^(١)
فدل عليه لحظ خيب مخادع ترى ناره من ماء عينه تقبس^(٢)
وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغر قد لبس الدجى برداً فراقك وهو فاحم
يحكي بغرته هلا ل الفطر للاح لعين صائم
أرمي به بقر الحمى وأصد عن عصم العواصم^(٣)
وتجانبني فتق النفوس من المهاريت الدلاقم^(٤)
حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم
وتمايلت أيدي الثريا وهي مذهبة الخواتم
ورنت ذكاء بناظر رمد من الأقذاء سالم^(٥)

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والخطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضحه ،
صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الايوان ، وقد كدسني
بصارم وسان . فجعلت مجني خطباً دل على نفسه ، وتشظى من يسه^(٦) فسلطت
عليه صاحب الشرر^(٧) ورميته منها بينات الحديد والحجر . فواقعه قليلاً ، وعاركة
طويلاً . فكان لها عجيج ، وله من حرها ضجيج . ثم خلا لها صريعاً ، واستولت

(١) الأزل : الضيق .

(٢) الحب : الخداع والخبث .

(٣) أصد : أمتع ، والعصم : جمع أعصم ، وهو من الغزلان وغيرها ، ما في ذراعيه أو احداها بياض
وسائره أسود أو أحمر .

(٤) المهاريت الدلاقم : الأسود المغيرة .

(٥) ذكاء : هي الشمس .

(٦) تشظى : تشقق .

(٧) صاحب الشرر : الزناد .

عليه صعباً منيعاً . فبددت شمله وألفت شملها ، واستحالت حية لا يستلذ قتلها .
 ترمي بالوان وتهدد بلسان ، فلذعت البرد لذعة ، ونكرته على فؤاده نكرة ، خبرها
 على جبينه ، ومات بها من حينه . وغشيننا من فائض حمتها حر كان لنا حياة ، ولذلك
 وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته ، ودلنا به من لطيف
 صنعته . ولما استحال جمرها رماداً ، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً ، ولمحته العين
 كالورد ، وذرع عليه كافور الهند ، انبسطت نفس شاكرك فنذكر لما كلفته ، من الزيادة
 في المعنى الذي اعتمدته ، محرماً له لا مقتدياً به ، ومستثنياً فيه لا آخذاً منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع ، ومشى إليه بروع ، وكان بالأمس برداً
 أجحف^(١) ، فابتنى من سحابة أو طف^(٢) ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار
 والفجار . فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى
 ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ واستعاذ بالله من هبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ،
 وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أخذت منهم
 حمياه ، تهللت الشفاه ، وانطلقت الأفواه ، فأخذوا من تجالدهم ، وأكثروا من
 عوائدهم ، وكشفت الأبخار ، وهتكت الأستار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ،
 ويتضاربون حكا . حتى إذا خرجوا بجماهرهم ، وانحفلوا بحذاقرهم^(٣) . صب
 على جسمه من عريض ، وامتد على وضاح ذي وميض ، قاربه الحر حتى احتواه ،
 وباعده القر حتى اشتهاه . فحينئذ أخذ في طهره ، وقضى من أمره ، وقد لطف
 حسه ، وتراجعت إليه نفسه . فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته ، على
 الاختيار الذي قصدته ، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواه ، ولا يقتضي لغير

(١) أجحف : مهلك وكثير الضرر .

(٢) أوطف : أرفع .

(٣) انحفلوا : اجتمعوا .

معناه ، فأثبتت فقراً مختصرة أرهفت جوانبها ، فسالت غرائبها ، وهي حلة ملبسها المشكور ، فإن كان ذلك من كريم كان ذلك طرازاً على كمها ، ورقماً على حاشيتها ، فإن زاد أن يكون عن كريم ، فإن ذلك تيممة لوشيتها ، وذهب يرف على أرضها ، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور ، دريها أمل ، وملحها^(١) عسل . فإن كانت من كريم كان روضها ورداً ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب ، والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوباً ، ورجعه تطريباً . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم ، ويقع ببشرى ، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها برداً ، ونفحها نداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة^(٢) ، وجناها شهوة ، والشكر واد يسقي أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيأ^(٣) ، وإن زاد أن يكون عن كريم عمر عمر العجاج ، وأترع الأضواج^(٤) . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً ، ونفحه روحاً . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منه مسك أذفر^(٥) .

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل - أو شونيزة^(٦) ، أو بنتها عزيزة . أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم

(١) الدرّ : الإدرا ، وملحت الناقة : ذهب لبنها إلّا قليلاً يحذ ذائقه فيه ملوحة .

(٢) العجوة : التمر المخلوط ببعضه بعض .

(٣) الآتي : السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك أو النهر الذي يسوقه الرجل إلى أرضه .

(٤) الأضواج : منعطفات الوديان .

(٥) أذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت طيبة كانت أم خبيثة .

(٦) الشونيزة : الحبة السوداء .

كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة ، ومجرد له على الجبابة ، يتكفن بأرفع الثياب ، ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل إلى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث . كفى بهذا نقصاناً للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمن .
وقوله في صفة بعوضة :

مالكة لا حس لها سواها ، تحقرها عين من رآها ، تمشي إلى الملك بنديها ، وتضرب بحبوحة داره بطلبها ، تؤذيه بإقبالها ، وتعرفه بإراقة مالها ، فتعجز كفه ، وترغم أنفه ، وتضرج خده ، وتفري لحمه وجلده ، زجرتها تسليمها ، ورمحها خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة^(١) وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوى وهي بعوضة ، ليرينا الله عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خليقته .
وله يصف ثعلباً :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر . كثير الوقائع في المسلمين ، مغري بإقامة ذم المؤمنين ، إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكرامة أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرح^(٢) ودجاج .
وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر ليح ، له من إنائه ، انصباب الكوكب الدرّي من سمائه ، العين كانونه ، والقمر عفريته . كأنه خيط من غزل قلق ، أو نخصرة ضربت من ورق ، يترفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

(١) الحلفة : من الحلف ، وهو المعاهدة والاتفاق على المساعدة .

(٢) الذرح : اللبن الذي مزج فيه الماء .

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى :

وما أرقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكن ، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً ، وأتبع الشفع وتراً^(١) . جلست في أكنافه ، وانعظفت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغبرائه تضاهي الخضراء ، زجاجة نورية ، كأنها الكواكب الدرية . ورعد قراء الله تعالى وخيرته ، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته . فصحت واويلاه ، واحرق قلباه . أين منك المفر ، وأين دونك المقر . لاها الله لا يتركك كريم ، ولا يقلاك إلا لثيم ، بركا كبرك الجمال ، وثباتاً كثبات الجبال . ثم خرجت في تتمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب^(٢) ، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به ، فلما طالعنا الحلوى صاح : هذا وأبيكم الروض ، فناديته اسكت فضحتنا لا أبالك . فقال : لا وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسأل من لعبه ، وأزور جانبه ، وخفق شاربته ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج ، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة^(٣) الزناير ، حدثت على شواير ، وخالطها لباب الحبة ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص^(٤) ، فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا التماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، تجرحه اللحظة ، وتدميه اللفظة ، بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ،

(١) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد .

(٢) الثبة : الجماعة .

(٣) المجاجة : ما يقذفه الإنسان من فمه ، ومجاجة الشيء عصارته .

(٤) الخبيص : حلواء تتخذ من تمر وسمن .

أباحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً ، وجبل هواك على كبدي متيناً ، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني ، فأقطعك مني دواجني ، والعزير الغفار لأطلبن بالثأر ، وتلمظ^(١) له لسان الميزان ، فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد ألبس ، وهو ينظر نظراً المفلس ، حنت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر ، وفي كل كبد رطبة أجر . فأمرت الغلام بابتياح أوطال تجمع أنواعها التي أنطقته ، وتحتوي على ضروبها التي أخرعته . فجاء بها فوضعها بين يديه ، فلما عاينها انحنى عليها بليانه ، وألقى عليها بجمرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويجاحش بفخذه ممانعاً ، ومدافعاً عنها . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويلع ، ويوجرفاه ويدفع . وعيناه تبضان ، كأنهما جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان ، وأنا أقول : على رسلك يا فلان . البطة تذهب الفطنة . وهو يقول (أكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها . وألحق أولها بآخرها . وهبت منه ريح عقيم . أهبالنا بالعذاب الأليم ، وفرقتنا شذر مذر^(٢) . وسربتنا في كل شعب شجر بغر^(٣) ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان ، نفخ ذلك فبدد النعام ، ونفخ هذا فبدد الأنعام ، فلم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جارية :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة ، كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد^(٤) حمامة بيضاء . وكأن خدها على جيدها المشرق ، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بالحاظها ، وتأسوك بالفاظها . تقابلك من خدها بوردة ، ومن عينها بترجسة .

(١) تلمظ : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .

(٢) شذر مذر : أي ذهبوا في كل وجه .

(٣) شجر بغر : أي تفرقوا في كل وجه .

(٤) يسفد : يجماع .

كأنما ثغرها من جوهر، وشفتها خيط حرير أحمر. وتقبل إليك بقضيب بان، ثمرة رمانتان، وتنتفل عليك بكفل مائج، كأنه كثيب عالج^(١)، تنطوي بقبطية، وتقوم على أنبوب بردية، أن استقبلتها بركان، تضحك لك عن فلقة رمان. أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين. ويتوفاك بكدّ كالفقيه المشرف على المذاهب، ركبت فيه اخلاق كاتب. فإن كنت شافعيّاً سدّدتك، وإن كنت مالكيّاً قلّدتك، المنظر غلام، والمخبر فتاة، إن علوتها تدفعت إليك، أو علتك تداركت عليك، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب، إن شئت قلت خمرة أو رضاب، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها، يصل إليك وصول الإيمان.

فشره في غاية الملاحه، ونظمه في غاية الفصاحة.

* * *

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله [من الخفيف]:

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا وتناسى عهدي ولم أنس عهدا
لا يغرّئك ما ترى من ودادي فلعلّي إن شئت غيرت ودّا
لا وحق الهوى وحق لياليه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيّق الذي أدّعت ولو ملّكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل]:

ما أطربت فوق الغصون حمامة ألا رأيت دموع عيني تسكبُ
وإذا الرياح تناوحت ألفتني بين الصباية والأسى أتقلّب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب

(١) الكفل: الأرداف، والكثيب: التلّ من الرمل.

كم حاولت نفسي السلو فطالبت أسبابه جهداً فعزَّ المطلب

* * *

٤٨ - غسان بن سعيد

قال [من البسيط] :

من خانه حسبٌ فليطلبِ الأدبا ففيه منيتهُ إن حلَّ أو ذهباً
فاطلب لنفسك آداباً تعزُّ بها كما تسود بها من يملك الذهباً

* * *

٤٩ - محمد بن يحيى النحوي

المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] :

طوى عني مودته غزال طوى قلبي على الأحزان طياً
إذا ما قلت يسلاه فؤادي تجدد حبه فازددت غياً^(١)
أحييه وأفديه بنفسي وذاك الوجه أهلٌ أن يُحياً

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفاً سما وهناً إلياً لقد جدّدت لوعاتي علياً
ألم مواصلاً كأخي غرامٍ سيذكر وصله ما دام حياً
غزالٌ لو رأى غيلانُ يوماً محاسنه إذاً أنساه ميأ^(٢)

* * *

٥٠ - شهيد بن المفضل

عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا تردُّ عنان شوقك صابرا وأخو الصبابة لا يكون صبوراً

(١) يسلاه : يصبر على بعده والغني : الضلال . (٢) غيلان : هوذي الرّمة ، ومي : معشوقته .

فاخلع عذارك في هواه فرمبا كان المحب على الهوى معذورا
ما العز إلا أن تذلل مع الهوى شحاً عليه وإن ظللت أسيراً

* * *

٥١ - منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لي صبر، أجل لا
بأبي أنت وأمّي أترى قتلي حلاً
حاش لله بأن أسألو عن الحب وكلاً !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحرّ مستعبدا
عبودية تؤيس الأمّين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه من الأسر غير تمّني الردى
فيا غصن بانٍ إذا ما مشى ويا بدر تمّ إذا ما بدا
ويا عارضاً كلما أطمعت بوارقه زاد قلبي صدى^(١)
أسرت فهللاً بحكم الكتا ب قضيت بالمنّ أو بالفدى
ولكن أبيت سوى قسوة يفوت بها قلبك الجلمدا^(٢)

* * *

٥٢ - غريب بن سعيد

أنشدني له [من مجزوء الكامل] :

وجد دخیل واکتئاب وفراق شمل واقتراب
ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخواني حجاب

(١) العارض : السحاب الممطر .

(٢) الجلمد : الصخر الصلب .

فإذا خلا وَجَّتْ عَلَيْهِ همومه من كلِّ باب^(١)
يا عاذلي لما رأى دمع العيون له انسكاب
ما لي على برج النوى جلدٌ فأقصرُ في العتاب^(٢)

وله [من المنسرح] :

ألا ن يوم الفراق قسوته
فخلت ما سال من مدامعه
لم يبك شوقاً لكن بكى حزناً
في مشهدٍ لو أطاق شاهده
حتى جرى دمعه وما شعرا
دراً على وجنتيه متشراً
لهول يوم الفراق إذ حضرا
فيه استتاراً لوجده استرا
إلاً اشتهاراً في الحب فاشتهدا
أبى أساه وفيض أدمعه

وقوله [من الطويل] :

أستودع الريح الجنوب تحيةً
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم
رعى الله أحباباً تألف شملهم
تعوّضت من أنسى بهم وحشة النوى
إليكم تؤذي من سلامي ومن شكري
فأهدت إلينا منكم أطيب النشُر
بقرطبة بين الرصافة والقصر
ومن قربهم قرب المهامه والقفار^(٣)

* * *

٥٣ - إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولم أنسها يوم الوداع ومسحها
أفانين تجري من دموعٍ ومن دمٍ
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا
بوادٍ دمع العين والعين تذرفُ
على الخد منها تستهلُّ وترعف
وكلُّ إلى كلِّ يلين ويعطف

(١) ولجت : دخلت .

(٢) الجلد : التصبر .

(٣) المهامه : القفار ، والنوى : البعد .

جعلنا هناك الهجر منا بجانبٍ وللبين داعٍ بالترحُّل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتركٍ من صبايةٍ ولكنتني عن حملها منك أضعف

قال : وحدث أن إدريس بن الهيم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنَّما أنسى إذا ما نأيتُم بأقرب من لاقينه بكم عهداً^(١)
إذا حصلتُ روعي إليكم وقد أتتُ على أرضكم ألفتُ على كبدي برداً
ويوحشني قرب الجميع وإنَّها لتأس نفسي إن ذكرتكم فرداً
وما كان قلبي إذ تبدتُ صخرةً فينبو الهوى عنه ولا حجراً صلداً^(٢)
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى عليها حِمَامٌ ما وجدت لها فقداً

* * *

٥٤ - محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظل الدمع من جزعٍ عليهم وقد بانوا يسحُ ويستهل^(٣)
سأبع إثرهم شوقاً إليهم وأقتصرُ المناهل حيث حلُّوا
فما لي أشكي بالبين منهم كأني ليس لي زادٌ ورحل

* * *

(١) النَّأي : البعد .

(٢) ينبو الهوى : يحافيه .

(٣) يسحُ : يهطل ويذرف .

٥٥ - قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الدار بنا بي واغتربُ ورماء الدهر رشقاً من كَثَبُ
بعدتُ عن دار ليلي داره وهو في جبل هواها مضطرب
فرجتُ نفسي أن تشفى بكم فرحة في الحب شييت بكرب
كنت لي بداراً بدا في سجنه طلع البينُ عليه فغرب^(١)

* * *

٥٦ - أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الرياح إن نفذ الصبر وشطَّتْ عن أرضها أوطاني
بلغتها تحيتي وسلامي وسلام الإله كلَّ أوانٍ

* * *

٥٧ - سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوى طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنه غرق الكثير وبعضه لم يفرق^(٢)
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز (من الكامل) :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

(١) السجف : الستائر ، والظلام .

(٢) المحاق : الوقت الذي يكون فيه القمر مخفياً .

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعوا الهودج للرحيل وأعتموا	فغدت لبيّنهم المدامع تسجم ^(١)
وسرّوا وأروقة الظلام تكتّهم	فكأنهم من تحت ذلك أنجم ^(٢)
واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى	فأبى نسيم المسك أن يستكتموا
ومن العجائب أننى متأخّر	عنهم وقلبي عندهم متقدّم
وهي النوى لم يبق لي من بعدها	غيرُ الهواء بنفحه أتسمّ
وإذا الصبا أسرت أقول لعلها	تلقاهم بتحيتي فيسلموا

* * *

٥٨ - عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقد هاجني للشوق نوح حمائم	مطوّقة من مشرقات الحمائم
وناحت وما أذرت دموعاً قد رأت	عيونى تجري بالدموع السّوام
إذا ما تراجعن الحنين حسبتها	نوادب رجّعن الصّدى في المآتم

* * *

٥٩ - سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

بنفسي من يجرّعني منوني	ويرجمني بأحجار الظنون
ويصرمني ولا يرثي لما بي	وينفي النوم ظلماً عن جفوني ^(٣)

* * *

(١) تسجم : تذرّف .

(٢) تكتّهم : تسترهم .

(٣) يصرمني : يهجرني .

٦٠ - عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له [من الكامل] :

أو مبيض برقٍ أم سيفٌ تبرق في عارضٍ أكنافه تتألقُ
ديمٌ إذا ارتدَّتْ إليك وجوهها أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترمي بأجفان الوميض كما انشت أجفان عاشقةٍ إلى من يعشق

* * *

٦١ - يحيى بن عباد البصري

قال [من الطويل] :

إذا بارقُ هاج الفؤاد المعذباً فطربَ قلباً هائماً فتطرباً
بنفسي بلادٌ رحت من نحو أرضها بعيني مشوقٌ ما ألدُّ وأطيباً
بلادٌ بها قلبي رهينٌ معذبٌ وإن جلَّتْ في الآفاق شرقاً ومغرباً^(١)

* * *

٦٢ - الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ريع قلبي لما ذكرت الديارا وتنوّرتُ بالنخيلات نارا^(٢)
وازدهتني ذات السنا بيروق من لظاها فما أطيع اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للننا ر وميض السعير منها استعارا

* * *

(١) جلّت : رحلت وتنقلت .

(٢) ريع قلبي : أي اضطرب .

٦٣ - يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب بينهم فتحملوا ونأى المحل بها فكيف تزارُ
بكروا وفي الأظعان يوم تحملو هنّ القصور تكنّها الأستار
صفر النحور من العبير روادعُ بيض الثغور كواعبُ أبكار^(١)

* * *

٦٤ - الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أيُّ طيفٍ في الكرى طرقا سام عيني الدمع والأرقا^(٢)
أنا أفدي من بجنح دجى جاب في ظلمائه الطرُفا
لي حظٌّ في زيارته لي لو أنّ الكرى صدقا

* * *

٦٥ - الديك النيري مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فمرحبا بالطارق قرّت به في النوم عين العاشقِ
طرق الخيال خيال ليلى موهنا رحلي ، فبات مُضاجعي ومُعاني^(٣)
ومنى المشوق أخي الصباية أن يرى وسان أو يقظان وجه العاشق

* * *

(١) روادعُ : متطيّبات بأنواع الطيب . والكواعب : النواهد .

(٢) سام : كلّف وترك وشغل .

(٣) الوهن : الضعف والإعياء .

٦٦ - أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له [من الكامل] :

هل تعتب الأيام منك بنظرة تغدو بسرّاء على ضرّاء
لولا محابة الخيال برقدة من طيفها لطوى الردى حوبائي^(١)
يا ليت أيام التّوى عادت كرى فأنال من طيف الحبيب شفائي

* * *

٦٧ - يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له [من السريع] :

يا بأبي طيفٌ سرى موهناً ودونه جوبُ الفلا والقفار
أكرم به من راحلٍ ذاهبٍ يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه شايع إمامه بطول مكثٍ دائم أو قرار
لكنه هيج نار الأسى ثم تولّى بفؤاد مطّار

* * *

٦٨ - الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صيرّ فؤادك للمحبوب منزلة سمّ الخياط مجال للمحبين^(٢)
ولا تسامحْ بغيضاً في معاملة فقلّما تسع الدنيا بغيضين

* * *

(١) الحوباء : النفس .

(٢) سمّ الخياط : أي مكان دخول الخيط في الإبرة « الفتحة » .

٦٩ - غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولي حبيبٌ هاجرٌ قاسي الفؤاد يسومني تعذيباً
لما درى أن الخيال مُواصلِي جعل السُّهاد على الجفون رقيباً
وله في عطش البحر [من السريع] :

إنّا إلى الله لقد نالنا همٌ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به نسكن في الماء ونشتاقه

* * *

٧٠ - محمد بن أبي الحسن العروضي

قال [من البسيط] :

لما تطلع بدر التم أذكرني بدرأ تطلّع وهناً من بني قطنِ
بدر تطلّع والآفاق مظلمةٌ فانجاب إظلامها عن وجهه الحسنِ
كم مهجةٍ أرهفت ألحاظ مقلته ومقلةٍ منعتها لذة الوسن^(١)

* * *

٧١ - إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال [من الطويل] :

سلامٌ على خِلٍّ أدين بحبّه وأصفيه من حلو الوداد وعذبه^(٢)
سلام امرئ أودى الفراق بصره ولجَّ فأودى بالفؤاد ولبّه

(١) المهجة : النفس ، والمقلة : العين ، والوسن : النوم والنعاس .

(٢) أصفيه : أخصّه .

لعلّ الذي شتّ الجميع بنأيه سيجمعنا بعد الشتات بقربه^(١)
وما الأخُّ بالأخّ الشقيق ، وإنّما أخوك الذي يعطيك حبة قلبه

* * *

٧٢ - محمد بن وafd

أنشدت له [من الوافر] :
كتابك هاج لي شوقاً عجيباً وأورثني الصبابة والنحيا
تغرّب عن أحبّته محبّاً فأصبح صبره عنه غريباً
فكيف بصبره والقلب منه يكاد من الصبابة أن يذوبا

* * *

٧٣ - خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :
والله لولا خطرات المنى ما طال يوماً عمر أهل الهوى
وإبابي من ظلّت من هجره مستشعراً ثوب الأسى والجوى

* * *

٧٤ - علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :
بيض كبيض الهند في أفعالها فلذاك قيل طباً وقيل ظباءُ
وترى محاسنها تروق كأنما نشرت عليها وشيها صنعاءُ

* * *

(١) الشتات : التباعد والفراق .

٧٥ - يحيى بن الفضل

قال [من الطويل] :

وسُقْنِ تثير الريح منها عجاجةً تظلُّ مياه الأرض وهي صعيدُها^(١)
تلوح كأمشال الشواهين حلَّتْ على دهم خيل قد أثيرت صيودها^(٢)
فللطير ما قد نشَرَّتْهُ قلوْعها وللخيل ما قد أظهرتْهُ قدودها
وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

لا تيأسنْ بوفاة مَنْ لم تنتفع بحياته
وليُجرِ عندك ميتاً مجراه قبل مماته
فوفاته كحياته وحياته كوفاته

* * *

٧٦ - أبو بطل

أنشدت له في الغدار [من الطويل] :

وعارضِ كافورِ تراه كأنما يدبُّ به من خالص المسك عقربُ
تنزهَ عن لسب الجلود ، وإنما يغوص على حبِّ القلوب فيلسب^(٣)
وقوله [من البسيط] :

جمعتَ مالاً ففكَّرْ هل جمعت له يا جامع المال أبواباً تفرِّقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلاَّ يوم تنفقه

(١) العجاج : الغبار .

(٢) الشواهين : الصقور . والأدهم من الخيل : الأسود ، والصيود : ما يصطاد بواسطة الخيل من

حيوانات كالبقر الوحشي والظباء وغيرها .

(٣) اللسب : اللسع .

إِنَّ الْقَنَاعَةَ مِنْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهَا لَمْ يَلْقَ فِي ظِلِّهَا هَمًّا يُؤَرِّقُهُ

وَأَنشَدْتُ لِبَعْضِ شِعْرَائِهِمْ^(١) فِي الْعَذَارِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

وَمَعَذِرٍ نَقَشَ الْعَذَارَ بِمَسْكِهِ خَدًّا لَهُ بَدَمَ الْقُلُوبِ مُضْرَجًا
لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّ سَيْفَ جَفُونِهِ مِنْ نَرَجَسٍ جَعَلَ النَّجَادَ بِنَفْسِجَا^(٢)

* * *

٧٧ - الْقُرْشِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْفَرَحِ

أَنشَدْتُ لَهُ [مِنَ الرَّمْلِ] :

رُبُّ كَأْسٍ قَدْ كَسَتْ جَنَحَ الدَّجَا ثُوبَ بَرْدٍ مِنْ سَنَاهَا يَقَقَا^(٣)
قُلْتُ أَسْقِيهَا رَشَاءً فِي جَفْنِهِ سِنَةٌ تَوْرَثُ عَيْنِي أَرْقَا
أَشْرَقْتُ فِي نَاصِعٍ مِنْ كَفِّهِ كَشَعَاعُ الشَّمْسِ وَافِي الْفَلَقَا
خَفِيتُ لِلْعَيْنِ حَتَّى خَلَّتْهَا تَتَّقِي مِنْ لِحْظِهِ مَا يَتَّقِي
أَصْبَحْتَ شَمْسًا وَفَوْهُ مَغْرَبًا وَيدُ السَّاقِي الْمَحْيِي مَشْرِقَا
فَإِذَا مَا غَرِبْتَ فِي فَمِهِ تَرَكْتُ فِي الْخَدِّ مِنْهُ شَفَقَا
خَلَعَ الْبَرْقَ عَلَى أَرْجَائِهِ ثُوبَ وَشِيٍّ مِنْهُ لَمَّا بَرَقَا

* * *

٧٨ - إِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِبَادِ اللَّيْزِيِّ

أَنشَدْتُ لَهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْغَرْبِ مَنْقُطَعُ الذِّكْرِ بَعِيدٌ مِنَ الْأَهْلِينَ فِي بَلَدٍ قَفْرِ

(١) هو أحمد بن عبد ربه ، وقد مرّ ذكر هذين البيتين في ترجمته ، وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لهما في

« ب » .

(٢) النجاد : حائل السيف .

(٣) اليقق : الأبيض الشديد البياض .

تذكر في أهل الجزيرة أهله
فصوت حمام في الغصون كأنما
لئن كن ما تجري لهن مدامع
فهيجه طول التشوق والفكر
ندبـن قتيلاً أو روين من الخمر
فكل غريب الدار أدمعه تجري

* * *

٧٩ - عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا
تغن ولا تنشج فالفك حاضر
بكيت بلا دمع وترفض مقلتي
وقلبك خلوا من تباريح لوعتي
وغصنك نضر والجناب مريع^(١)
قريب وإلـفي غائب وشسوع^(٢)
شآبيب منها في المصيف ربيع^(٣)
وقلبي بلوعات الفراق صريع

* * *

٨٠ - المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألم ترني بعث المقامة بالسرى
وبدگت بعد الزعفران وطيه
فلا تحسبوا أنني شغلت بلدق
ولین الحشايا بالخيول الضوامر^(٤)
صدا الدرع من مستحكات المسامر
ولكن أطعت الله في كل كافر

* * *

(١) الأيك : الشجر الملتف .

(٢) تنشج : تبكي وتصور حزنًا ، وشسوع : أي بعيد .

(٣) شآبيب : الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٤) البرى : المسير ليلاً ، والضوامر : الهزال .

٨١ - الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلى رجبٍ أو غرة الشهر بعده توافيكمُ بيض المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينها بشرذمة جبريل فيها يقودها

* * *

٨٢ - القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

* لا تلمني على البكا والعيول *

فعلت زفرتي وطال انتحابي وبدت لوعتي وهاج غليلي
ولنعم البلاد للنازح الأو طان دمعُ جرى برغم العذول
وقيحُ صبر الخليل أخي الوجـد عن الدمع عند ذكر الخليل
وبنفسني نائي المحل قريبُ من فؤادٍ صبَّ وجسمٍ نحيل
كان بيني وبينه البحر والقفر ووخذ السرى وطول الذميل^(١)
يا قليل الإنصاف في الهجر مهلاً إنَّ وجدي عليك غير قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادُّكَّارك من وُرُقٍ مغرَّدٍ على قضيبٍ بذات الهضب مَيَّاسٍ
هَجَّنَ الصَّابِية لولا همة شرفتُ فصيرت قلبه كالجنْدَلِ القاسي^(٢)

* * *

(١) الوجد : ضرب من العدو . والذميل : السريع .

(٢) الجنْدَل : الصخر .

٨٣ - محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتك أمك هل سمعت مخلداً أم هل رأيت مصححاً لم يسقم
أم هل رأيت من البرية ناشئاً نال الذي في مدق لم يهرم
فدع الأمانى إنها مكذوبة واجعل دعاءك للسبيل الأقوم
أي امرئ يرجو البقاء وقد رأى آثار عاد في البلاد وجرهم^(١)



٨٤ - أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال [من الطويل] :

لئن غاب عن عيني وأعجز ناظري لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتالله لو أستطيع ، محض مودة، لأحللته قلبي وأسكنته صدري^(٢)
أتنتي بصفو الود منه صحيفة تخبر عن ود وتنطق عن بر
تضمنها من جوهر الشعر حكمة بها سحرت من كاد ينفث بالسكر
يطول لها لفظ الذكي بلاغة ويقصر بالراوي لها طائل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبل فإن اليوم يوم دجن إلى محل كالضمير المكني
ساكنه كطائر في وكن لعلنا نعلم أدنى وفن^(٣)

(١) عاد وجرهم : من القبائل البائدة .

(٢) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللتها وما عطف عليه .

(٣) الوكن : عش الطائر ، الوفن : القلة في كل شيء .

في مجلسٍ مزخرفٍ ذي كنٍّ فانت في سنِّك دون سني^(١)

* * *

٨٥ - أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لما عدمت مواسيا وجليسا جالست بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كُتُبهما شفاء تفرُّجي وهما الشفاء لكلِّ جرحٍ يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مواهب خالقي
ومن بعد إشرافي على ملكوته أرى طالباً شيئاً إلى غير رازقي
وقد آذنت نفسي بتقويض رحلها واعنف في سوقي إلى الموت سائقي
وإنِّي وإن أيقنت أو زغت هارباً عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي

* * *

٨٦ - الحسن بن محمد بن بابل

ال. [من الطويل] :

ألا ما لجسمي قد علاه شحوب وما بال أحشائي توقُّدٌ لوعةٌ
وما ذاك إلا أن رمتني يد النوى وأنِّي في أرجاء مصر غريب
أراعي نجوم الليل لا آف الكرى كأني على رعي النجوم رقيب
إذا ما دعوت الدمع يوماً أجابني وإن رمت دعوى الصبر ليس يجيب

(١) الكنّ : الستر .

وإن رمت كتمان الذي بي من الأسى جرى هاطلٌ من مقلتي سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهر منزلاً تبوَّاه بعد الفراق حبيب^(١)
وهل أَرَدَنْ يوماً مياهُ رصافةٍ وهل يصفونُ لي عيشها ويطيب

* * *

٨٧ - عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى ، وكان
عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيتِه فأبطأ عليه [من المديد] :

يا سليل الأكرمين ومن فضله فرضُ فما منه بدُ
أزف العيد وعودتم الكُـبش داري والحبل معد^(٢)
ولقد أبرزت مدينتنا فهي من قبل الصباح تحد^(٣)
خيمك الفضل وقد حكموا أنك الفرد وما لك ند^(٤)
فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة .

* * *

٨٨ - محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من
البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طفقت به الخلافة والأيام تبسمُ

(١) تبوَّاه : حلَّه وأقام فيه .

(٢) أزف العيد : قرب .

(٣) المدية : السكين .

(٤) الند : المثيل .

ومن به أمن الرحمن بلدتنا
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت
حتى إذا قنط الإسلام وانبسطت
هبت به ريح نصر الله عن كذب
وجرد السيف فانحازت لسلته
إذا تبسم فالأموال عابسة
فأي بلدة شرك أمها قدماً
بقيت للدين والدنيا تسوسهما

من بعد أن فارقت ملكاً لها العجم
عنهم عوائد صنع الله والنعم^(١)
أعداؤه واستبيحت منهم الحرم
للدين واستيقظت من نومها الهمم
من الجسوم طلى الأعناق والقمم^(٢)
أو صال ماتت له الأبطال والبهم
ولم يحل بها في عقرها النقم ؟
ما حنت النيب أو ما أورك السلم^(٣)

* * *

٨٩ - موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المتمى للعطر قدك فقد
زعمت أنك محسود على نعم
فرب ذي نقم يعتدّها نعماً
قذفت أعراض قوم جاهلاً بهم
وقلت إنك قد فارقتهم وهم
فما حماك اغتيال القوم فضلهم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من

قدحت نيران بغى سوف تضطرم
أوليتها ومحال أنها نعم
بجهله وهي إمّا حُصّلت نقم
يا ظالمًا وهم أعلام عصرهم
في حيث قدرك إمّا حصلوا رخم^(٤)
ولا تحرّجت فيمن عرضه حرم
وما استزلّك إلّا فرط حلمهم
فيه حشاشة إيمان ولا كرم^(٥)

(١) خامر : داخل .

(٢) سل السيف : شهر من غمده .

(٣) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة والسلم : من شجر البادية .

(٤) الرخم : طائر يشبه النسر كثير الريش أبيض اللون مبّع بسواد .

(٥) الحشاشة : بقية الروح والنفس .

ما حصحص الحق فيما قد أتيت به لكنها ظلمات فوقها ظلم^(١)
وعن قريب ستجني غباً ما غرست يداك فالبغي غرس طعمه وخم^(٢)

* * *

٩٠ - حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها في ابن أبي عامر [من البسيط] :

لا ضيَّعَ لله للمنصور مالكنّا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظر
في كلّ يومٍ له في المسلمين يدٌ غراء تخبر عن أفعاله الغرر^(٣)
فيا لها فرجةٌ عمّت طوالها كما يعمّ ضياء الشمس والقمر^(٤)
لا زالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* * *

٩١ - أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له [من الكامل] :

ثَقُلْتَ نفسك بالذنوب ودونها جسرٌ لعمرِكَ ما تحير ثقيلاً
يا بانيَ الغرفِ التي قد عطلت - لو كنت تعقل - دينها تعطيلاً
فاقصده إنَّك ميتٌ ومشاهدٌ يوماً عليك من الحساب طويلاً
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ فلمن بناؤك إن أردت رحيلاً

* * *

(١) حصحص الحق : ظهر وبان .

(٢) غبّ : عاقبه .

(٣) الغرر : البيض .

(٤) فرجة : فسحة .

٩٢ - أبو محمد الباجي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من آخر وقلت أكافيه فأين التفاضل^(١)
ولكنني أغضي جفوني على القذى وأصفح عما رابني وأجامل^(٢)
متى أقطع الإخوان في كل عثرة بقيت وحيداً ليس لي من أوصل
ولكن أداريه فإن صحَّ سرني وإن هو أعيأ كان عنه التجامل

* * *

٩٣ - عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له [من الكامل] :

لما قدمت وقال بعض صحابتي قد جاء من عقلت يمينك حبله^(١)
قالت فعيده بيتها يمم أبا إسحق سيدنا وقبل نعله
نفسى تعاود نيله الغمر الذي هو أهله وعسى به ولعله^(٢)

* * *

٩٤ - عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إن الناس في أسف إذ ليس بعدك للإسلام من خلف^(١)
وقد مضت لك أيام ثمانية أشقى لها الناس من وجد على التلف
خوفاً لعلَّ حبرٍ ليس يشبهه من البرية إلا خيرة السلف^(٢)

(١) أغضي : أعض وأطرق ، والقذى : ما يقع في العين من الأذى ، ورابني : جعلني أشك فيه .

(٢) الغمر : العطاء الوفير .

(٣) الحبر : العالم الجليل .

أضحى الضلال بإبراهيم متضعباً وصار بالمشرفي الدين ذا شرف

* * *

٩٥ - أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إني رأيت لك اليو م يا كريماً أجله
طفلاً عليه حياءً وفي الحيا الخير كله
سقيته الحلم لدناً والفرع يسقيه أصله^(١)
لا زلت أثني عليه دهري بما هو أهله
فبارك الله فيه وفي محل يحله

* * *

٩٦ - محمد بن وهيب البدسمي

أنشدت له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكننا^(٢) عقد هذا النكاح لشاركتنا في الحسنة ، فقال : نعم وكرامة ، وكيف تريد ذلك : منشوراً أو منظوماً ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لي : إي والله . وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره . ولا أخليه من البسمة في افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه ، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق [نظماً] لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ على نصها في

(١) لدناً : يافعاً طرياً .

(٢) كذا ، ولعله أمليتنا .

الصدقات قديماً . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيح وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به ، وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه .

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر ، فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً ، وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهي [من الطويل] :

لأصدق عبد الله نجل محمد	فتى أمويّ زوجه البكر مريما
وأمرها عشرين عجل نصفها	دنانير يحويها أبوها مسلماً
وأنكحها منه أبوها محمد	سلالة إبراهيم من حيّ خثعما ^(١)
وباقى صداق البكر باقٍ إلى مدى	ثلاثة أعوام زمانا متمماً ^(٢)
مؤخرة عنه يؤدي جميعها	إذا لم يكن عند التطلب معدما
ومن شرطها أن لا يكون مرحلاً	لها أبداً عن دارها أين يمما
وأن لا يرى حتماً بشيء يضرها	يصرف فيه الدهر كفاً ولا فما

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه ، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مراتبهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف ، وهذه مادة عظيمة .

* * *

٩٧ - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر ، وله كتب مؤلفة

(١) خثعم : اسم قبيلة .

(٢) الصداق : المهر .

منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس
والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم
الزبيدي ، وله كتاب الأبنية في النحوليس لأحد مثله ، وكان الشعر أقل أدواته .

فما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسرُ فإنك إن سرت لاقيت ضرًا
فإن كان يعلم أتني جسير فقد جاء بالنهي لغواً وهجراً
وإن كان يجهل سيري فكيف يراني إذا سرت لاقيت شرًا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي
قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة
من غريب كلامهم ، وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ذو جسد في رأس نيقٍ منيف^(١)
وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن ناراً ولا جنةً للمرء إلا أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ ناء لمن يسمع أو يبصر
وقوله [من السريع] :

الفقر في أوطاننا غربةٌ والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلُّها واحدٌ والناس جيران وأخوان

* * *

(١) صرف النوى : كتابة عن الصروف والأحداث ، والنيق : أعلى موضع في الجبل ، والمنيف : الشاهق
المطل . .

٩٨ - محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد [من الوافر] :

لقد فاز الموفق للصواب	وعاتب نفسه قبل العتاب
ومن شغل الفؤاد بحب مولى	يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعز	من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكر في الممات فعن قريب	ينادى بالرحيل إلى الحساب
وقدّم ما تُرجى النفع منه	لدار الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغترّ بالدنيا فعمّا	قريب سوف يؤذّن بالخراب

* * *

٩٩ - الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريمين

أنشدت له قوله في الزهد [من الخفيف] :

أيها المرء إنّ دنياك بحر	طافحٌ موجه فلا تأمنّها
وسبيل النجاة فيها مهين	وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

خليليّ إنّ الذي تعلمانه	زمان التصابي وانطلاق عنانه
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى	فهل من مجيرٍ مخبرٍ بأمانه ^(١)
رأى مجيرٍ غير من قد عصيته	فيا أسفى أن لم يعد بحنانه

وقوله [من الطويل] :

وذي حرقٍ زادت به زفرائه	إذا ما سطت في قلبه خطرائه
-------------------------	---------------------------

(١) من بحير : من حام وحافظ

له في دجى الإِظلام خلوة مخلصٍ
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له
وإن لحظت عين اليقين معاده
بنفسي وليُّ أنه بمليكه
وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرُّك دنيا أنت منها مرَّحل عن قريب
وإذا المرء لم يقصِّر خطاه في أمانيه فهو غير لبيب

* * *

١٠٠ - أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل] :
قف بالمطيِّ على مغاني الدار ليس الوقوف على الرسوم بعارٍ
يفنول فيها :

أنت الذي أنقذتنا من بعدما كنّا جميعاً تحت جرفٍ هارٍ^(١)
ونهضت نحو المارقين بجحفلٍ جمٍّ أولي عزمٍ وذو استبصارٍ
باعوا النفوس لنصردين محمدي فكأنهم في الحرب أسد الزار
وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحاً للردى حتى رموا من جيشك المنصور بالاعصار

(١) الهنة : خصلت شره .

(٢) جرف هار : كناية عن الخطر الشديد أي أنهم كانوا على وشك الهلاك .

(٣) الزار : من الزئير ، وهو صوت الأسد .

الله أركسهم وفرّق شملهم حتى أحلّهم^(١) بدار بوار^(٢)

* * *

١٠١ - محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز

المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان - مع ذلك - حافظاً للفقّه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضلّه ويعظمه ، ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرني أبو سعيد بن دوست قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجاً منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه بيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك
فأجابه مسرعاً [من البسيط] :

من منزل يعجب التّسّاك خلوته وفيه سترٌ على الفَتّاك إن فتكوا
قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيعي وأستاذي ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضُحىً أناخوا بوادي الطلح غيرهمُ فأوردوها عشاءً أيّ إيراد^(٣)
أكرم به وادياً حلّ الحبيب به ما بين رند وصفصاف وفرصاد^(٣)

(١) أركسهم : أهلكهم وبَدَدَهم والِبوار : الهلاك .

(٢) أناخوا : حطّوا الرّحال والعير : الدواب .

(٣) الرند : شجرٌ طيب الرائحة ، والفرصاد : هو المعروف في بلادنا باسم التوت .

يا وادياً سار عنه الـركب مـرتحـلاً بالله قل أين سار الـركب يا وادي
أبالحمى نزلوا أم باللّوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خُلْفاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي لينهم سقماً وقد قطعوا بالبين أكبادي

* * *

١٠٢ - أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً ، وأديباً ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة
والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدني الوليد بن بكر قوله [من
الكامل] :

يا من يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم
رغّت العدو فما مثلت له إلا تفزع منك في الحلم^(١)
أضحى لك التدبير مطرداً مثل أطراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره فراك مطّلعاً مع النجم
وقوله [من الوافر] :

ومعتزل تهزّ له المنايا ذكور الهند في أيدي ذكور^(٢)
لوامع يبصر الأعمى سناها ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذوائب قد أقامت على حمراء ذات شبا طير^(٣)
نجوم تحتها عقبان موتٍ تخطّفت القلوب من الصدور
يوم راح في سربال ليلٍ كما عرف الأصيل من البكور

(١) رغّت : أخفت .

(٢) ذكور الهند : سيوفها .

(٣) الشبا الطير : الطرف الحاد من السنان .

وعين الشمس تدنو في قتامٍ
فكم قصَّرتَ من عمرٍ طويلٍ
دُئُوْ الإنف ما بين الستور
به وأطلتَ من عمرٍ قصيرٍ

وقوله [من البسيط] :

كم ألحم السيف من أبناء ملحمةٍ
فأورد النار من أرواح بارقةٍ
كأنما صال في ثني مفاضته
لما رأى الفتنة العمياء قد دخنتُ
وأطبقت ظلمً من فوقها ظلمُ
قاد الجياد إلى الأعداء ساريةً
ملمومةً تتبارى في ملممةٍ
تفوت بالثأر أقواماً وتدركه
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم
كتائبٌ تتبارى حول رايته

ما منهم فوق ظهر الأرض ديارُ
كادت تَمِيزُ من غيظٍ بها النار
مستأسدٌ حنق الأحشاء هرَّارُ^(١)
منها على الناس آفاقٌ وأقطار
ما يستضاء بها نورٌ ولا نار
قباً طواها كطيَّ العصب إضمارُ^(٢)
كأنها لاعتدال الخلق أقمار
من آخرين إذا لم يدرك الثار
وحوله من جنود الله أنصار
وجحفلُ كسواد الليل جرارُ

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعترلُ ضنكٍ تساقت كمامته
يديرونها راحاً من الراح بينهم
وتسمعهم أمّ المنية وسطها

كؤوس المنايا من كلِّى ومفاصل^(٣)
بيضٍ رقاقٍ أو بسمِ ذوابل^(٤)
غناء صهيل البيض تحت المناصل

(١) المفاضة : الدرع الوافية . وهرَّار : مكشَّر عن أنيابه .

(٢) قباً : من القَبِّ ، وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل . والعصب : نوعٌ من الثياب المخطَّطة .

(٣) الضنك : الشديد الصعب ، والكمامة : الفرسان والأبطال .

(٤) البيض والسمر : السيوف والرماح .

وقوله [من الطويل] :

بكلّ ردينيّ كأنّ سنانهُ
تقاصرت الأجال في طول متنهُ
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنّه
وذي شُطبٍ تقضي المنايا بحكمه
فرندُ إذا ما اعتن للعين راكد
يسلّل أرواح الكماة انسلاله

وقوله [من السريع] :

بكلّ منشورٍ على متنهُ
يرتدُّ طرف العين عن حدّه

وقوله [من الطويل] :

كريمٌ على العلاتِ جزلُ عطاؤه
وما الجود من يعطي إذا ما سأله

وقوله [من السريع] :

من يُرتجى بعدك أو يتّقي
إن عشت عاش الناس في نعمةٍ

وقوله في الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنفده الليالي
فأسوده يصير إلى بياضٍ

(١) الرديني : الرمح .

(٢) وذي شطب : كناية عن السيف .

وقوله [من البسيط] :

هل من جديدٍ على كَرِّ الجديدين^(١)
فأطيب العيش وصل بين إلفين
فربما ضاقت الدنيا على اثنين

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم
صِلْ من هويتَ وإن أبدى معاتبَةً
واقطع حبائل خلٍّ لا ثلاثمه

وقوله يرثي ولده [من الكامل] :

والصبر ينفد والبكا لا ينفدُ
ولقائه حتى القيامة موعد
لو كان ضم أباك ثم الملحد
هيهات أين من الحزين تجلّد

بليت عظامك والأسى يتجدّد
يا غائباً لا يرتجى لإياه
ما كان أحسن ملحداً ضُمَّتُهُ
باليأس أسلو عنك لا بتجلدي

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

وأحرقته لواعج الكمد^(٢)
أعذر من والدٍ على ولد
دفنتُ فيه حشاشتي بيدي
من لم يصل ظلمه إلى أحد
وأَيَّ روحٍ نزعَت من جسدي
قبل طلوع السّواء في العدد^(٣)
وأَيَّ عينٍ عليه لم تجدِ؟
فُجِعْتُ بالصّبر فيه والجلد
يقدح نارَ الأسى على كبدي

واكبداً قد تَقَطَّعت كبدي
ما مات حيٍّ لميتٍ أسفاً
يا رحمة الله جاورني جدّاً
ونُورِي ظلمة القبور على
أَيَّ حسامٍ أخذت رونقه
يا قمرأً أجحف الخسوف به
أَيَّ حشَى لم يذب له أسفاً؟
لا صبر لي بعده ولا جلدُ
يا لوعةً لا يزال لاعجُها

(١) كَرِّ الجديدين : أي تقلّب الليل والنهار .

(٢) لواعج الكمد : حرقه الحزن والهم .

(٣) أجحف : ظلم وأضرّ ، وليلة السّواء : هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا لهفا على ميت مات السرور به
واهأ عليك أبا بكرٍ مرددةً إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني يا أطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً

وقوله في التحجب إلى الناس [من الكامل] :

وجهٌ عليه من الحياء سَكِينَةٌ ومحبّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبةً للناسِ

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن نال منك السقم ما سألَا قد يكشف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكي علّةً في الدهر واحدةً إلا اشتكى الجود من وجدها عللا

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
دعني أصنّ حرّاً وجهي عن إذالته وإن تغرّبت عن أهلي وعن ولدي^(٣)

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا كريمٌ رأى الدنيا بكفّ لثيمِ

(١) امتلا أصله امتلاً - بالهمز - مخفّف الهزمة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، لضرورة الشعر .

(٢) الشجن : الحزن .

(٣) إذالته : إهانته وابتذاله .

أرى كلَّ قدمٍ قد تبجَّح في الغنى
وقوله في الشيب [من الوافر] :

بدا وَضَحُ المشيب على عذارِي
وألْبَسني النهى ثوباً جديداً
شريت سواد ذا بياض هذا
وما بعث الصبا بيعاً بشرط

وقوله في الشباب [من الكامل] :

ولَّى الشباب وكنت تسكن ظلَّهُ
وأنَّه المشيب عن الصبا لو أنه
وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودَّعني
أيام لهوي كظلٍّ أسجلةٍ
وداع من بان غير منصرفٍ
واذ شبابي كروضةٍ أنفٌ^(١)

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابي كيف صرت إلى نفاذ
وما أبقى الحوادث منك إلا
فراقك عرَّف الأحزان قلبي
كأنني منك لم أربعٍ أربعٍ
وبدَّلت البياض من السوادِ !؟
كما أبقت من القمر الدآدي^(٢)
وفرَّق بين عيني والرقاد
ولم أرتدُّ به أحلٍ مراد
وغادى نبتة صوب الغوادي^(٣)
سقى ذاك الرِّبا وبلَّ الثريا

(١) القدم : الأحمق .

(٢) كظلٍّ أسجلة : أي الظل الواسع المتدلي ، والروضة الأنف : التي لم ترع .

(٣) الدآدي : الليالي الشديدة الظلام .

(٤) الويل : المطر ، وصوب الغوادي : مطر السحاب .

وكان الغيّ فيه من رشادي
وكم لي من عويل فيك بادي

زمانٌ كان فيه الرشد غيًّا
فكم لي من غليل فيك خافٍ

وقوله [من البسيط] :

فقد تحيرُ فكري بين هذينِ
وبحر جودك ممتدُّ العنانينِ
فقلت شتان ما بينَ اليزيدينِ

فكرتُ فيك أبحرُ أنت أم قمرُ
إن قلت بحرُ وجدت البحر منحرُ
أو قلت بدرُ رأيتَ البدر منتقصُ

وقوله في الزهد [من السريع] :

أخوف من أن يعدل الحاكمُ
وليس لي من دونه راحم
أسرف إلا أنه نادم

يا ويلتها من موقف ما به
أبازر الله بعصيانه
يا رب عفواً منك عن مذنب

وقوله [من الوافر] :

وأنت من الهلاك على شفيرٍ^(١)
به يردى إلى أجل قصير
تريك مكان قبرك في القبور
فإن الحزن عاقبة السرور
بعاريةٍ ترد إلى معيرٍ^(٢)
ودار الحق من دار الغرور

أتلهو بين باطيه وزير
فيا من غره أملٌ طويلُ
أتفرح والمنية كل يومٍ
هي الدنيا وإن سرتك يوماً
ستسلب كل ما جمعتَ فيها
وتعتاض اليقين من التظني

وقوله [من السريع] :

وأعينُ مكحولةٌ بالهجوم^(٣)

مدامع قد خدّدت في الخدودُ

(١) الباطية : الحمر وأوانيتها والوزير : إناء الخمر .

(٢) العارية : الأمانة ، أو الشيء المستعار .

(٣) خدّدت : تركت آثاراً وأخاديداً لمجرأها .

فبادروا خشية ذاك الوعيد
يكون من خوف عقاب المجيد
ما قابلت أعينهم في السجود

ومعشر أوعدهم ربهم
فهم عكوف في محاريبهم
قد كاد أن يعشب من دمهم

وقوله في الغزل [من الطويل] :

وقد قام من عينك لي شاهدا عدل
بعينه سحر فاطلبوا عنده ذلي^(١)
أطالبه فيه أغار على عقلي
ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي
فيعجبني هجر الذُّ من الوصل
بماء البلا هذا يخطُّ وذا يمي
ولكن ذاك الجور أحل من العدل
فلا شيء أشفى في فؤادي من العذل
إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي
فجرّده ثم اتّكيت على النصل^(٢)
فأنت الذي عرّضت نفسك للقتل

أتقتلني ظلماً وتجدني قتلي
أطلاب ذلي ليس بي غير شادن
أغار على قلبي بعينه شادن
بنفسي التي ضئت عليّ بوصلها
إذا جثتها صدت حياء بوجهها
كتمت الهوى جهدي فحرّره الأسى
وإن حكمت جارت عليّ بحكمها
وأحببت فيها العذل حباً لذكرها
أقول لقلبي كلما ضامه الأسى
برأيك لا رأيي تعرّضت للهوى
وجدت الهوى نصلاً لموتي مغمداً
فإن كنت مقتولاً على غير ريبة

وقوله ، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسب [من الكامل] :

حوراء راعتها النوى في حور
نظرت إليك بمقلتي أمانة
حكمت لواحظها على المقدور
وتلفّست بسوالف اليعفور^(٣)

(١) الذحل : الثأر .

(٢) النصل : السيف والرمح وكلّ ماله حدّ ، ومغمداً : أي في غمده . . وغمد السيف : حيث يوضع
وعاؤه وبيته .

(٣) الأمانة : الظية . واليعفور : الغزال ، وولد البقرة الوحشية .

وكأنما غاص الأسى بجفونها
وقوله [من الكامل] :

أدعو إليك فلا دعاء يسمع
للورد حين ليس يطلع دونه
من لي بأحور ما يبين لسانه
منع الكلام سوى إشارة مقلّة
وقوله [من الطويل] :

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر
وجه أعار البدر ذلّة حاسد
وقوله في النحول [من الكامل] :

لم يبق من جثمانه
قد رقّ حتى ما يرى

وقوله في البين [من الوافر] :

فررت من اللقاء إلى الفراق
سقاني البين كأس الموت صرفاً
فيا برد اللقاء على فؤادي
وقوله في نوح الحمام [من الطويل] :

ويحتاج قلبي كلما كان ساكناً
وإن ارتياحي من بكاء حمامة

حتى أتاك بلؤلؤ مشور

يا من يضرّ بناظريه وينفع
والورد عندك كل حين يطلع
خجلاً وسيف جفونه لا يقطع^(١)
منها يكلمني وعنّها يسمع

وطرف إذا ما فاه ينطق بالسحر
فمنه الذي يسود في صفحة البدر

إلا حشاشة مبتسّس
بل ذاب حتى ما يحس

فحسبي ما لقيت وما ألاقي
وما ظني أموت بكف ساقبي
أجرني اليوم من حرّ الفراق

دعاء حمام لم يبت بوكون^(٢)
كذي شجن داويته بشجون

(١) الأحور : من الحور وهو شدة سواد العين وشدة بياضها معا .

(٢) الوكون : جمع وكن وهو : العش .

كَأَنَّ حَمَامَ الْأَيْكَ لَمَّا تَجَاوَبَتْ حَزِينٌ بَكَى مِنْ رَحْمَةِ الْحَزِينِ
وقوله فيه [من الطويل] :

أَنَا حَتَّ حَمَامَاتِ اللَّوَى أَمْ تَغْتَتِ
فَدَيْتِ التِّي كَانَتْ وَلَا شَيْءَ غَيْرَهَا
وقوله فيه [من الطويل] :

لَقَدْ سَجَعْتُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةً
لَكَ الْوَيْلُ بَلْ هَيَّجَتْ شَجْوِي بَلَا جَوَى
وَأَسْكَبْتُ دَمْعاً مِنْ جَفُونِ مَسْهَدٍ
وقوله في الرياض [من الطويل] :

وَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ حَاكٌ لَهَا النَّدَى
يَقِيمُ الدَّجْسَى أَعْنَاقَهَا وَيَمِيلُهَا
إِذَا ضَا حَكَّتْهَا الشَّمْسُ تَبْكِي بِأَعْيُنٍ
حَكَتْ أَرْضَهَا لَوْنُ السَّمَاءِ وَزَانِهَا
بِأَطْيَبِ نَشْراً مِنْ خِلَائِقِكَ الَّتِي
وقوله في التضمين [من الطويل] :

وَرَوْضَةٌ وَرَدَّ حَفٌّ بِالسَّوْسَنِ الْغَضُّ
رَأَيْتُ بِهَا بَدْرًا عَلَى الْأَرْضِ مَاشِياً
إِلَى مِثْلِهِ تَصْبُو إِذَا كُنْتَ صَابِياً
تَحَلَّتْ بِلَوْنِ السَّامِ وَالذَّهَبِ الْمُحَضُّ^(١)
وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَطُّ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
فَقَدْ كَادَ مِنْهُ الْبَعْضُ يَصْبُو إِلَى الْبَعْضِ

(١) اللَّوَى : ما التوى وانعطف وانثنى من الرمل أو مسترقه .

(٢) فِي كُلِّ شَارِقٍ : أَيِ عِنْدَ كُلِّ شُرُوقٍ .

(٣) الْحَمَالِقُ : بَاطِنُ أَجْفَانِ الْعَيْنِ .

(٤) السَّامُ : عُرُوقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

على أنه يجزي المحبة بالبغض
حنانيك بعض الشر أهون من بعض «

وقوله [من الطويل] :

موردّو تسعى بلونٍ موردٍ
تُصلّ له من غير طهرٍ وتسجد
كأقراط درّ في قضيب زبرجد
وعنها فسلّ لا تسأل الناس عن غد
ويأتيك بالأخبار من لم تزود «^(١)

وقوله [من الطويل] :

قريبٌ وهل من لا يرى بقريب
وأيّ حبّ خان عهد حبيب
قضيب من الريحان فوق كثيب
أطعني وخذ من حظها بنصيب
وما كلُّ مؤتٍ نصحه بليب «

وقوله [من المديد] :

واشتغالي بك عن كلّ شغلٍ
وقضيباً فوق دعصة رمل^(٢)

وقوله [من المديد] :

لا عليها بل عليك السلام

وقل للذي يفني الفؤاد بحبه
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

وحاملةٍ راحا على راحة اليد
متى ما ترى الاٍريق للكأس راكعا
على ياسمينٍ كاللّجين ونرجسٍ
بتلك وهذي قاله يومك كلّهُ
« سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

أيقتلني دائي وأنت طيبي
لئن خنت عهدي إنني خير خائنٍ
وساحبةٍ فضل الذّبول كأنها
إذا برزت من خدرها قال صاحبي
« فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه

يا طويل الهجر لا تنس وصلي
يا هلالاً فوق جيد غزالٍ

يا وميض البرق بين الغمام

(١) البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور .

(٢) دعصة الرمل : التلّة والكثيب .

إِنَّ فِي الْأَحْدَاجِ مَقْصُورَةً وَجْهَهَا يَهْتَكَ سِتْرُ الظَّلَامِ
تَحْسِبُ الْهَجْرَ حَلَالاً لَهَا وَتَرَى الْوَصْلَ عَلَيْهَا حَرَامِ
مَا تَأْسِيكَ لِدَارٍ خَلْتَ وَلشَعْبٍ شَتَّ بَعْدَ التَّثَامِ^(١)
إِنَّمَا ذَكَرَكَ مَا قَدْ مَضَى ضِلَّةٌ مِثْلُ حَدِيثِ الْمَنَامِ

وقوله [من المديد] :

يَا عَاتِباً صَرْتُ لَهُ عَاتِباً رَبِّ مَطْلُوبٍ غَدَا طَالِباً^(٢)
مَنْ يَتَبَّ عَنْ حُبِّ مَعْشُوقِهِ لَسْتُ عَنْ حُبِّي لَهُ تَائِباً
فَالْهَوَى لِي قَدْرٌ غَالِبٌ كَيْفَ أَعْصِي الْقَدْرَ الْغَالِبَا
سَاكِنُ الْقَلْبِ وَمَنْ حَلَّهُ أَصْبَحَ الْقَلْبُ بِهِ ذَاهِبَا

وقوله [من المديد] :

أَيُّ تَفَاحٍ وَرَمَانٍ نَجْتَنِي مِنْ خُوطِ رِيحَانٍ^(٣)
أَيُّ وَرْدٍ فَوْقَ خَدٍّ بَدَا مُسْتَتِيراً فَوْقَ سَوْسَانٍ
وَتَنْ يُعْبَدُ فِي خَلْقِهِ صَيْغٌ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانٍ
مَنْ رَأَى الذَّلْفَاءَ فِي خَلْقِهِ لَمْ يَرِ الْحَدَّ عَلَى الزَّانِي^(٤)
« إِنَّمَا الذَّلْفَاءُ يَاقُوتَةٌ أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسٍ دِهْقَانٌ »^(٥)

وقوله [من المديد] :

مَنْ مَحَبٍّ شَفَهُ سَقَمُهُ وَتَلَاشَى لِحْمِهِ وَدَمَهُ

(١) شت : تفرق .

(٢) زاد في أول هذا البيت سبباً خفيفاً وهذه الزيادة سائغة عند أهل العروض .

(٣) الخوط : الغصن الناعم .

(٤) الذلفاء : إسم . علم ، والذلف : صغر الأنف واستواء طرفه .

(٥) الدهقان : التاجر .

كاتبٌ حنَّتْ صحيفته وبكى من رحمةِ قلمه
يرفع الشكوى إلى قمرٍ تنجلي عن وجهه ظلمه
حلُّ عقلي يا مسفه إنَّ عقلي لست أتهمه
« للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادني لومك إصرارا إنَّ لي في الحب أنصارا
طار قلبي من هوى رشاً لو رثى للقلب ما طارا
خذ بكفِّي لا أمت غرقاً إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ودموعي تطفئ النارا
« رب نار بتُّ أرمقها تقضم الهندي والغارا »^(١)

وقوله [من البسيط] :

يا ليلةً كان في ظلماتها نور إلّا وجوهاً تضاهيها الدنانيرُ
حورٌ سقَّتني كأس الموت أعينها ماذا سقَّتني تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرُ الثغر منتظمٌ وإن نطقن فدر اللفظ منشور
حلَّ الصبا عنك واختم بالنهي عملاً فإنَّ خاتمة الأعمال تكفير^(٢)
« فالخير والشر مقرونان في قرَنٍ فالخير ممتنع والشر محذور »^(٣)

وقوله [من البسيط] :

يا طالباً في الحب ما لا ينال وسائلاً لم يعف ذلُّ السؤال
ولّت ليالي الصبا محمودة لو أنها ترجع تلك الليالي

(١) الهندي والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .

(٢) حلَّ : دع واترك . والتكفير : التوبة وعمل الخير لإزالة اللذنب .

(٣) القرن : القيد والشُرْكُ .

بالهجر لما رأت شيب القذال^(١)
ولا تكن طالباً ما لا ينال
كانت تمنّيك من حسن وصال

وأعقبك التي أوصلتها
لا تلتبس وصلةً من مخلف
« يا صاح قد أخلفت أسماء ما

وقوله [من البسيط] :

فتصرمي جبل من لم يصرم^(٢)
لا يرحم الله من لم يرحم
ذنبٌ بأعظم من سفك الدم
للمنزل الفقر ولا للرسم
مخلولقٍ دارسٍ مستعجم^(٣)

ظالمتي في الحب لا تظلمي
أهكذا باطلاً عاقبتني
قتلت نفساً بلا نفسٍ وما
لمثل هذا بكت عيني لا
« ماذا وقوفي على رسمٍ عفا

وقوله [من مخلع البسيط] :

وأبعد الصبر من بكائي
أنت دوائي وأنت دائي
تخلط لي اليأس بالرجاء
لي بنعم لا ولا بلاء
فاضت دموعي على ردائي
ونخوة العزّ في الجواء^(٤)

ما أقرب اليأس من رجائي
يا مذكي النار في جوائي
من لي بمخلفة وعدّها
سألتها حاجة فلم تفه
قلت استجيبي فلما لم تجب
كآبة الذل في كتابي

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلت نفساً بغير نفس فكيف تنجو من العذاب

(١) القذال : القفا ، حيث الصفع .

(٢) الصرم : الهجر والقطيعة .

(٣) الدارس : البالي الذي عفت آثاره ، والمستعجم : الذي لا ينطق .

(٤) الجواء : من الجوى ، وهو شدة الوجد والاحتراق من العشق والجواء : الداخل والباطن .

إذ خلق الناس من تراب
فلهف نفسي على الشباب
يدعو حثيثاً إلى الخضاب

خلقت من بهجة وطيب
ولت حمياً الشباب عني
أصبحت والشيب قد علاني
وقوله [من الوافر] :

ولكن ليس تجفوها الدموعُ
ولكنْ ليس تتركه الضلوع
فليس لها على الدنيا طلوع
ويحكي لي تورُّدكَ الربيع
ودون لقائك الحصنُ المنيع
وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

تجافى النوم بعدك عن جفوني
يطير إليك من شوقٍ فؤادي
كأن الشمس لما غبَّتْ غابتُ
يذكرني تبسُّمك الأفاقي
فما لي من تذكرِكَ امتناعُ
« إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وقوله [من الكامل] :

وكسا المشيب مفارقاً وقذالا
طلعت إليك أكلَّةً وحجالاً^(١)
ولقد يكون حرامهن حلالا
وصل الشباب طوين عنك وصالاً^(٢)
نسبٌ يزيدك عندهن خبالاً^(٣)

حال الزمان له فبدلٌ حالا
غابت غواني الحيِّ عنك وربما
أضحى عليك حلالهن محرماً
إن الكواعب إن رأينك طاوياً
« وإذا دعونك عمهن فإنه
وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتك الحجاب عن الضمائر
يرنو فيمتحن القلوب ناظر
طرفٌ به تبلى السرائر
ب كأنه في القلب ناظر

(١) الأكلَّة : المتزينة بالتاج ، أو بعصابة من الجواهر ، والحجال : الخلاخيل .

(٢) طاوياً : جائعاً .

(٣) الخبال : فساد العقل والرأي .

يَا سَاحِراً مَا كُنْتَ أَعْرِفَ قَبْلَهُ فِي النَّاسِ سَاحِرٌ
أَقْصَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا أَدْنَيْتَنِي فَالْقَلْبُ طَائِرٌ
« وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِرٌ »^(١)

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يَا مَقْلَةً الرِّشَاءُ الْغَرِيرُ وَشَقَّةُ الْقَمَرِ الْمَنِيرُ
مَا رَنَّقْتَ عَيْنَاكَ لِي بَيْنَ الْأَكْلَمَةِ وَالسُّتُورِ
إِلَّا وَضَعْتَ يَدِي عَلَى كَبْدي مَخَافَةَ أَنْ تَطِيرَ
هَبْنِي كَبْعُضِ حَمَامٍ مَكَّةً وَاسْتَمِعْ قَوْلَ النَّذِيرِ
« أَبْنِي لَا تَظْلِمَ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ وَافْعَلْ وَاقْطَعْ حَبَالَكَ أَوْصِلْ
هَذَا الرَّبِيعَ فَحِيَّهِ وَانْزِلْ بِأَكْرَمِ مَنْزِلِ
وَصِلْ الَّذِي هُوَ وَاصِلٌ وَإِذَا كَرِهْتَ تَبَدُّلَ
وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنْزِلٌ أَوْ مَسْكَنٌ فَتَحَوَّلْ
« وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مَتَخَشَّعاً وَتَحَمَّلِ »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يَا دَهْرُ مَا لَكَ ضَنْكٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مَوَاتِي^(٢)
جَرَّعْتَنِي غَصَصاً بِهَا كَدَرْتُ [عَلَيَّ] حَيَاتِي
أَيْنَ الَّذِينَ تَسَابَقُوا فِي الْمَجْدِ لِلْغَايَاتِ
قَوْمٌ بِهِمْ رُوحُ الْحَيَاةِ تَرَدَّدَ فِي الْأَمْوَاتِ

(١) لابن في الصيف تامر : أي عندك لبنٌ وتَمَر .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « يا دهر مالي بضنك » وهو غير مستقيم الوزن .

وإذا همو ذكروا الإساءة أكثروا الحسنات
وقوله فيه [من الهزج] :

متى أشفي غليلي بنيل من بخيل
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزن الطويل
حملت الضيم فيه من حسود أو عذول
جميل الوجه أخلاني من الصبر الجميل
« وما ظهري لبಾಗಿ الضيم بالظهر الذلول »^(١)

وقوله [من الرجز] :

لم أدرِ جنِيُّ سباني أم بشرٌ
أم ناظر يهدي المنايا طرفه
ويحي قتيلاً ما له من قاتل
ما بال رسم الوصل أضحي دارسا
« دارٌ لسلمي إذ سليمى جارةٌ
أم شمس ظهرٍ أشرقت لي أم قمرٌ
حتى كأن الموت فيه في النظر
إلا سهام الطُرف ريشتُ بالحوَرِ »^(٢)
حتى لقد أذكرني ما قد دثر
قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر »^(٣)

وقوله [من الرجز] :

قلبٌ بلوعات الهوى معمود
ما ذقت طعم الموت في كأس الرجا
من ذا يداوي القلب من داء الهوى
أم كيف أسلو عادةً ما حبُّها
« القلب منها مستريحٌ سالم
حيٌ كميَّتِ حاضرٌ مفقودُ »^(٤)
حتى سقتنيه الطِّباء الغيد
إذ لا دواء للضنى موجود
إلا قضاء ما له مردود
والقلب مني جاهد مجهود

(١) الذلول : السهل امتطاؤه .

(٢) ريشت : يقال أراش السهم .

(٣) الزبر : المكتوب .

(٤) المعمود : الموجع والمضني .

وقوله [من الرجز] :

يا أيها المشعوف بالحب التعبُ كم أنت في تقريب ما لا يقتربُ
دع ودَّ من لا يرعوي إذا غضب ومن إذا عاتبته يوماً عتب
« إنك لا تجني من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنا في اللذات ممنوع العذار هائم في حب ظبي ذي احورارٍ
صفرةً في حمرةٍ في خده جمعتُ روضة وردٍ وبهار^(١)
بأبي طاقة آسٍ أقبلتُ تنشي بين حجلٍ وسوار
قادني قلبي وطرفي للهوى كيف من قلبي ومن طرفي حذاري
« لو بغير الماء حلقي شرقُ كنت كالغصّان بالماء اعتصاري »

وقوله [من الرمل] :

يا مدير الصدغ بالخد الأسيل ومجبل السحر بالطرف الكحيل^(٢)
هبْ لمحزونٍ كئيبٍ نظرةً منك يشفي بردها حرّ الغليل
وقليلُ ذاك إلا أنه ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحور غنى موهناً بغناء قصر الليل الطويل
« يا بني الصيّداء ردّوا فرسي إنما يفعل هذا بالذليل^(٣) »

وله [من الرمل] :

شادنٌ يسحب أذيال الطرب يتنشي ما بين لهو ولعب

(١) البهار : كلّ شيء حسن ومنير وطيب الرائحة .

(٢) الأسيل : الناعم الرقيق .

(٣) الصيّداء : المائلة العنق .

بجبينٍ مفرغٍ من فضةٍ فوق خدٍ مشربٍ لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده للهوى والشوق يملئ ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس مني قد ذهب
« قالت الخنساء لما جثتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب »^(١)
وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً في تجليّه وقضياً في تشيّه
والذي نلت أسمىه ولكني أكنيه
شادنٌ ما تقدر العيـن تراه من تلاله
كلّما قابلها شخصٌ رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذرّ عليه كاد يدميه^(٢)
وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً قد تجلّى في سحابٍ من حريرٍ
وأميراً بهواه قاهراً كلّ أمير
ما لخديك استعاراً حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألـبسها ثوب الدثور^(٣)

وقوله [من السريع] :

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكم
الحاظه في الحبّ قد هتكت مكتومةً والحبّ لا يكتم
يا مقلتي وحشية قتل نفساً بلا نفسٍ ولا تظلم

(١) اشتبه : أي خالط بياضه سواده .

(٢) الذرّ : النمل الصغير .

(٣) الدثور : الستر .

قالت تسلّيت فقلنا لها ما قال قبلي عاشق مغرم
 « يا أيها الزاري على عمرٍ قد قلت فيه غير ما تعلم »^(١)
 وقوله [من السريع] :

ويحي قتيلاً ما له من عقل من شادن يهتزّ مثل النصل^(٢)
 مكحل ما مسّه من كحل لا تعذلاني إنني في شغل
 « يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضاء مضمومةً مقرطقةً تنقدّ عن نهدها قراطقها^(٣)
 كأثما بات ناعماً جذلاً في جنة الخلد من يعانقها
 وأي شيء ألدّ من أملٍ نالته معشوقةً وعاشقها
 دعني أمتّ في هوى مخدرةٍ يعلق نفسي بها علائقها
 « من لم يمت عبطة يمت هرمًا »
 وقوله [من الخفيف] :

أنت دائي وفي يدك شفائي يا دوائي من الهوى وشفائي
 إنّ قلبي يحبّ من لا أسمي في عناءٍ أعظمّ به من عناء
 كيف لا كيف أن ألدّ بعيشٍ مات صبري به ومات عزائي
 أيّها اللائمون ماذا عليكم أن تعيشوا وأن أموت بدائي

(١) الزاري : العائب .

(٢) العقل : الدية ، سميت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الأيل ، وكان قوم القاتل يبيثون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل .

(٣) القراطق : نوع من الثياب والمضمومة : الملتفة المكتنزة .

(٤) عبطة : شاباً ، أو فجأة .

« ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء »
 وقوله [من الخفيف] :

ذات دلٍّ وشاحها قلقي من ضمورٍ وحجلها شرقُ
 برت الشمس نورها وحباها لحظ عينية شادنٌ حديق^(١)
 ذهبٌ خدُّها يذوب حياءُ وسوى ذاك كله ورق
 إن أمت ميتة المحيَّين [يوما] وفؤادي من الهوى حرق
 فالمنايا ما بين غادرٍ وسارٍ كلُّ حيٍّ برهنها علق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقتُ لي بدورٌ في ظلامٍ تنيرُ
 طار قلبي لحسنها من لقلب يطير!
 يا بدور أنا بها الدهر عان أسير^(٢)
 إن رضيتم بأن أمرت فموتي حقير^(٣)
 « كلَّ خطبٍ ما لم تكو نوا غضبتم يسير »

وقوله [من المقتضب] :

يا مليحة الدعج هل لديك من فرج^(٤)
 أم أراك قاتلي بالدلال والغنج
 من لحسن وجهك من سوء فعلك السَّمج
 عاذليَّ ويحكمما قد غرقت في لجج^(٥)

(١) حباها : أعطاهما ، والشادن : الغزال .

(٢) في أ ، ب ، الدهر عان وأسير والوزن يحتل عليها .

(٣) في أ ، ب ، فموتي بها حقير والوزن لا يستقيم .

(٤) الدعج : سعة العين وحورها .

(٥) عاذلي : لاثمي ، واللجة : الماء العميق .

هل عليّ ويحكما إن لهوْت من حرج
وقوله [من المتقارب] :

أأحرم منك الرضى وتعرض عن هائم
قضى الله بالحب لي رميت فؤادي فما
وقوسك شريانة وتذكر ما قد مضى
أبى عنك أن يعرضاً فصبراً على ما قضى
تركت به منهضاً ونبلك جمر الغضا^(١)

وقوله [من الطويل] :

وأزهر كالعيوق يسعى بأزهر
ألا بأبي صدغٌ حكى العين فتله
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل
وكيف أدارت مذهب اللون أصفرا
لنا منه داء وهو برءٌ من الداء^(٢)
وشارب مسكٍ قد حكى عطفة الرء
ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء^(٣)
بمُذهبةٍ في راحة الكف صفراء

وقوله [من الطويل] :

معذبتي رفقا بقلبٍ معذبٍ
لعمري لقد باعدت غير مباعد
بنفسي بدرٌ أحمد البدر نوره
لو ان امرأ القيس بن حجر بدت له
وإن كان يرضيك العذاب فعذبني
كما أنني قربت غير مقرب
وشمسٌ متى تطلع إلى الشمس تغرب
لما قال « مرّاً بي على أم جندب »

وقوله [من الطويل] :

(١) شريانة : من الشريان ، وهو شجر للقيس وجمر الغضا : الغضا شجر حطبه شديد اللهب والاشتعال .

(٢) العيوق : نجم في السماء .

(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

محبٌ طوى كشحاً على الزفراتِ
 فيا من بعينه سقامي وصحتي
 بحبك عاشرت الهموم صباةً
 فخذِي أرضٌ للهموم ومقلتي
 وإنسان عينٍ خاضَ في العبرات^(١)
 ومن في يديه ميتتي وحياتي
 كأني لها تربٌ وهنٌ لداتي
 سماء لها تنهلُ بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلّق اللهو فؤادي ثلاثاً
 وبياض في سواد عذاري
 غير أني لا أطيق اضطراباً
 بإناثٍ في صفات ذكورٍ
 لا ارتجاعٌ لي بعد الثلاثِ
 بدك التشبيب لي بالمرائي
 وأراني صائراً لانتكاثي^(٢)
 وذكرٍ في صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعتُ قلبي صدع الزجاج
 مزجت روعي ألحاظها
 يا قضيباً فوق دعص النقا
 أنت نوري في سواد الدجا
 ما له من حيلةٍ أو علاج^(٣)
 فالهوى مني لروحي مزاج
 وكثيباً تحت تمثال عاج^(٤)
 وسراجي عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعهُ سافحٌ
 كلما أمّ سبيل الهوى
 بين جفنيه هوىٌ قادح
 قاده السافح والنازح^(٥)

(١) طوى كشحاً : أي تصبّر . وإنسان عينٍ : أي ناظر العين .

(٢) الانتكاث : انتكث العهد : انتقض وانحلّ بعد إبرامه .

(٣) صدعت : شقّت .

(٤) النقا : القطعة من الرمل المحدودة .

(٥) أمّ : قصد . والسافح : السائل من الدمع ، والنازح : البعيد عنه ، من أهلٍ وأحبة .

حلٌ فيما بين أعدائه وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كل مطبوخ غير داذيٍّ ومفضوح^(١)
فاعتقد من ود أهل الحجى كلٌ ودٌ غير مشدوخ^(٢)
وانتشق ريك من ملتقى شاربٍ بالمسك ملطوخ
إنّ في العلم وآثاره ناسخاً من بعد منسوخ

وقوله [من المديد] :

يا مجال الروح من جسدي والذي يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده متتهاه منتهى العدد
خذ بكفي إنني غرق في بحار جمّة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الصبر من أودي^(٣)

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طير ناباذ فقري الكرخ فبغداد
قهوةً ليست ببارقة لا ، بتع ولا داذي
مرةً يهذي الحليم بها بأبي ذلك من هاذي
فهى أستاذ الشراب معاً والمعاني دأب وأستاذ

(١) الداذي : شراب الفساق ، والمفضوح : عصير القصب .

(٢) مشروح : مجرّح .

(٣) الأود : الإعوجاج ، والكذ والتعب .

(٤) البتع : نبيذٌ يتخذ من العسل ووقع في أ ، ب ، ولا بتع ولا باداذي .

وقوله [من البسيط] :

نورٌ تولّد من شمسٍ ومن قمرٍ
أصلي فؤادي بلا ذنبٍ جوى حرقٍ
لا والرحيق المصفى من مراشفه
ما أنصف الحب قلبي في حكومته

في طرفه سقمٌ أمضى من القدرِ
لم يبق من مهجتي شيئاً ولم يذر
وما بخديه من خالٍ ومن طرر^(١)
ولا عفا الشوق عني غير مقتدر

وقوله [من البسيط] :

خرجت أجتاز قفراً غير مجتاز
صفرٌ على أنه صفر لوالبه
كم موعدي لي من ألحاظ مقلته
أبكي ويضحك مني طرفه هزواً

فصادني أسهل العينين كالبا^(٢)
ذا فوق نعلٍ وهذا فوق قفازٍ
لو أنه موعداً يُقضى بإنجاز
نفسى الفداء لذاك الضاحك الهازي

وقوله [من البسيط] :

يا غصناً مائساً بين الرباط
يا من إذا ما ابتدى ماشياً
ترك عيناه من يبصره
قلت متى نلتقي يا سيدي

ما لي من بعد بالعيش اغتباط^(٣)
وددت أن له خدي بمسلط^(٤)
مخلط اللبسة كل اختلاط^(٥)
قال غدا نلتقي عند الصراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحراً طرفه إذ يلحظ وفاتنا لفظه إذ يلفظ

(١) الحال : بشرة سوداء في الوجه والطرر : جمع طرة ، وهي الخصلة من الش.

(٢) الأشهل : الذي يخالط سواد عينه زرقة .

(٣) في أ ، ب ، « مالي من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن .

(٤) في أ ، ب ، « وددت لو أن له خدي بساط » ولا يستقيم عليه الوزن .

(٥) اللبسة : الشك .

وجهك من كل عين يحفظ
من طرفه ناعس مستيقظ
تجرحها مقلّة من يلحظ

يا غصناً ينثني من لينه
أيقظني إذ جاءني من نفسه
ظبيُّ له وجنة من رقّة

وقوله [من البسيط] :

وكلّ حرٍّ له مملوك
أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك
عن عاجلٍ كلّهُ متروك
ولا طريقٌ له مسلوك

يا من دمي دونه مسفوك
كانه فضّةٌ مسبوكةٌ
ما أطيب العيش لولا أنه
والخير مسدودةٌ أبوابه

وقوله [من البسيط] :

وبدعة الحسن والجمال
وأين كفي من الهلال
فلم ترقّي ولم تبال
حالا من السقم مثل حالي

إليك يا غرة الهلال
مددت كفّاً بها انقباض
شكوت ما بي إليك وجداً
أعاضك الله من قريبٍ

وقوله [من الوافر] :

ومن لحظات مقلته سهامُ
صبا من حسنه البدر التمام
فلا لفظ إلّٰي ولا ابتسام
ولا يمحو محاسنك السلام

بنفسي من مراشفه مدام
ومن هو إن بدا والبدر تمّ
أقول له وقد أبدى صدوداً
تكلمّ ليس يوجعك الكلام

وقوله [من الوافر] :

وصمت القلب بالحزنِ
ولي روح بلا بدن

سلبت الروح من بدني
فلي بدن بلا روح

قرنت مع الردى نفسي فنفسى وهو في قرن
 فليت السحر من عينيك لم أره ولم يرني
 وقوله [من الوافر] :

غزالٌ من بني العاص أحسنَ بصوتٍ قناصٍ
 فأتلعَ جيده حذراً وأشخصَ أيَّ إشخاص^(١)
 أيا من أخلصتُ نفسي هواه كل إخلاص
 أطاعك من ضمير القلب عفواً كل معتاص^(٢)
 وقوله [من الكامل] :

في الكِلَّةِ الصفراء ريمٌ أبيضُ يشفي القلوب بمقلتيه ويمرضُ
 لما غدا بين الحمول مقوضاً كاد الفؤاد عن الحياة يقوِّض^(٣)
 صدّ الكرى عن جفن عينك معرضاً لما رآه يصدُّ عنك ويعرض
 وقوله [من الكامل] :

أوحى إليك جفونها بوداعٍ خود بدت لك من وراء قناعٍ
 بيضاء ما باهى النعيم بصفرةٍ فكأنها شمسٌ بغير شعاعٍ
 أما الشباب فودّعت أيامه ووداعهن موكلٌ بوداعي
 لله أيام الصبّا لو أنها كرّت عليّ بلذّةٍ وسماعٍ
 وقوله [من الكامل] :

أصغى إليك بكأسه مصغي صلت الجبين معقرب الصدغ^(٤)

(١) أتلع : رفع ومدّ . ، وأشخص : تنبّه وازداد يقظةً واحتراساً .

(٢) المعتاص : الأمر الخفيّ الصعب .

(٣) مقوضاً : مهدّماً .

(٤) الصلت : الواضح والبارز المستوى .

كأسٌ تولّد بالمحبة بيننا
في روضةٍ درجت بزهرتها الصبا
واشرب بكفٍّ أغنّ عقرب صدغه

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليست بمعتكف
بل درّة زهراء ما سكنت
أسرفت في قتلي بلا ترة
إني أتوب إليك معترفاً

وقوله [من الكامل] :

يا فتنة بعثت على الخلق
شمس بدت لك في مغاربها
ما كنت أدري قبل رؤيتها
يا من يضمن بفضل نائله

وقوله [من الكامل] :

طلعت له والليل دامس
تختال في صفر المجا
يا من لبهجة وجهه
لم يبق من قلبي سوى

طوراً وتنزغ أيّما نزغ^(١)
والشمس في درجٍ من الفراغ
للقلب منك مميتة اللدغ^(٢)

بل ظبية أوفت على شرف
بحراً ولا درّاً من الصدف
وسمعت قول الله في السرف^(٣)
إن كنت تقبل قول معترف

ما بينها والموت من فرق
يفترّ مبسمها عن البرق
للشمس مطلعاً سوى الشرق
لو في يدك مفاتيح الرزق

شمسٌ تجلّت في حنادس^(٤)
سد بين حارسة وحارس
يستأسر البطل الممارس
رسمٍ تغير فهو دارس

(١) النزغ : الافساد بين الناس .

(٢) اللدغ : اللسع .

(٣) الترة : الثأر .

(٤) الحنادس : الظلمة الشديدة .

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشية وواشي	واجعلهما كلبى هراش ^(١)
واشرب معتقة تسلد	سل في العظام وفي المحاشي
حتى ترى العود المسن	بها أرق من الخشاش ^(٢)

وقوله [من الكامل] :

الحاظ عين تنتهي	في روض ورد تزدهي
رتعت بها وتنزهت	منها بأي تنزه
يا أيها الخنث الجفو	ن بنخوة وتكره ^(٣)
والمكتفي عجباً أما	ترثي لأشعث أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة لهوي	ولوت بشرّة عدوي ^(٤)
شعل علون مفارقي	ومضت بيهجة سرّوي
لما شككت عروضها	ذهب الزحاف بحزوي ^(٥)
يا أيها الشادي صه	ليست بساعة شدو

وقوله [من الهزج] :

ألا يا زين قلبي للـ	شباب العفر إذ ولّى ^(٦)
---------------------	-----------------------------------

(١) الهراش : النباح والعراك .

(٢) العود : الجمل المسن ، والخشاش : حشرات الأرض .

(٣) الخنث : الذي فيه تكسر ولين .

(٤) الشرّة : الحدة والنشاط .

(٥) الحزو : التقدير والتكهن .

(٦) العفر : أي المعفر بالأيّام ، وعفره في التراب : أي مرّغه وقلّبه .

جعلت الغيَّ سريالي وكان الرشيد بي أولى
بنفسي جائراً في الحك ثم يلفي جوره عدلاً
وليس الشهد في فيه بأحلى عنده من لا

وقوله [من الهزج] :

هنا تفتى قوافي الش عر في هذا الرويَّ
قوافٍ ألبستُ حلياً من الحلَى الرويَّ
تعالَتْ عن جرير بل زهير بل عديَّ

* * *

١٠٣ - أبو عمرو يوسف بن هرون المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح
أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ، من قصيدة أولها [من الكامل] :

مَنْ حاكمٌ بيني وبين عذولي الشجوشجوي والعويل عويلي
في أيّ جارحةٍ أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت في بصري فثمّ مدامعي أو قلت في كبدي فثمّ غليلي
وثلاث شيباتٍ نزلن بمفرقي فعلمت أنّ نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثٌ في نزول ثلاثةٍ واشر وجه مراقبٍ ومقيل^(١)
فَعَدَلْتُني عن صَبَوتي متذللاً ولقد سمعتُ بذلة المعذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهنّ غير معالمٍ وطلول

(١) المقيّل : مكان القيلولة .

ونَهتَ محافظة الحسان فلم تصل
ومكْبَلٌ لم يجترم جرماً ولا
متلفَتٌ كتلفت المرتع يق
حتى إذا ما السرب عنَّ للحظه
ولَّت جماعتها وشدَّ وراءها
عجلت وأدركها ردىً في إثرها
ولقد غدوت بأهت متضائلٍ
ولربما اشتَمَّ الصعيد بأنفه
متبَّع لظلاله فكأنه
فتزلت في فرش الرياض ولم يكن
روضٌ تعاهده السحاب كأنه
قِسهُ إلى الأعراب تعلم أنه
حازت قبائلهم لغات جُمَعَتْ
فالشرق خال بعده فكأنما
جمعوا بغيبته وموت شيوخه
مذ جاءهم وهمٌ بليل همومهم
فكأنه شمسٌ بدت في غربنا
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلُ

كفّي إلى ظبي أغنَّ كحيل
دامت صحابته بغير كبول
سم لحظه في الحول بعد الحول
أومى بقادمتيه خلُّ سبيلي^(١)
وكأنه بطل وراء رعي^(٢)
إنَّ الردى قيدٌ لكل عجل
سر النفوس إليه غير ضئيل^(٣)
حيناً فقام له مقام دليل^(٤)
في القيط يطلب ظلّه لمقيل^(٥)
ليحوزها مثلي بغير نزول
متعاهدٌ من علم إسماعيل
أولى من الأعراب بالفضيل
فيهم وحاز لغات كل قبيل
نزل الخراب بربعه المأهول
عنهم ولما يظفروا ببديل
منه فصاروا في دجى موصول
وتغرّبت في شرقهم بأفول
زوراً ولا عرّضتُ بالتنويل^(٦)

(١) السرب : الجماعة .

(٢) الرعي - القطعة من الخيل .

(٣) الأهت : الأسد .

(٤) الصعيد : التراب .

(٥) المقيل : مكان القيلولة وقت اشتداد الحرّ .

(٦) التنويل : الإعطاء .

من كان يأمل نائلاً فانا امرؤ لم أرْجُ غيرَ القربِ في تأميلي
وقوله [من الطويل] :

وَإِنِّي لِأَغْضِي الطرفَ عَنْكَ جَلالَةً
وَلَوْ أَنَّني أَهْمَلْتُ عيني بَأَن تَرى
رَأَيْتُ وَشاةَ الكاشِحين أَباعِداً
زَعَمْتُ بِأَنِّي حَلْتُ عَنْكَ وَلَمْ أَكُنْ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا طالِبٌ لِمَنيتي
وقوله [من الطويل] :

عَزَمْتُ عَلَى قَتْلِي بِغَيْرِ تَحَرُّجٍ
وَلَمْ يَبْدُ سَرِّي فَيْكَ رَأْيِي ، وَإِنَّمَا
نَحُولِي وَدَمْعِي دَبْجاً وَجَنَّتِي بِمَا
بَهَاراً وَدِراً هَبَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
وقال يرثي البلدي الخباز [من الرمل] :

أنا إن رمت سلواً عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا رك في قتل الحسين
لك صولات على قل بي دليلات لحيني
مثل صولات عليٍّ يوم بدرٍ وحينين

(١) حلت عنك : تخلّيت وابتعدت ، أعنيك : أقصّدتك .

(٢) لم يبدُ : لم يظهر ، ومتوهّج : متوقّد .

(٣) القرو : القصد والتّبع .

ومن شعره قوله [من الطويل] :

هَبُوا أَنْ سَجَنِي مَانِعٌ لَوْصَالِهِ فَمَا الْعَذْرُ أَيْضاً فِي امْتِنَاعِ خِيَالِهِ ؟
بَلَى لَمْ تَنْمَ عَيْنِي فَيَطْرُقُ طَيْفُهَا زَوَالُ مَنْامِي عَلَّةٌ لَزَوَالِهِ

* * *

١٠٤ - عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه ، أولها [من الكامل] :

أَلُوِي بَعِزْمَ تَجَلَّدِي وَتَصْبِرِي نَأْيُ الْأَحِبَّةِ وَاعْتِيَادِ تَذَكَّرِي
شَحَطَ الْمَزَارَ فَلَا قَرَارَ وَنَافَرْتُ عَيْنِي الْهَجُوعَ فَلَا خِيَالُ يَعْتَرِي^(١)
أَزْرَى بِصَبْرِي وَهُوَ مَشْدُودُ الْقَوَى وَأَلَانَ عَوْدِي وَهُوَ صَلْبُ الْمَكْسَرِ
وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذَّذِي بِالْعَيْشِ طَيِّ صَحِيفَةٍ لَمْ تَنْشُرْ
هَلَّا بِمَا أَلْقَى الْحَبِيبَ تَوْهَمًا بَضْمِيرِ تَذَكَارِي وَعَيْنِ تَفَكَّرِي
وَإِذَا الْفَتَى فَقَدَ الشَّبَابَ سَمَالَهُ حُبِ الْبَنِينَ وَلَا كَحَبِّ الْأَصْغَرِ
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنَا النُّوَى وَدَنَا وَدَاعَكَ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرْ
مَا خَلَّتْنِي أَبْقَى خِلَافَكَ سَاعَةً لَوْلَا السُّكُونُ إِلَى أَخِيكَ الْأَكْبَرِ
إِنْ سَانَ عَيْنِي إِنْ نَظَرْتَ وَسَاعَدِي مَهْمَا بَطَشْتَ وَصَاحِبِي الْمُسْتَوَزِرِ
فَإِذَا شَكُوتَ إِلَيْهِ شَكْوَى رَاحَةٍ ذَكَرْتَهُ فَشَكَا إِلَيَّ بِأَكْثَرِ
أَرَبَى عَلَيَّ فَحَظُّهُ مِمَّا بَنَا حَظَّ الْمَعْلَى مِنْ قَدَاحِ الْمَيْسَرِ^(٢)

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر

(١) شحط المزار : بعد ونأى .

(٢) المعلى : القداح الفائز من الأقداح .

وَبِضْمَرِ الْأَقْلَامِ يَبْلُغُ أَهْلُهَا
وَالْعِلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابُهُ
فَإِذَا دَفَعْتَ إِلَى قَرِينٍ فَابْتُلُهُ
لَا يَسْتَفْزِكُ مَنْظَرَ حَسَنٍ بَدَا
كَمْ مِنْ أَخٍ يَلْقَاكَ مِنْهُ ظَاهِرٌ
وَأُشْرَحُ لِكُلِّ مِلْمَةٍ صَدْرًا وَخَذِ
وَاسْتَنْصَحِ الْبِرَّ التَّقِيَّ وَشَاوِرِ الدَّ
وَاحْزَنْ لِسَانَكَ وَاحْتَرَسْ مِنْ نَظْقِهِ
وَاصْفَحْ عَنِ الْعَوْرَاءِ إِنْ قِيلَتْ وَعَدِ
وَكُلِّ الْمَسِيءِ إِلَى إِسَاءَتِهِ وَلَا
فَكْفَاكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِكَ خَبْرَهُ
وَإِذَا سَأَلْتَ فَجِدْ وَإِنْ قُلَّ الْجَدَى
وَاشْكُرْ لِمَنْ أَوْلَاكَ بَرًّا إِنَّهُ
لَيْسَ الْحَرِيصُ بِزَائِلٍ فِي حَرْصِهِ
أَوْ مَا رَأَيْتَ غَيْبِي قَوْمٍ مُوسِرًا
قَدْ أَوْعَبَ التَّكْوِينَ كُلُّ مَكُونٍ
فَلَوْ ابْتَغَيْتَ بِكُلِّ جَهْدٍ نِيلَ مَا

مَا لَيْسَ يَبْلُغُ بِالْجِيَادِ الضَّمْرُ
مَا لَمْ يَفِدْ عَمَلًا وَحَسَنَ تَبَصُّرٍ
قَبْلَ التَّقَارُضِ وَالتَّشَارُكِ وَاخْبُرْ
حَتَّى تَقَابِلَهُ بِحَسَنِ الْمَخْبِرِ
بَادِ سَلَامَتِهِ وَبَاطِنَهُ وَرِي^(١)
بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَشُمِّرْ
فَطْنِ الذِّكْرِ تَكُنْ رَيْحَ الْمُتَجَرِّ
وَاحْذَرْ بَوَادِرِ غَيْبِهِ ثُمَّ احْذَرْ
بِالْحِلْمِ مِنْكَ عَلَى السَّفِيهِ الْمَعُورِ
تَنْعَقِبِ الْبَاغِي بِيْغِي تَنْصُرْ^(٢)
وَكَفَاكَ مِنْ خَبَرِ قَبُولِ الْمَخْبِرِ
جَهْدِ الْمَقْلِ إِزَاءَ جَهْدِ الْمَكْثَرِ^(٣)
حَقٌّ عَلَيْكَ وَلَا تَكُنْ بِالْمَمْتَرِ^(٤)
بِأَتَمِّ حِيلَتِهِ هَشِيمَةَ إِذْخَرِ^(٥)
وَلِيْبِهِمْ يَشْقَى بِحَالِ الْمَعْسَرِ
مَذْ أَحْكَمِ التَّقْدِيرِ كُلِّ مُقَدَّرِ
سَبَقِ الْقَضَاءِ بِمَنْعِهِ لَمْ تَقْدَرِ

* * *

(١) الوري : المتضمر نارا .

(٢) كل : دغ واترك .

(٣) الجدى : العطاء .

(٤) الممترى : الشاك .

(٥) الإذخر : الحشيش الأخضر .

١٠٥ - أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر [من البسيط] :

ما كُفِّرُ نِعْمَاكَ مِنْ شَأْنِي فِيشْنِي
ولا ثَنَائِي وشُكْرِي بِالْوَفَاءِ بِمَا
حَقُّ عَلَى النَّفْسِ أَنْ تَبْلَى وَلَوْ فَنِيَتْ
ها إِنَّهَا نِعْمَةٌ مَا زَالِ كَوَكْبُهَا
تَنَآى بِجَوْهَرٍ وَدٌّ غَيْرِ مُبْتَدِلٍ
وَحَبِذا النَّأْيُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطْنِي
وَمَوْقِفٍ لِلنَّوَى أَغْلِيَتْ مُتَّيْدِي
مِنْ كُلِّ نَافِرَةٍ ذَلَّتْ لِقُودِ يَدِي
وَالخَدِرُ يَخْفِقُ فِي أَحْشَاءِ وَالْهَيْ
أَجَاهِدِ الصَّبْرَ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
يَا هَذِهِ كَيْفَ أُعْطِيَ الشُّوقَ طَاعَتَهُ
شَدَّيَّ عَلَيَّ نَجَادِ السِّيفِ أَجْعَلُهُ
رَضِيَتْ مِنْهَا وَشِيكَ الشُّوقَ لِي عَوْضاً
فَإِنْ تَشَجَّ تَبَارِيحُ الْهَوَى كَبْدِي

عَمَّنْ تَوَالَى لِنَصْرِ الْمَلِكِ وَالْدِينِ
أَوَّلِيْتَنِي دُونَ بَذْلِ النَّفْسِ يَكْفِينِي
فِي شُكْرِ أَيْسَرِ مَا أَضَحَيْتَ تَوَلِينِي
إِلَيْكَ فِي ظَلَمَاتِ الْخُطْبِ يَهْدِينِي
عَنْدِي وَجَوْهَرِ حَمَلٍ غَيْرِ مَكُونٍ^(١)
فِي كُلِّ بَرٍّ وَبَحْرٍ مِنْكَ يَدِينِي
فِيهِ وَأَرْخَصْتَ دَمْعَ الْأَعْيُنِ الْعَيْنِ
فِي ثَنِي مَا يَدُكَ الْعِلْيَاءُ تَحْبُونِي^(٢)
تَرَدَّدَ الشُّجُو فِي أَحْشَاءِ مُحْزُونٍ
عَنْ لَوْعَةٍ فِي الْحَشَى مِنْهَا تَنَاجِينِي
وَهَذِهِ طَاعَةُ الْمَنْصُورِ تَدْعُونِي
ضَجِيعَ جَنْبِ نَبَا عَنْ مُضْجَعِ الْهَوْنِ^(٣)
وَقَلْتُ فِيهَا لِلْوَعَاتِ الْأَسَى بَيْنِي^(٤)
فَقَدْ تَعَوَّضْتَ قَرِيباً مِنْكَ يَأْسُونِي

(١) مكنون : مستتر .

(٢) النافرة : الشاردة ، وذلت : انقادت .

(٣) الهون : اللذل والصغار .

(٤) بيني : أي أبعدني .

فأحر لي بدنوً منك يحييني
من الوفاء بحظّ فيك مغبون
وليس جودك عن كفي بمخزون
أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
والبيض والسمر أن تحظى بها دوني
قدماً وأثبتت في أهوالها الجون
وكل لدنٍ طرير الحدّ مسنون
سعت فيه فلا ساعٍ يباريني^(١)
على مراصد ذاك الماء ترميني
تمدُّ للطعن أمثال الثعابين
تغلغل الماء في ظل الرياحين^(٢)
بملك آبائك الشم العرائين
رقّ الأساور منهم والدهاقين^(٣)

وإن يمت موقف التوديع مصطبري
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب
وخازنٌ عنك نفسي في هواجرها
وأي ظلّ سوى نعماك يلحقني
وحاش للخليل أن تزهى عليّ بها
وربما كنت أمضي في مكارهاها
من كلّ أبيض ماضي الغرب ذي شطبٍ
كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا
لكنّ سهام من الأقدار ما برحت
يحملن للروع أسداً في فرائسها
والبيض تحت ظلال النقع لامعة
حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا
وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

* لولا التخرج لم يحجب محياك *

وحشية اللفظ هل يودي قتيلكم ؟
إنني أراك بقتل النفس حاذقة
ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأٍ
لولا الضلوع لظل القلب نحوكم
دمي مضاعٌ وجاني ذاك عينك^(٤)
قولي فديتك : من بالقتل أوصاك ؟
هيهات لا ريّ إلاّ من ثناياك
ضعي بعيشك فوق القلب يميناك

(١) شأوي : مداي وحالي .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) اعتوروا : امتلكوا ، ورقّ الأساور : أي نساءهم والدهاقين : السادة والأمراء .

(٤) يودي : تعطي عنه دية ، والجاني : الفاعل والقاتل .

أصليتني لوعة الهجران ظالمةً
أظنُّ عزمك أن أخفي لأسلوكم
حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى
إن كان واديك ممنوعاً فمعدنا
ظبي وقلبُ فمن لي أن أسيدهما
وقوله [من الوافر] :

أصخُ نحوي لدعوةٍ مستقيل
رهينة كلِّ همٍّ مستكنٍ
ومأمونٌ على ظلم الأعادي
تراني منك في هممٍ صحاحٍ
ولكن رُبُّ دهرٍ ساورتني
مظاهر لأمتي بغيٍ ومكرٍ
ورامٍ عن قسي الغلِّ نبلاً
أبا وبنين عن عرضٍ منيعٍ
فكان كأنه جفن سخين
ومضطرم الحشى داءً دويماً
فتلك معلمي علم الرزايا
وتلك مراتب الأخطار مني

ينادي من غيابات الخمول^(١)
ونهزة كلِّ خطب مستطيل^(٢)
ونوأمٌ على ثوب الذحول^(٣)
نكصن على دجى خطبٍ عليل^(٤)
غوائله على نهج السبيل
ومصلت صارمي قالٍ وقيل^(٥)
أصبن مقاتل الأدب النبيل
لقد أجلين عن أمل قتيل
أسال دماً على خد أسيل
تنفّس منه عن سيفٍ صقيل
وتلك وسائلٍ درج السيول
حمائم تتحجن على هديل

(١) أصخ: استمع وانتبه .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) النوب : المصائب ، والدخول : الحقد والثأر والعداوة .

(٤) نكصن : تراجعن واحجمن .

(٥) اللأمة : الحاجة ، ولأم الشيء : جمعه .

لعل رضاك يا منصور يوماً
ويقرع منك أسماع المعالي
إليك جلوت أ بكر المعاني
سوارٍ في الظلام بلا نجوم
وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحتا الفلك تهوي كأنها
على لججٍ خضرٍ إذا هبت الصبا
وإن سكنت عنا الريح جرى بنا
يقلن وموج البحر والهيم والدجا
ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا
هوت أمهم ماذا هوت برجالهم
كواكب إلا أن أفلاك سيرها
فإن غربت أرض المغارب موثلي
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي
وإن بلاداً أخرجتني لعاطل
سلامٌ علي الإخوان تسليم آيسٍ
وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربانُ
ترامى بنا فيها ثبير وثهلان^(١)
زفيرٌ إلى ذكر الأجنة حنان^(٢)
تموج بنا فيها عيون وأذان
سوى البحر قبرٌ أو سوى الماء أكفان
من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
إلى نازح الآفاق سفنٌ وأطعان
زمامٌ ورحلٌ ، أو شرع وسكان
وأنكرني فيها خليطٌ وخلان^(٣)
وأجزلت البشري على خراسان
وإن زماناً خان عهدي لخوان
وسقياً لدهر كان لي فيه إخوان^(٤)

(١) العثار : ما عثر به واطلع عليه والمستقيل : فقير .

(٢) أبكار المعاني : أي القصائد البكر .

(٣) هواز : أي مهتديات .

(٤) ثبير وثهلان : من الجبال .

(٥) الزفير : يعني به الشوق ، لأنّ المنشوق يكثر من التأوه والزفرات الطويلة .

(٦) الخليط : المجالس والمساكن ، والخلان : الأصحاب .

(٧) آيس : قانط ويائس ، وسقياً : هي للدعاء .

فلا مؤنسٌ إلاّ شهيقٌ وزفرةٌ
وما كان ذاك البين بين أحبةٍ
فيا عجباً للصبر منا كأننا
مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم
وأفجع من آوى صفيح وجلمد
وجوه تناءت في البلاد قبورها
وما بليت في التراب إلاّ تجددتُ
ومنها :

وأوردتها يوم اللقاء فراته
بكل كميٍّ عامريٍّ يسوقه
خليهم بيض الصّوارم والقنا
فيا ذلّ أعلام الهدى يوم عزّهم
حفرت لهم في يوم ثبرةً بالقنا
يطير بهم بازٍ ونسرٌ وناعبٌ
فلو نشر الأملاك يومك فيهم
ولو رد في المنصور روح حياته
وناديت في الهيجاء أبناء ملكه
جبالٌ إذا أرسيتها حومة الوغى
يقودهم داعٍ إلى الحق مجلبٍ

كما انصرفتُ يوم الهبّاء ذبياناً^(١)
لحرّ الوغى قلب على الدين حرّان
لها وحلاها سابغات وأبدان
ويا عزّ أعلام الهدى بك إذ هانوا
قبوراً هواء الأرض منهنّ ملآن^(٢)
ويغدو بهم ذئبٌ رميحٌ وسرحان^(٣)
لألقي إليك التاج كسرى وخاقان^(٤)
غداة لقيت الموت والموت غرثان^(٥)
فلبّاك آساد عبيدٌ وفتيانُ
وإن تدعُها يوماً إليك فعقبان
على البغي يرضى ربه وهو غضبان

(١) يوم الهبّاء : أحد أيام العرب ، نصرت فيه قيس على فزارة وذبيان .

(٢) يوم ثبرة : أحد أيام العرب ، والقنا : الرماح .

(٣) الناعب : الغراب ، والرميح : السريخ ، الخفيف والسرحان : الذئب .

(٤) الخاقان : من القاب الملوك عند المغول .

(٥) غرثان : جوعان .

بكفك لكن يغتدي وهو ظمآن
وقد دعت الفرسان للحرب فرسان
يموت بها في الأرض ظلم وعدوان
وحسب المعالي منه سر وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ
فله ماذا أنجيت منك عامر
ولله منا أهل بيت رمتهم
فما قصرت بي عن علاك شفاعه
ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان

وأسمر يسري في بحار من الندى
تلاً نوراً من سناك سنانه
فحيّاك من أحيت منه شمائله
وناداك إسراراً وناداك معلناً
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ
فله ماذا أنجيت منك عامر
ولله منا أهل بيت رمتهم
فما قصرت بي عن علاك شفاعه
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

وظبا الهند عند حرّ الجلال^(١)
ورياض المنى بصوب الغوادي
بالمشيدات من ذرى شدّاد
ت نداءً يصغي له كلّ ناد^(٢)
من كرام الأملاك والأجواد
في مساعٍ جلت عن الأنداد
ومساعيكم أقاصي البلاد
نافذ الحكم في رقاب الأعادي
وبحلم أعاد أحلام عاد
وأناش الدنيا ببيض الأيادي
والد أنت أكرم الأولاد
طالعاً والمنى على ميعاد

بشر الخيل يوم كرّ الطراد
وسماء العلا بنجم المساعي
ثم واف القصور من ملك بصرى
ثم ناد الأذواء عن ذي الرياسا
وصلتكم أرحام ملك نمتكم
وهناكم منصور كم من نجيب
بلغت مجدكم نجوم الثريا
ونما منكم إلى الملك سيف
بسمات أهدت لكم هدى هوى
وأناش به نجوم المعالي
وهو في المنجيين أعلى وأزكى
قمر في مطالع الملك أوفى

(١) كرّ الطراد : من المطاردة ، وتكون أثناء الصيد وأثناء الحرب ، والظبا : الحدّ .

(٢) الأذواء : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم « ذو » ومنهم « ذو نواس » ملك الدولة الحميرية .

وتلاقت زهُرُ النجوم عليه
وسما للإسلام باسم أبيه
هو للبين بالحياة بشيرٌ
سابق الشأو لم يؤخّر مداه
ولدتَه الحروب منكم تماماً
فاكتسى الدين منه ثوب سرورٍ
فهنيئاً للتاج أيّ جبينٍ
وهنيئاً لنا وللدين والدن
وغريب تهوي به كلّ أرضٍ
وهنيئاً لطيّءٍ ولهمدا
بسُعود الجُود والأجداد
وانتحي باسم جدّ للأعادي
وهو للشرك منذرٌ بالبواد
عن مداكم تأخّر الميلاد
فارس الخيل فارس الآساد
وصليب الضلال ثوب حداد
عنده أيّ عاتقٍ للنجاد^(١)
يا وللبيض والقنا والجياد
وشريدٍ ينبو به كل وادي
ن ولخمٍ وكندقٍ وإياد^(٢)

وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء
لقد حلّ من يومه لاقتراب
هل الملك يملك ريب المنون
أرى الموت يصدع شمل الجميع
يبعد الحياة ببطشٍ شديدٍ
ألم تر كيف استباححت يده
هو الرزء أودى بعزم الملوك
فما في العويل له من كفاءٍ
وقصر التداني وشيك التناهي
وقد حان من عمره لانتهاه
أم العزّ يصرف صرف القضاء
ويكسو الربوع ثياب العفاء^(٣)
ويلقي النفوس بداء عياء
حريم الملوك وعلّق النساء^(٤)
مصائباً وأودى بحسن العزاء
ولا في الدموع له من شفاء

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٢) أسماء قبائل عربية .

(٣) العفاء : الغناء .

(٤) العلق : النفيس من كل شيء .

وهيهات فيه انتصار البكاء
وكيف يعالج داءٌ بداء ؟
مفجّرة من قلوبٍ ظماء
ولا جفن إلا غريق بماء
ويضرم نار الأسى في الهواء
وشجو النحيب ولهف النداء
ومن وجنة غرقت بالدماء
ونابذة صبرها بالعراء
د حمر البرود وبيض الملاء
لتبك عليك نجوم السماء
عويلُ الرجال ولدم النساء^(١)
تمسّك وجه الضحى بالضياء
عليك الصباح بثوب المساء^(٢)

فهيهات فيه غناء الزفير
وأنى يدافع سقم بسقم ؟؟
فتلك مآقي جفون رواء
فلا صدر إلا حريق بنار
فقد كاد يصدع صمّ السلام
وجيب القلوب وشق الجيوب
فمن مقلّة شرقت بالدموع
وسافرة من قناع الحياء
وبيض صبغن بلون الحدا
أنجماً هوى من سماء المعالي
وحاشا لرزئك أن يقتضيه
ليبيض أياديك في الصالحات
فقل لفقيدك أن يحتوي

ومنها :

ومن قبل في شرفات العلاء
وبذل اللهى ما بها من خفاء^(٣)
ت خير المجازين خير الجزاء
نسيم النعيم وطيب الثواء

لئن حجبت تحت ردم اللحد
فتلك مآثرها في التقى
جزاك بأعمالك الزاكيا
ولقيت من ضنك ذاك الضريح

(١) اللدم : اللطم .

(٢) احتبى : اشتمل والتفّ .

(٣) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم : « اللهأ تفتح اللهأ » يريدون أن العطايا تفتح الفم بالثناء على المعطي .

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لك الله بالنصر العزيز كفيل
هو الفتح أما يومه فمعجل
وآيات نصر ما تزال ولم تزل
سيوف تنير الحق أني انتصيتها
ألا في سبيل الله غزوك من غوى
لئن صدئت أبواب قوم بمكرهم
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدّهم
خفيف على ظهر الجواد إذا عدا
وجرداء لم تبخل يداها بغاية
لها من خوافي لقوة الجوّ أربع
وبيض تركزن الشرك في كل متأى
تمور دماء الكفر في شفرتها
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه
وحنانة الأوتار في كل مهجة
إذا نبعها عنها أرّن فإنما
كتائب عز النصر في جنباتها

أجدّ مقام أم أجدّ رحيل
إليك ، وأما صنعه فجزيل
بهن عمايات الضلال تزل
وخيل يجول النصر حيث تجول
وضلّ به في الناكثين سبيل
فسيف الهدى في راحتك صقيل
فأحجار داود لديك مثول^(١)
ولكن على صدر الكميّ ثقل
ولا كرهاً نحو الطعان بخيل^(٢)
وكشحان من ظبي الفلا وتليل^(٣)
فلولا وما أزرى بهن فلول
ويرجع عنها الطرف وهو كليل
بهن إلى شرب الدماء غليل
لصرف الردى نحو النفوس رسول
تعاصيك أوتار لها وذحول^(٤)
صداه نحيب في العدى وعويل
وكلّ عزيز يممته ذليل

(١) جالوت : أحد الملوك الكفرة قتله طالوت وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .

(٢) الجرداء : كناية عن الفرس .

(٣) الخوافي : الريش الصغار التي تلي القوادم في مقدّمة الجناح . ولقوة الجوّ : العقاب السريعة .

والكشحان : يعني عظام الصدر ، والتليل : العنق .

(٤) الذحول : الثار والحقد والعداوة .

يسير بها في البرّ والبحر قائدُ
جوادُ له من بهجة العزّ غرةُ
به أمن الإسلام شرقاً ومغرباً
حسامُ لداء المكر والغدر حاسم
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه
كريم الثاني في عقاب جناته
وأيقن باغٍ حقه أن أمه
وله أيضاً [من الكامل] :

اليوم أبهجتِ المنى أبهاجها
ما للوزارة لا تضيء لنا وقد
شمسُ تبدّتْ في ذوائب يعربٍ
لم تنتقل قدماً لأول منزل
أنجبتُهُ زخر الخلافة إن شكتُ
وسلّته سيفاً لكلّ ملمةٍ
فنظمتْ في جيد الوزارة عقدها
والخيل جانحة إليه كلما
يا قبلّةً للآملين وكعبةً
أنت الذي فرّجتْ عني كربةً

يسيرُ عليه الخطب وهو جليل^(١)
ومن شيم الفضل المبين حجول
وغالت غوايات الضلالة غول^(٢)
وظلُّ على الدين الحنيف ظليل
فقد حان من يوم الضلال أفول^(٣)
ولكن إلى صوت الصريخ عجول^(٤)
- وقدامه الليث الهصور - هبول^(٥)

وتوسّطتْ شمس الضحى أبراجها
أضحى سراج العالمين سراجها
ركبت إلى الرُتب العلا معراجها
للمجد حتى استقبلت منهاجها
ألمأ تضمّن برءها وعلاجها
يفري بأول ضربة أوداجها^(٦)
وعقدت في رأس الرياسة تاجها
رفع اللواء وأوجنت أسراجها
تدعو بحيّ على الندى حجاجها
الله قد شدّت عليّ رتاجها^(٧)

(١) ورد عجز البيت غير مستقيم الوزن على هذه الصورة يسير على الخطب وهو جليل « فأصلح .

(٢) غالت : دعت وأهلكت .

(٣) الأفول : الغروب .

(٤) الصريخ : المستغيث .

(٥) هبول : ناكل .

(٦) الملمّة : الحادثة ، ويفري : يقطع ، والأوداج : يعني بها الأعناق حيث تكون الأوداج والعروق .

(٧) الرتاج : الباب ، وأرتج الباب : أقفله وغلقه .

وجلوت عن قلق المنى من ليلةٍ وسقيتني من جود كفك منعماً
فلألبسن الدهر فيك ملابساً ما عاقب الليل النهار ورجعتُ
وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيتَ فأصغ لداعي الطرب فهذا بشير الربيع الجديد
بهار يروق بمسك ذكيٍّ غصون الزبرجد قد أورقت
فمن حقّها أن ترى الشاربين وأن تسألوا الله طول البقاء
فلولا محاسنه لم ترق وقوله [من الطويل] :

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى ولم تزجري طير السرى بحروفها
يخوفني طول السفر وإنه ذريني أردّ ماءً المفاوزِ آجناً
وأختلس الأيام خلسة فاتكٍ فإنّ خطيرات المهالك ضُمَّنْ
ولما تدانت للوداع وقد هفا وأن بيوت العاجزين قبور
فتنبئك إن يَمَنَّ فهو سرور^(١) لتقبيل كف العامري سفير
إلى حيث ماءُ المكرمات نمير^(٢) إلى حيث لي من عدوّهن خفير
لراكبها أن الجزاء خطير بصبري منها أنة وزفير

(١) الإدلاج : الظلمة .

(٢) زجر الطير: التناول أو التشاؤم بها، ويمَن: سرن يمينا حيث يكون التناول أما السير شمالاً فهو للتشاؤم.

(٣) المفاوز : الأرض الكثيرة الهلكة ، والآجن : المتغير والنمير : الصافي .

تناشدني عهد المودة والهوى
عبيّ بمرجوع الخطاب ، ولفظه
تبوأ ممنوع القلوب ، ومهدت
عصيت شفيح النفس فيه وقادني
وطار جناح البين بي وهفت بها
لئن ودّعت مني غيوراً فإنني
وما شاهدتني والضواحك تلتظي
أسلّط حر الهاجرات إذا سطا
وأستنشق النكباء وهي نوازح
وللموت في عين الجبان تلون
ولو شاهدتني والسرى جل عزمي
وأعتسف المومة في غسق الدجا
أميرٌ على غول التنائف ما له
وقد خلّيت طرق المجرة أنها
ودارت نجوم القطب حتى كأنها
لقد أيقنت أنّ المنى طوع همتي
وأنى بذكراه لهمي زاجرٌ
تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ

وفي المهد مبغوم النداء صغير^(١)
بموضع أهواء النفوس خبير
له أذرع محفوفة ونحور
رواحٌ لتدآب السرى وبكور
جوانح من دعر الفراق تطير
على عزمي من شجوها لغيور
عليّ ورقراق السراب يمور^(٢)
على حر وجهي ، والأصيل هجير
وأستمطىء الرمضاء وهي تفور^(٣)
وللذعر في سمع الجريء صفير
وجرسي لحنان الفلاة سмир
وللأسد في غيل الغياض زئير^(٤)
إذا ريع ، إلا المشرفي ، وزير^(٥)
على مفرق الليل البهيم قدير
كؤوس طلا والى بهن مدير^(٦)
وأنى بعطف العامريّ جدير
وأنى منه للخطوب نذير
شموسٌ تلالا في العلا وبدور

(١) المبغوم : الخفي صوته الذي لا يفهم .

(٢) الضواحك : حجارة بركة .

(٣) استمطىء : أي أمتطي وأسير، والرمضاء : الحرّ الشديد .

(٤) المومة : الصحراء المقفرة ، وغيل الغياض : أي الشجر الكثير الملتف .

(٥) التنائف : جمع تنوفة وهي المفازة والغلاة .

(٦) الطلا : الخمر ، والى : دار بها على الشاربين .

من الحميريين الذين أكفهم
هم صدقوا بالوحي حين أتاهم
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها
ألا كل مدح عن نذاك مقصر
ولما تراءوا للسلام ورفعت
وقد قام من زرق الأسنة دونه
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها
وكيف استوى بالبدر والبحر مجلس
يقولون والأوجال تخرس السنأ
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط
ومنها :

أثرتني لخطب الدهر والدهر معضل
وقد تخفض الأسماء وهي سواكن
وتنبو الردينيات والطول وافر
وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعت خيلي في الهوى وركابي
وسللت في سبل الغواية صارماً
ورفعت للشوق المبرح راية
وقذفت نبلي في الصبا وحرابي
عضباً تفرق في ماء شبابي^(٤)
خفاقة بهزائج الأطراب^(٥)

(١) الأوجال : المخاوف .

(٢) الهصور : الشديد الفتك .

(٣) تنبو : تخطيء ، والردينيات : الرماح .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) أراد بهزائج الأطراب : الأناشيد التي تقال عند الطرب ، وكأنما سميت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للوَّام لأمة خالِعٍ
وبرزت للشكوى بشكَّةً مُعلِّمٍ
فاسأل كَمِيَّ الوجد كيف أثرته
واسأل جنود العذل كيف لقيتها
ولقد كررت على الملام بزفرة
حتى تركت العاذلين لما بهم
من كلِّ ممنوع اللقاء أغتاله
حتى افتتحت على الأجنة معقلاً
ووقفت موقف عاشق حلَّتْ له
بحدائقِ الحدق التي أفنيتني
في روضةٍ جاد النعيم نباتها
من كلِّ مغنومٍ لقلبي غانمٍ
في جنح ليلٍ كالغراب أطار لي
وجلا لعيني كلَّ بدرٍ طالعٍ
جاب الظلام فلم يدع من دجنه
فظللت بين صباة وظلامه
فاذا كتبت بناظري في قلبه
وإذا سقاني من عقار جفونه
وسلافة الأعناب توقد نارها

مسرودةً بصباةٍ وتصابي^(١)
نكص الملام بها على الأعقاب^(٢)
بغروب دمعٍ صائب التكساب
في جحفل البرحاء والأوصاب^(٣)
ذهل العتاب بها عن الإعتاب
شغفاً بحبِّ التاركيِّ لما بي
صرف النوى فنأى به ودنا بي
وعر المسالك مقفل الأبواب
فيه غنيمة كاعب وكعاب
بأحدٍ من سفي ومن نشأ بي
فتفتحت بكواعبٍ أتراب
عشقاً ومسبيٍّ لعقلي سابي
عن ملتقى الأحباب كلَّ غراب
قَمِينٍ بهتك حجابهِ وحجايي^(٤)
إلا غدائر شعرهِ المنجاب^(٥)
مغري الجفون بطرفهِ المغري بي
أخفى فخطَّ بناظريهِ جوابي
أبقى عليَّ فشجها برضاب
تهدي إليَّ بيانع العناب

(١) اللأمة : الدرع . والمسرودة : المصنوعة .

(٢) الشكَّة : السلاح . ونكص : تراجع وفرَّ .

(٣) البرحاء والأوصاب : الآلام والأمراض الموجعة .

(٤) قَمِينٍ : جدير . وهناك الحجاب : نزعه .

(٥) الدجن : الظلام .

فسكرتُ والأيام تسلب جدتي
سكرين من خمير كأنَّ خمارها
لمدى تناهى في الغواية فانتهى
ومنها :

وشملتني بشمائلٍ أذكرني
ورضاك ردَّ لي الرضا في أوجه
وهذاك أشرق لي وليلي مظلم
فحللت منه خير دار مقامةٍ
وأسمت في أزكى البقاع صوافني
وشويت للأضياف لحم ركائبي
ولقد كسوت برغم دهر ضامني
وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وَمَحَقَ الشَّهْرُ كَمَالَ الْبَدْرِ فَلَاحَ فِي أُولَى الصَّبَاحِ النَّضْرُ

* كَأَنَّهُ قَرَطَ بِأَذْنِ الْفَجْرِ *

(١) الجدة : قدرتي وترقي ، أو ثيابي .

(٢) الخمار : وقع الخمر وأثره .

(٣) طوبى : جنة الخلد ، أو يثرب مدينة الرسول .

(٤) الزند الكابي : الذي لا يورى ولا يخرج ناراً .

(٥) أسمت : أحللت . والصوافن : الخيل .

(٦) المجلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها ، والأقتاب : الرجل

الباب العاشر
في ذكر شعراء الموصل و غرر أشعارهم

١٠٦ - فمنهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك من السري ؟ صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث في عقد السحر ، والله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفكر . فكتبت منه محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحديق الملاح ، وبدأت بصدر من أخباره ، وبطرف لأشعاره .

بلغني أنه أسلم صبيّاً في الرفائين بالموصل ، فكان يرفو^(١) ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب ، وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ، وذكر أن صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز ، فكتب إليه [من السريع] :

يكفيك من جملة أخباري	يُسري من الحب وإعساري
في سوقة أفضلهم مرتد	نقصاً ، ففضلي بينهم عاري ^(٢)

(١) يرفو : أي يصلح الثوب من شقٍّ وغيره .

(٢) مرتد : لابس .

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس ، وإنما هي في
مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد ، وهي عنده
الآن ، وكل خبر عندنا من عنده .

ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز
الكتاب ، ف شعر بجودة شعره ، وناذ الخالدين الموصليين وناصبهما العداوة ،
وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح
كشاجم ، وهو إذ ذاك ربحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه
يذهب ، وعلى قلبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر
الخالدين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي سعره ، ويشنع
بذلك على الخالدين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن
هذه الجبهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول
المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالدين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد
ابن هاشم . في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر
سهل بن المرزبان وأنفذها إلى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب
باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر
محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ،
وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصر ، فمنها أبيات في
وصف الثلج واستهداء النيز [من البسيط] :

يا من أنامله كالعارض الساري وفعله أبداً عارٍ من العارِ
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوباً يزّر على الدنيا بأززار
نارٌ ولكنها ليست بمبديّة نوراً ، وماءً ولكن ليس بالجاري

والراح قد أعوزتنا في صبيحتنا
فأمنن بما شئت من راح يكون لنا
ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألذُّ العيش إتيان الصبح وعصيان النصيحة والنصح
وإصغاء إلى وترٍ ونايٍ إذا ناحا على زقٍّ جريح^(١)
غداةً دجنَّةٍ وطفاءٍ تبكي إلى ضحكٍ من الزهر المليح^(٢)
وقد حذيت قلائصها الحيارى بحادرٍ من رواعدها فصيح^(٣)
وبرقٍ مثل حاشيتي رداءٍ جديدٍ مذهبٍ في يوم ريح^(٤)

هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي « حاشيتي لواء » ، ولست أدري
أنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالاة ، وكيف جرى الأمر فينبهم مناسبة
عجبية ، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلى المعاني .

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهما منه وغارتها عليه ، ثم أسوق
غرر الخالدين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى
ومشيئته .

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف
الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعه بعد الأفول ، وبعد صيته بعد
الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق .
ولما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ، ومدح المهلبى الوزير وغيره من

(١) الراح : الخمر .

(٢) الزق : وعاء الخمر ، الدن .

(٣) الوطفاء : المطرة التي تدلت ذيلها .

(٤) حديث : سيقت ، والقلائص : النوق .

الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان ، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان . فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة . وعذوبة اللفظ ، وهي : [من الطويل] :

أقول لحنان العشاء المغرّد يهزّ صفيح البارق المتوقّد^(١)
تبسم عن ريّ البلاد صبيه ولم يتسم إلاّ لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقيّ لا زال رائحٌ يحلّ عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنما يعلّ بماء الورد نرجسها الندى
يشقّ جيوب الورد في شجراتها نسيمٌ متى ينظرُ إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت في كتاب تفسير ابن جني لشعر المتنبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة ، وذكر أنه أخذه من قول المتنبي [من الطويل] :

سقاك وحيّنا بك الله ، إنما على العيس نور والحدود كمائمه^(٢)

(١) صفيح البارق : أي صفحة السيف ويعني هنا صفحة الخدّ أو الفم المقرّ عن بيض الأسنان .

(٢) العيس : الجمال ، والكائم : أغلفة التّوار .

وهو [من المنسرح] :

حيّا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا
فكدت أقضي بآني لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا
أخف ، وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا ، وعلمت أن الذي حصلت من شعره
غيض من فيض ما لم يقع إلي .

* * *

ولما وجدت السريّ أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من
الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :
طلعتُ على الديار وهم نباتٌ وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلاّ مخطفاتٍ حماها الخصر منها والنهود^(١)
وكرر هذا المعنى فقال [من الكامل] :

أفنت ظباك الروم حتى إنّها لم تبقى إلاّ ظبيةً أو ريما
وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والشديّ النواهد^(٢)
وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

حيّيت من طللٍ أجاب دثوره يوم العقيق سؤال دمعٍ سائلٍ
يخفي وينزل وهو أعظم حرمةً من أن يذال براكب أو سائلٍ

(١) المخطفات : الهزيلات .

(٢) اللّمي : السمرة في الشفة السفلى .

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

نزلنا على الأكوار نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نلّم به ركبا^(١)

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

فالدهر يمسح منه غرةً سابقٍ لاقاه أولُ سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة [من الكامل] :

مسحت معدّ وجه معنٍ سابقاً لمّا جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لي الوفاء ولم يزل خدن الصبابة بالوفاء حقيقا^(٢)

ومضى وقد منع الجفون خفوقها قلبٌ لذكرك لا يقرّ خفوقا

فالتجنيس أخذه من قول التنوخي [من مجزوء الكامل] :

يفديك قلبٌ خافقٌ أبداً وطرفٌ ما خفق

واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* ما بال قلبك لا يقر خفوقا^(٣) *

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

نضّت البراقع عن محاسن روضةٍ رِيضَتْ بمحتفل الحيا أنوارها^(٤)

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو الرّحل الذي يجعل على ظهر الحمل كالسّرج .

(٢) خدن الصبابة : الخدن الصديق ، والصبابة : المحبة والعشق .

(٣) هذا صدر بيت : وعجزه قوله : « وأراك ترعى النجم والعيوقا » ولابن المعتز في هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيّمٍ جرح الفؤاد فراقه فالدمع من أجفانه يتدفق
بهرته ساعة فرقة فكأنما في كلّ عضوٍ منه قلبٌ يخفق

(٤) نضت : خلعت ، والبراقع : الملاء . والحيا : المطر .

فمن الثغور المشرفات لجينها
أغصان بانٍ أغربت في حملها
وهو من قول ابن الرومي [من البسيط] :

غصون بان عليها الدهر فاكهة
وما الفواكه مما يحمل البان !
وقال السري [من الكامل] :

تلك المكارم لا أرى متأخراً
عفوٌ أظللُ ذوي الجرائم كلَّهم
وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

وتكفل الأيتام عن آبائهم
حتى وددنا أننا أيتام
والأصل فيه قول أبي دهل الجمحي [من المنسرح] :

ما زلت في العفو للذنوب وإط
حتى تمنى البراء أنهم
وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكر العقيق لنا نثرنا
طلولٌ كلما حاولن سقياً
تحنّ جمالنا هوناً إليها
ونسأل من معالمها محيلاً
عقيق الدمع سحاً وانهمالاً^(١)
سقتها العين أدمعها سجلاً
فأحسبها ترى منها جمالاً
فنطلب من إجابتها محالاً

وهو من قول ديك الجن [من الكامل] :

قالوا السلام عليك يا أطلالُ
قلت السلام على المحيل محالُ

(١) السحّ : غزارة المطر عند هطله .

وقال السري من قصيدة يشوق بها بني فهد [من الطويا] :

تناءوا ولما ينصرم عزمهم وحاشا لذاك الحبل أن يتصرّما
فشرّق منهم سيّد ذو حفيظةٍ وغرّب منهم سيّد فتشأما
كأن نواحي الجو تنثر منهم على كلّ فجٍّ قاتم اللون أنجما
وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمى القفر بالفتيان حتّى كأنهم بأقطار آفاق البلاد نجومٌ
وقال من قصيدة [من الوافر] :

تناهى فاطمأنّ إلى العتاب وأحسن للعواذل في الخطاب
وصار جنب غصنٍ غير رطب وكان جنب أغصانٍ رطاب
خلت منه ميادين التصابي وعرّى منه أفراس الشباب
وزهد خضابُ الله لما تولّى عنه في زور الخضاب^(١)

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير [من الطويل] :

* وعزي أفراس الصبا ورواحله^(٢) *

وذكر خضاب الله في البيت الرابع ، وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابي^(٣) *

(١) خضاب الله : يعني الشيب .

(٢) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره قوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق وصدره قوله :

أو ما رأت برديّ من نسج الصبّا

وفي قصيدة السري [من الوافر] :

وكنت كروضة سقيت سحاباً فأننت بالنسيم على السحاب
وهو من قول المتنبي [من الكامل] :
وذكي رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فيفوح^(١)
والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولي على الوس مي ثم العهد بعد العهد^(٢)
فهي تشي على السماء ثناءً طيب النشر شائعاً في البلاد
وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

ليالينا بأحياء الغميم سقيت ذهاب مذهب الغيوم
مضت بك رافة الأيام فينا وغفلة ذلك الزمن الحليم
فكنّا منك في جنات عيشٍ وفّت حسناً بجنات النعيم
رياض محاسن وسنا شمسٍ وظلّ دساكر وجنى كروم^(٣)
وأجفان إذا لحظت جسوماً جعلن سقامهن على الجسم

وإنما أخذ هذا المثل من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حسن الرسوم وما تمشئ إليها الدهر في صور البعاد
وإذ طير الحوادث في رباها سواكن وهي غناء المراد
مذاكي حلبة وشروب دجنٍ وسامر قينة وقدر صا^(٤)

(١) ذكي : عبق .

(٢) الوسمي : مطر الربيع .

(٣) الدساكر : جمع دسكرة ، وهي القرية أو البناء الضخم الذي يتخذهُ الملوك للهو والشراب .

(٤) المذاكي : الخيل الكريمة . والصاد : النحاس .

وأعين ربرب كحلت بسحر وأجساد تضمخ بالجساد^(١)

وممن أخذ هذا المثل مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفان تروى كل شيء سوى قلب إلى الأحباب صادي^(٢)
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً لبست لبيّنهم ثوبى حداد
معادن حكمة وغيوث جذب وأنجم حيرة وصدور نادي

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

ترتع حولي الطباء آنسة نظائراً في الجمال أشباها
رقت عن الوشى نعمة فإذا صافح منها الجسوم وشاها

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

حسان الثنني ينقش الوشى مثله إذا مسن في أجسامهن النواعم

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيد مهتز على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطق^(٣)

وهو أيضاً من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصر ثبت الأحداق فيه كأنّ عليه من حدق نطقا

(١) الربرب : البقر الوحشي . والجساد : الزعفران .

(٢) الصادي : الظامى .

(٣) النطاق : الإزار أو مكانه .

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه في حاجة [من الوافر] :
أبا بكر أسأت الظن فيمن سجيته التمنع والخلاف
وخفت عليه في الخلوات مني ولم تك بيننا حال تخاف
جفوت من الصبا ما ليس يُجفى وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقبح فعل لدى الإغفاء أيقظني العفاف

وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا [من الكامل] :
ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرع كل بكل منه مشبه
إن هم في حلم بفاحشة زجرته عفته فينتبه
وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة
بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهرة الجلباب حورية النجر^(١)
مضمّنة ماء صفا مثل صفوها فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى كما نيت عن آبائك السادة الغر

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :
فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد^(٢)
وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت أقطاره ونأت بعداً جوانبه
تركتهم بين مصبوغ ترائبه من الدماء ومخضوب ذوائبه^(٣)

(١) النجر : الأصل ، وحالية النحر : أي تلبس الحلي في نحرها .

(٢) ماء الورد : ماء النع حيث يشرع الناس للإستقاء .

(٣) الترائب : الصدر أو أعلاه ، والذوائب : خصلات الشعر في أول الوجه .

فحائرٍ وشهاب الرمح لاحقه وهاربٍ وذباب السيف طالبه^(١)
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه ويتحيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبه ثيابه فهو كاسيه وسالبه
وهو من قول البحري [من الكامل] :

سلبوا وأشرق الدماء عليهم محمرة فكانهم لم يسلبوا
وقال السري من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :
تروع أحشائه بالكتب وهولها خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لا يشرب الماء إلا غصّ من حذرٍ ولا يهوم إلا راعه الحلم
وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فإذا تنبّه رعته ، وإذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام
وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لمّا رأينا البين مذموم السجايا^(٢)
كأنّ خدودهنّ إذا استقلت شقيق فيه من طلّ بقايا
وهو من قول الناشئ الأوسط [من المتقارب] :

كأنّ الدموع على خدها بقية طلّ على جلتار^(٣)
وقال من قصيدة في مريثة أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها ونمشي حفاة حولها الرجل والركب^(٤)

(١) ذباب السيف : حده .

(٢) السجايا : الصفات .

(٣) الطلّ : الندى ، والجلتار : نوع من الورود .

(٤) تذال : تجري .

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت كأن قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

* مشى الأمراء حوليها حفاة^(١) *

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالة نورٍ ليس يدركها اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمسُ
به أضحت الأهواء بجمعها هوى كأن نفوس الناس في حبّه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجىٍ يمشي به غصنٌ رطبٌ دنا نوره لكن تناولهُ صعبٌ
إذا ما بدا أغرى به كلٌّ ناظرٍ كأن قلوب الناس في حبّه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهوى العذري مأربةٌ وليس لي في هوى العذال من أرب
سقى الغمام رباها دمعٌ مبتسمٍ وكم سقاها التصابي دمعٌ مكتئبٍ

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلّت أن قلوبنا تناجي بأفعال الهوى وهي تخفقُ
هي الدار لم يُخلِ الغمام ولا الهوى معالمها من عبرة تترقق

(١) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أم سيف الدولة وعجزه قوله :

« فإن المرو من زف الرئال »

والمرو : حجارة بيض براقه يكون فيها النار ، والزف : صغار الريش ، والرئال : جمع رثل وهو ولد النعام يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاة كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدة الحزن .

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمنٌ طالما التقت أدمع المز . ن عليها وأدمعُ العشاقِ

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوّقت قوماً في الرقاب صنائعاً كأنهم منها الحمام المطوّقُ

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت في الرقاب له أيادٍ هي الأطواق والناس الحَمَامُ

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسمُ برقُ الغيم فاختال لامعاً وحلّ عقود الغيث فارفضُ هاملاً^(١)
فقلت عليّ منك أعلى صنائعاً إذا ما رجونه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحري فقال [من الكامل] :

قد قلت للغيم الركام ولجّ في إبراقه وألحّ في إرعاده
لا تعرضنّ لجعفرٍ متشبهاً بندى يديه فلسّ من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل للعناق مقوماً كالخوط أبدع في الثمار وأغرباً^(٢)
حملت ذاره الأحقوان مفضضاً يسقي المدامة والشقيق مذهباً
وأبت وقد أخذ النقاب جمالها حركات غصن البان أن تتنقبا

(١) الغيث : المطر ، وارفضُ : انفض وتوزع وهاملاً : ممطراً .

(٢) الخوط : الغصن .

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت للناظرين بقدر ليس ينتقب^(١)

وقال السري في وصف شعره [من الكامل] :

وغريبة تجري عليك رياحها ممن له غرر الكلام تفتحت تجري وتطلبه عصائب قصرت فتعيش بعد مماته أشعاره أرجأ إذا لفحت عدوك نارها^(٢) أبوابها وترفعت أstarها عن شأوها فقصارها إقصارها^(٣) وتموت قبل مماتها أشعارها

وهو من قول دعلب [من الطويل] :

يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل] :

صادق البشر يرى ماء الندى قلت إذ برز سبقاً في العلا يرتقي في وجهه أو ينحدر إلى المجد طريق مختصر؟

وهو من قول البحري [من البسيط] :

ما زال يسبق حتى قال حاسده له طريق إلى العلياء مختصر

وفي قصيدة السري [من الرمل] :

قد تقضى الصوم محموداً فعد لهوى يحمد أو راج يسر

(١) الخمار : الستر والملاءة ، والفرعين : يقصد الشعر ، وانتقبت : أي لبست النقاب وهو ما تستر به المرأة .

(٢) الأرج : العبق الذكي .

(٣) العصائب : الجماعات ، والشأو : المدى .

أنت والعيد الذي عاودته غُرتا هذا الزمان المعتكر
لذّ فيك المدح حتى خلته سمرّاً لم أشق فيه بسهر

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

يا مسرعاً كان لي بلا كدر يا سمرّاً كان لي بلا سهر

وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره [من الخفيف] :

نوبٌ لو علت شماريخ رضوى أو شكت أن تخرّ منهنّ هذا^(١)
عرضتني على الحسام فأضحى كلّ عضوٍ منّي لحديّة غمدا
وكسّ مفرقي عمامةً ضرب أرجوانيةً الذوائب تندي

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا ربّ يومٍ قد كسوكم عمائم من الضرب في الهامات حمر الذوائب

وقال السري من قصيدة في المهلبى الوزير [من الكامل] :

وأرى العدو نقیصة في عمره وأرى الصديق زيادة في حاله
بوقائع للبأس في أعدائه ووقائع للوجود في أمواله
عذّلوه في الجدوى ومن يثني الحيا أم من يسدّ عليه طرق سجاله^(٢)

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

وما ثنأك كلام الناس عن كرمٍ ومن يسد طريق العارض الهطل؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ولا الطير منها داميات المخالب

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورضوى : اسم مكان .

(٢) الجدوى : الكرم والعطاء ، والحيا : المطر ، وسجاله : هطوله يريد أنّ المطر يتدفّق ويهطل دون أن يستطيع أحد رده .

هي الروض لم تنش الخمائل زهره ولا اخضل عن دمع من المزن ساكب
إذا انبعثت بين الملاعب خلتها زرابي كسرى بثها في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل] :

زرابي كسرى بثها في صحونه ليحضر وفداً أو ليجمع مجمعا^(١)
وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنت شخصاً من الناس صررت^٢ كما صررت في الطرس أقلام كاتب^(٢)
وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنما يصفرون عن ملاعق^٣ صرصرة الأقلام في المهارق^(٣)
وقال في وصف رقاص [من الوافر] :

إذا اختلجت منكبه لرقص^٤ نزت طير القلوب إليه نزوا^(٤)
أفارس أنت أحسن من تثني^٥ على صنج وأملح من تلوى

وهو من قول الصنوبري [من المتقارب] :

فمن متلو على نايه ومن مثن على صنجه

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهل الملك سيف الدولة أطادت^٥ قواعد الدين واشتدت كواهله^(٥)

(١) الزرابي : ما بسطوا تكىء عليه من الطنافس وغيرها .

(٢) صررت : صوّتت .

(٣) يصفرون : يصوتن .

(٤) النزو : الميل والطموح إلى الشيء .

(٥) أطادت : أي اشتدت وقويت وتوطدت .

من الرماح وإن طالّت مخاصره كما الدروع وإن أوهت غلائله
وهو من قول البحترى [من الطويل] :

ملوكٌ يعدّون الرماح مخاصراً إذا زعزعوها والدروع غلائلاً

وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعارض أكلاً فيه بارقاً كالنار شبّت في ذرى طودٍ أشم^(١)

كأنه نشوان جرّ ذيله فكلماً ريع انتضى عضباً خذم^(٢)

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كان الرّباب الجوّ دون سحابه خليعٌ من الفتیان يسحب مئزراً^(٣)

إذا أدركته روعةٌ من ورائه تلفتَ واستلّ الحسام المذكراً

وفي قصيدة السري [من الرجز] :

ورب يومٍ تكتسي البيض به لوناً فتكسو لونها سود اللّم^(٤)

وهو من قول المتنبي [من الخفيف] :

واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وأنا الفداء لمرغمٍ في العدى إذ زارني وهناً على عدوائه

قمرٌ إذا ما الوشي صين أذاله كيما يصون بهاءه ببهائه^(٥)

(١) الأشم : المرتفع العالي .

(٢) العضب : السيف والخذم : القاطع .

(٣) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

(٤) اللّم : جمع لمة - وهو الشعر الذي يتجاور شحمة الأذن .

(٥) أذاله : أهانه ، وأذالت المرأة الثوب : أرسلته وجعلت له ذيلاً .

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشى لا متجمات^(١) ولكن كي يصن^(٢) به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاهد خصره وعهوده فكان^(١) عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

* وشادن ضعيف عقد الخصر *

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حليّة^(١) وثناياه وعنبره كل^(٢) ينم^(٣) عليه أو يراقبه^(٤)
فلست أدري إذا ما سار في أفق^(٥) شمائل الأفق أذكى أم جنائبه
سرى من الخيف يخفي البدر منتقباً^(٦) والبدر يأنف أن تخفي مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائر^(١) متقنع^(٢) لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتى^(١) إذا هز^(٢) اليراع حسبه لمضاء عزمته يهز^(٣) مناصلا
من كل ضافي^(٤) البرد ينطق راكباً^(٥) بلسان حامله ويصمت راجلاً^(٦)

وهو من قول أبي تمام [من الطويل] :

فصيح^(١) إذا استنطقته وهو راكب^(٢) وأعجم^(٣) إن خاطبته وهو راجل

(١) ينم : يشي به .

(٢) ضافي البرد : الطويل الفضفاض .

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

الغيث والليث والهلال إذا أقمر: بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به وذاكرٌ منه كلٌ ما وعدا
وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته يأتي من الجود ما لم يأتيه أحدٌ
ينسى الذي كان من معروفة أبدأ إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد
وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيدٌ إذا رمت إدراكه وإن كان في الجود سهلاً قريباً
ضرائب أبدعتها في السّماح فلسنا نرى لك فيها ضربياً^(١)

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضربياً

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتى شرع المجد المؤئل : فالعلا مآربه ، والمكرمات شرائعهُ
إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضّراء فالعفو مانعه
وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني ، قال :
حدثني محمد بن مسعر ، قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن
عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال :
إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو : إنك
أعجمي ولا أعني لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذمّاً ،
وتعده مدحاً ، ثم أنشد :

(١) الضريب : المثل والشبيه .

وما يرهّب ابن العم ما عشت صولتي وما أختشي من صولة المتوعّد
 وإنّي إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدى^(١)

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ، قال :
 أفترسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : فقد أبطلت شاهدك .

وقال السري من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتي العراق فسلتُ همتي للرحيل سيف اعتزامي
 فسلامٌ على جنابك والمن هل والظّل والأأيادي الجسام

وهو من قول البحتري [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمن هل فيه وربك المأنوس
 حيث فعل الأيام ليس بمذمو م وجه الزمان غير عبوس

وقال في وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلعُ غصّة النسيم غذاها صفو ماء العلوم والآداب
 فهي كالخرّد الأوانس يخلط من شماس الصبا بأنس التصابي^(٢)
 رقة فوق رقة الحضر تبدي فطنة فوق فطنة الأعراب^(٣)

وهو من قول الطائي [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهم وتباعدا عن فطنة الأعراب

(١) أوعدته : من الوعيد وهو التهديد ، ووعدته من الوعد : أي العطاء وغيره .

(٢) الشماس : بكسر الشين : الإياء والامتناع .

(٣) الحضر : سكان المدن ، والأعراب : سكان البادية .

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

ألبستني النعمى التي غيرن لي وذو الصديق فعاد منها حاسدا
فلبستني بها الثناء مسيراً ومخلداً ما دام يذبل خالدا^(١)

والبيت الأول من قول البحري [من الطويل] :

وألبستني النعمى التي غيرت أخي عليّ فأمسى نازح الودّ أجنبياً

* * *

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها .

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات في الاستزارة [من الطويل] :

ألست ترى ركب الغمام يساق وأدمعه بين الرياض تراق
ورقّت جلايب النسيم على الثرى ولكنّ جلايب الغيوم صفاق^(٢)

وقال في معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه وغدا به ثوب النسيم رقيقاً

وقال في قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الرداء وغيمه جافي الإزار

(١) يذبل : إسم جبل .

(٢) الصفيق : الجلد الذي تحت الجلد الظاهر ، أو الجلد .

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدبٍ جَلَّتْ صنائعُ كَفِّهِ ولكنْ معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه [من الكامل] :

أعْلَى كَمْ نَعِمٍ مَنَحْتَ جَلِيلَةً مَنَحْتَكَ مَعْنَى فِي الثَّنَاءِ دَقِيقاً
يَلْقَى النَّدَى بِرَقِيقٍ وَجْهِ مَسْفَرٍ فَإِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ عَادَ صَفِيقاً
رَحِبَ الْمَنَازِلِ مَا أَقَامَ فَإِنْ سَرَى فِي جَحْفَلٍ تَرَكَ الْفَضَاءَ مُضِيقاً

وقال في معناه [من الطويل] :

فَطَوْرًا لَكُمْ فِي الْعَيْشِ رَحِبَ مَنَازِلٍ وَطَوْرًا لَكُمْ بَيْنَ السِّيفِ زَحَامٍ

وقال يمدح [من الكامل] :

فَلتَشْكُرَنَّ دَوْلَةً جَدَّدْتُهَا فَتَجَدَّدَتْ أَعْلَامُهَا وَمَنَارُهَا
حَلَّتْهَا وَحَمِيَتْ بِيضَةً مَلَكُهَا فغَرَارَ سَيْفِكَ سَوْرَهَا وَسَوَارَهَا^(١)

وقال في معناه [من الوافر] :

تَحَلَّى الدِّينَ أَوْ تَحْمِي حِمَاهُ فَأَنْتَ عَلَيْهِ سَوْرٌ أَوْ سَوَارٌ

وقال [من الكامل] :

نَشَرَ الثَّنَاءَ فَكَانَ مِنْ إِعْلَانِهِ وَطَوَى الْوُدَادَ فَكَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ
كَالنَّخْلِ يَبْدِي الطَّلَعَ مِنْ أَثْمَارِهِ حِينَأُ وَيُخْفِي الْغُضَّ مِنْ جُمَارِهِ^(٢)

(١) وحيت بيضة ملكها : أي جعلت ملكها منيعاً بصونك له ، وغرار السيف : حذّه .

(٢) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أوّل طلوعها ، والجمار : شحم النخلة .

وقال في معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه
وأضمر الودّ فيه أيّ إضمارٍ
كيانع النخل بيدي للعيون ضحىً
طلعاً نضيداً ويخفي غضاً جمّار

وقال في وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت لليل إذا الليل غسق
وقيد الألحاظ من دون الطرق
قضباً تبرّ عريت عن الورق
شفأوها إن مرضت ضرب العنق

وقال في معناه [من الكامل] :

فرجتها بصحائح إن تعتلّ
فلهنّ من ضرب الرقاب شفاءً

وقال في معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضةً
فشأوها ضرب الرقاب

وقال في معناه [من السريع] :

سيّافها يضرب أعناقها
وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى
أجر بُردٍ على برد الثرى

* والصبح حمل بين أحشاء الدجى *

وقال في مثله [من الكامل] :

* والصبح حمل في حشى الظلماء *

وقال في وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا غادها مخطئاً أو مصيباً
وسر نحوها داعياً أو مجيباً

وخذ لهباً حرّه في غدٍ إذا الحر قارن يوماً لهيباً
وقال في معناه [من البسيط] :

هات التي هي يوم الحشر أوزار كالنار في الحسن عقبى شربها النار
وقال في معناه [من الخفيف] :

هاتها لم تبأشر النار واعلم أنها في المعاد للشرب نارٌ
وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظر إلى الليل كيف تصدعه راية صبح مبيضة العذب
كراهبٍ حن للهوى طرباً فشقّ جلبابه من الطرب
وقال في معناه [من السريع] :

والفجر كالراهب قد مزّقت من طربٍ عنه الجلابيبُ
وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضب الكفّ بالمدام وطوراً يَخْضُبُ السيف من دمٍ مهراقٍ^(١)
وقال في معناه [من المتقارب] :

وتخضب بالراح أيماننا ونخضب بالدم أرمأخنا
وقال في الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفسي من أجود له بنفسي ويخل بالتحية والسلام
وحثني كامنٌ في مقلتيه كُمون الموت في حدّ الحسام^(٢)

(١) يخضب : من الخضاب ، أي صبغ الشعر واليدين . والمهراق : أي المراق المسفوك .

(٢) الحثف : الموت والهلاك ، وكامن : مستتر وموجود .

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأي حزم كامن فيه كمون الموت في حدّ القضب^(١)
وقال في معناه [من المتقارب] :

أما للمحبين من حاكم
حمامي في طرفه كامن
فينصفني اليوم من ظالمي
كُمونَ المنية في الصارم

وقال في معنى آخر [من البسيط] :

وفتية زهر الآداب بينهم
مشوا إلى الراح مشي الرّخ وانصرفوا
أبهى وأنضر من زهر الرياحين
والراح تمشي بهم مشي الفرازين^(٢)
وقال في معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت
راحوا عن الراح وقد أبدلوا
خيامها الصفر بقلع الأواخي^(٣)
مشي الفرازين بمشي الرخاخ^(٤)

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

بيدي لعينك كلما عاينته
فكأن ذا صاحٍ يسير مقوماً
قرنين جالا مقدماً ومخاتلاً^(٥)
وكان ذا نشوان يخطر مائلاً

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض
ولا يآلف السّير فيمن سرى

(١) القضب : السيوف .

(٢) الرّخ والفرازن : من أحجار الشطرنج .

(٣) الأواخي : من أحجار الشطرنج .

(٤) الراح : الخمر .

(٥) المخاتل : الخداع .

نحمله سبجاً أسوداً فيجعله ذهباً أحمر^(١)
وقال في معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزهر خا
فما ينفك من سبج
ففات حوله العذب
يعود كأنه ذهب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجاب إلى مقام
كأن سيوفه بين العوالي
تواري الشمس فيه بالحجاب
جداول يطردن خلال غاب

وقال في معناه [من الطويل] :

كان سيوف الهند بين رماحه
جداول في غاب سما فتأشبا^(٢)

وقال في معناه [من الكامل] :

أسد لها من بيضها وسمرها
جداول مطردات وأجم
وقال في وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتها عذراء تأوي
أذبت لصوغها ذهب القوافي
حجاب القلب لا حجب القباب^(٣)
فأدت رونق الذهب المذاب

وقال في معناه [من الوافر] :

وخذها كالتهاب الحلوى تغني
عن المصباح في الليل التهبا

(١) السبج : الخرز .

(٢) تأشَّب : اختلط واجتمع .

(٣) زففت : قدمت وزينت وحجاب . القلب : غلافه ، والقباب : أي البيوت التي تكون للسلطين .

مشعشة كأنّ الطبع أجرى على صفحاتها الذهب المذابا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً ، لفرط استحساني جودة وصفه له ،
وموافقته الموصوف :

قال في وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

وما زالت رياح الشعر شتى فمن رياً الهبوب ومن سموم^(١)
تحیی صاحب الطلق المحيّا وتعلن شتم ذي الوجه الشميم^(٢)
منحتك من محاسنها ربيعاً مقيم الزهر سیار النسيم
وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعدو إليك عن ذي عدة ما ثار إلا نال أبعد ثاره
صلّ القريض إذا ارتوت أنيابه من سمّه قطرت على أشعاره^(٣)
لو أنه جاری عتيقيّ طيء في الحلبتين تبرقعا بغباره^(٤)
وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلّتك عن حسن السماع مدائح حسنت فما تنفك تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجم منهنّ يخجلن النجوم طوالعا
زهرٌ إذا صافحن سمع معاند خفض الكلام وغضّ طرفاً خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذي ما زال في صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضراً ومورداً شرقاً وأصفر فاقعا^(٥)

(١) رياً الهبوب : أي الرياح المنعشة الباردة والسموم : الرياح الحارة اللافحة .

(٢) الشميم : الكريه الوجه .

(٣) الصلّ : الحية .

(٤) يريد بعتيقي طيء أبا تمام والبحري .

(٥) الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غبّ النوال تبسمت كما ابتسم النّوّار غبّ حياً أروى
وما ضرّ عقداً من ثناء نظمته وفصلته أن لا يعيش له الأعشى^(١)

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظامٍ وذا خضلٌ وكالصوارم ذا نابٍ وذا خذم^(٢)
أو كالعرائين هذا حظّه خنس مزرٍ عليه وهذا حظّه شمم^(٣)

وقال [من المتقارب] :

وفكر خواطره ألبست علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو علقت بالقتير لحسن عند الحسان القتيرا^(٤)
إذا ما جفت خلع المادحين عليهن رقت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخلعة من ثنائي دبّجها الففكر ففاقت بحسّها البدعا
وقرب الحذق لفظها فغدا من قربها مطمعا وممتنعا

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب^(٥)
إن المدائح لا تهدي لناقدها ألا وألفاظها أصفى من الذهب

(١) الأعشى : ميمون بن قيس أحد شعراء الخمسة المشهورين .

(٢) الظامىء : العطش ، والخضل : المرتوي والنابي : الذي لا يقطع .

(٣) العرين : الأنف ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه ، والشمم : ارتفاع الأرنبة .

(٤) القتير : الشيب .

(٥) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الشقة الرقيقة من القماش ، والصريح : الخالص والمؤتشب : المختلط .

كم رَضْتُ بالفكر فيها روضة أنفأ
لفظٌ يروح له الريحان مطرَحاً
تفتَح الزهرُ عن جنى الأدب
إذا جعلناه ريحاناً على النجب^(١)

وقال [من الطويل] :

أتسك يجول ماء الطبع فيها
قوافٍ إن ثنتَ للمرء عطفاً
مجال الماء في السيف الصقيل
ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها
ويقول سامعها إذا ما أنشدت
شرقت لرونقها بتر ذائب
أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحةٍ دبَّجتها
من كلِّ بيتٍ لو تجسَّم لفظه
فكأنما دبَّجت منها مطرفاً^(٢)
لرأيته وشياً عليك مفوّفاً^(٣)

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدرِّ في أصدافه
من كلِّ رائقة الجمال كأنها
لا بل يزيد عليه في لألائه
جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحرٌ نلت أنفس درؤ
وتنافس الشعراء في حصائهِ

(١) النجب : الكرام السادة .

(٢) المطرف : رداء من حرير ذو أعلام .

(٣) التفويف : التزيين .

وقال [من الكامل] :

وغرائبٍ مثل السيوف إضاءةٌ وجدت من الفكر الدقاق صياقلاً^(١)
فلو استعار الشيب بعض جمالها أضحى إلى البيض الحسان وسائلاً
جاءتك بين رصينه ودقيقه تهدي إليك مطارفاً وغلائلاً

* * *

ما أخرج من غرره في الخالدين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالدين والتلعفري إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل ناصر للشعر يوسعه نصراً	هل الصبر مجرد حين أدّرع الصبرا
عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى ^(٢)	تحيف شعري يا ابن فهد مصالت
تروّع ألفاظي المحجلة الغراً ^(٣)	وفي كل يومٍ للغبين غارةٌ
كما ضاحك النوار في روضه الغدرا	إذا عن لي معنى يضحك لفظه
مخائله للفكر أودعته سطرا	غريب كشطر البرق لما تبسّمت
وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا	فوجه من الفتیان يمسح وجهه
من الحلم معذور متى خلع العذرا	تناوله مثرٍ من الجهل معدمٌ
وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا	فبعد ما قرّبت منه غباوة
يغار على الأشعار من عشق الشعرا	فمهلاً أبا عثمان مهلاً فإنّما
ودنّستما تلك المطارف والأزرا	لأطفأتما تلك النجوم بأسرها
وأبقيتما لي من مخاسنه شطراً ^(٤)	فويحكما هلاً بشطري قنعتما

(١) الغرائب : القصائد ، والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يصنع السيوف ويصقلها .

(٢) تحيف : اغتصب ، والمصالت : السارق .

(٣) المحجلة : البيضاء ، والغراء : البيضاء الناصعة .

(٤) الشطر : القسم والنصيب .

وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالدين ، وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعدَّ أبا
أشكو إليك حليفي غارق شهرًا
ذئبن لو ظفرا بالشعر في حرم
سلا عليه سيوف البغي مصلته
وأرخصاه فقل في العطر ممتنها
لطائم المسك والكافور فائحة
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها
أرقت ماء شبابي في محاسنها
كأنها نفس الريحان يمزجه
إن قلداك بدرٌ فهو من لججي
باعا عرائس شعري بالعراق فلا
مجهولة القدر مظلوم عقائلها
ما كان ضرهما والدر ذو خطر
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما
والله ما مدحا حياً ولا رثياً
هذا وعندي من لفظ أشعشه
كريمة ليس من كرم ولا التثمت
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت

فات الكرام بآباء وآثار
سيف الشقاق على دياج أفكار
لمزقاه بأنياب وأظفار
في جحفل من صنيع الظلم جرار
لديهما يشتري من غير عطار
منه ومنتخب الهندي والغار^(١)
صفيحة بين إشراق وإسفار
حتى ترقق فيها مأوها الجاري
صبا الأصائل من أنفاس نوار
أو ختماك بياقوت فأحجاري^(٢)
تبعد سباياه من عون وأبكار^(٣)
مقسومة بين جهال وأغمار^(٤)
لو حلياه ملوكاً ذات أخطار
بيعت نفيسته ظلماً بدينار
ميتاً ولا افتخرا إلا بأشعاري
سلافة ذات أضواء وأنوار
عروسها بخمار عند خمّار
ذات الحباب خلال الطين والقار^(٥)

(١) اللطيمة : وعاء المسك .

(٢) اللجج : القاع من البحر .

(٣) العون : المرأة ، والبكر : العذراء .

(٤) القار : القطران .

لم يبق لي من قريض كان لي وزرا
أراه قد هتكت أستار حرمة
كأنه جنة راحت حدائقها
عارٍ من النسب الوضاح منتسب
على الشدائد إلا ثقل أوزاري^(١)
وسائر الشعر مستور بأستار
من الغيبين في نارٍ وإعصار^(٢)
في الخالدين بين العرِّ والعار^(٣)

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالدين [من الطويل] :

ولا بد أن أشكو إليك ظلامه
يخيل شعري أنه قوم صالح
رعى بين أعطانٍ له ومسارح
وكان رياضاً غضةً فتكدرت
يساق إلى الهجن المقارف حليه
غصبت على ديباجه وعقوده
وكنت إذا ما قلت شعراً حدث به
وغارة مغوار سجيته الغصب
هلاكاً وأن الخالدي له سقب^(٤)
فلم ترع فيهنّ العشار ولا النجب^(٥)
مواردها واصفرّ في تربها العشب
وتسلبه الغرّ المحجلة القب^(٦)
فديباجه غصب كما روع السرب
حداة المطايا أو تغنى به الشرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثة مصدور
قد أنست العالم غاراته
أثكلني غيد قواف غدت
فحاذروا صولة مخدور
في الشعر غارات المغاوير
أبهى من الغيد المعاطير

(١) الوزر : الملجأ والمعين .

(٢) الإعصار : ريحٌ شديدة تصحب بنارٍ أحياناً .

(٣) العرّ : العيب ، والشر .

(٤) السقب : ولد الناقة .

(٥) العطن : مبيت الإبل ، والعشار : النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر والنجب : الجمال الأصيل .

(٦) الهجن : النوق ، والمقارف : الحمر والقبّ : الفحل ، وسيد القوم .

أطيب ريحاً من نسيم الصبا جاءت برياً الورد من جور^(١)
من بعد ما فتحت أنوارها فابتسمت مثل الأزاهير
وبات فكري تعباً بينها ينقشها نقش الدنانير
يا وارث الأغفال ما حبروا من القوافي والمشاهير^(٢)
أعط « قفا نيك » أماناً فقد راحت بقلب منك مذعور

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع
أن الخالدين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك في أيام المهلبى الوزير [من
الكامل] :

بكرتُ عليك مغيرة الأعراب فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكرم وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعدنا شكاً بأنهما هما في الفتك لا في صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا مقرونة بغرائب الكتاب
شئنا على الآداب أقبح غارقة جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صليّ قفرة وحذار من حركات ليثي غاب^(٣)
لا يسلبان أخا الثراء وإنما يتناهبان نتائج الألباب^(٤)
إن عزّ موجود الكلام عليهما فأنا الذي وقف الكلام ببابي
أو يهبطا من ذلة فأنا الذي ضربت على الشرف المطل قبابي
كم حاولا أمدي فطال عليهما أن يدركا إلاّ مشار ترابي^(٥)

-
- (١) جور : مدينة فيروز آباد ينسب إليها الورد .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الشاعر المجهول .
(٣) الصل : الأفعى .
(٤) نتائج الألباب : أي ما ينتجه الفكر من أدب وغيره .
(٥) أمدي : مجالي .

عجزاً ولن تقف العبيد إذا جرت
ولقد حميت الشعر وهو لمعشر
وضربت عنه المدعين وإنما
فغدت نبيط الخالدية تدعي
قوم إذا قصدوا الملوك لمطلب
من كل كهل تستطير سباله
مُغضٍ على ذلّ الحجاب يرده
ومُفوهين تعرضاً لحرايتي
نظرا إلى شعر يروق فترباً
شرباه فاعترفا له بعدوبة
في غارة لم تتسلم فيها الظبا
تركت غرائب منطقي في غربة
جرحي وما ضربت بحدّ مهتد
لفظ صقلت متونه فكأنه
وكانما أجريت في صفحاته
أغربت في تحبيره فرواته
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل
وإذا تفرق في الصحيفة ماؤه
يصغني اللبيب له فيقسم لبّه

يوم الرهان مواقف الأرباب
ذمّ سوى الأسماء والألقاب
عن حوزة الآداب كان ضرابي
شعري وترفل في حيز ثيابي^(١)
نقضت عمائمهم على الأبواب
لونين بين انامل البواب^(٢)
دامي الجبين تجهّم الحجاب
فتعرضت لهما صدور حراي^(٣)
منه خدود كواعب أتراب^(٤)
ولربّ عذب عاد سوط عذاب
ضرباً ولم تندّ القنا بخضاب
مسيّة لا تهتدي لأياب
أسرى وما حملت على الأقتاب^(٥)
في مشرقات النظم درّ سحاب
حرّ اللجين وخالص الزرياب^(٦)
في نزهة منه وفي استغراب
عن حسنه بصباً ولا بتصابي
عبق النسيم فذاك ماء شبابي
بين التعجّب منه والإعجاب

(١) نبيط : من النبط أخلاط الناس وعوامهم .

(٢) السبال : الشنب .

(٣) الحراية : السلب .

(٤) ترباً : زيناً ، والكواعب : الفتيات النواهد ، والأتراب : الرفيقات من سنّ واحد .

(٥) المهتد : السيف : والأقتاب : جمع قتب وهو المحمل على ظهر البعير .

(٦) الزرياب : الذهب .

جدٌ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب
أعزِرْ عليَّ بأن أرى أشلاءه تدمي بظفر للعدو وناب
أفنُ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعت ظباء الروم في الأعراب
إنني أحذرُ من يقول قصيدة غراءُ خِدْنِي غارةٍ ونهاب
إنني نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المتتاب^(١)
وإذا نبذت إلى امرئٍ ميثاقه فليستعدَّ لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعدوبة .

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي ، وقد ورد عليه كتاب الخالدين
بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة [من الخفيف] :

قد أَظْلَتُكَ يا أبا إسحاقَ غارة اللفظ والمعاني الدقاقِ
فاتخذ معقلاً لشعرك تحميه مروق الخوارج المراق^(٢)
قبل رقرقه الحديد تريق السِّمِّ في صفو مائه الرِّقراق
كان شَنَّ الغارات في البلد القف ر فاضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالي حين شَنَّت ولا السيوف الرِّقراق
جال فرسانها عليَّ جلوساً لا أَقْلَتْهُمْ ظهور العتاق
فجعت أنفـس الملوك أبا الهيثم جاء حرباً بأنفس الأعلاق

يعني أبا الهيثم حرب بن سعيد أخا أبي فراس الحمداني .

بقوافٍ مثل الرياض تمشَّتْ بين أنوارها جياذ السواقي
بدعُ كالسيوف أرهفْنَ حسناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقِي
مشرقاتُ تريك لفظاً ومعنى حمرة الحلبي في بياض التراقي^(٣)

(١) نبذت : أرسلت ، والمتاب : القاصد .

(٢) المروق : الخروج عن الدين وعدم مراعاة أحكامه .

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

يا لها غارةٌ تفرق في الحو
تسم الفارس السמידع بالعا
لو رأيت القريض يرعد منها
وقلوب الكلام تخفق رعباً
وسيوف الظلام تفتك فيها
والوجوه الرقاق دامية الأب
لتنفست رحمة للخدود الـ
والرياض التي ألحَّ عليها
والنجوم التي تظل نجوم الـ
بعدما لحن في سماء المعالي
وتخيرت حليهن فلم تعد
وقد لعت الشباب فيه إلى أن
فهو مثل المدام بين صفاء
منطق يخجل الربيع إذا حلَّ عليه السحاب عقد النطاق
يا هلال الآداب يا ابن هلال
سوف أهدي إليك من خدم السـمجد إماءً تعاف قبح الإباق^(١)
كل مطبوعة على اسمك بادٍ وسمها في الجباه والأماق

* * *

(١) السِّمِدَع : الشجاع .

(٢) الودق : المطر .

(٣) الإخلاق : يقال ثوب خلق : أي رث بال .

(٤) الإباق : الهروب .

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي ، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة [من
الوافر] :

أرى الجزار هيّجني وولّى	فكاشفني وأسرع في انكشافني
ورقع شعره بعيون شعري	فشاب الشّهد بالسّم الذعاف ^(١)
لقد شقيت بمديتك الأضاحي	كما شقيت بغارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل	وكدّر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي	على فكرٍ أشد من الثّفاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى	على الأسماع أو أرج السّلاف
جمعن الحسنين فمن رياح	معبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمي	رقيق طباعها بطباع جافي
معانٍ تستعار من الدياجي	وألفاظٌ تقدُّ من الأثافي ^(٢)
كأنك قاطفٌ منها ثماراً	سبقت إليه إبّان القطاف
وشرّ الشعر ما أذاه فكرٌ	تعثّر بين كدٍّ واعتساف ^(٣)
سأشفي الشعر منك بنظم شعري	تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي	فقفُ لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدّب [من الطويل] :

ينافسني في الشعر والشعر كاسدٌ	حسودٌ كبا عن غايتي ومعانِدُ
وكلُّ غبيٍّ لو يباشر برده	لظى النار أضحى حرّها وهو بارد

(١) الذعاف : القاتل المميت .

(٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور « الموقد » .

(٣) الاعتساف : المشقة .

أفيقوا فلن يعطي القريض معلّم
ولا تمنحوا منه الكرام قلائداً
وهل يتولى الأغبياء عطارداً
فليس من الحصباء تهدي القلائد^(١)

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحةً
أسخطتني وجناة عيشك حلوةً
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتي
أترومني وعلى السّمّاك محلتي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي
وغدت صوارم منطقي مشهورة
وقد امتحنت دعاويا لك بينت
فرايت علمك من خراً وخرافةٍ
فاليوم أضحت وهي سَمٌ خياط^(٢)
فجنيت مرّ العيش من إسخاطي
أنّ الرياح بعيدة الأشواط
شرفاً وبين الفرقدين صراطي
فجلست بين مؤمّلٍ وسماط
بين العراق تهزّ والفسطاط
عن بحر تمويه بعيد الشاطي
ووجدت شعرك من فسا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤساً لعرس الخالدي بوساً
خلته واعتاضت فتى نفيساً
فصادفت ربع هوى مانوساً
وكيف تهوى وجهه العبوسا
أكلٌ يوم تغتدي عروسا
وفارقت من نثنه ناووسا
وبدكت من رخمٍ طاوسا^(٣)
وهي ترى الأقمار والشموسا

* * *

هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً يتصابب ، ويتعصب للخالدين على السري ، وكان السري

(١) القلائد : جمع قلادة وهي العقد الذي يوضع في العنق ، والحصباء : الحصى .

(٢) سَمٌ خياط : أي ضيقه كفتحة الإبرة .

(٣) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش .

يهجوه جداً وهازلاً ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجب أن الغيبين أبرقا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي
وإن علياً بائع الملح بالنوى
وعندي له لو كان كفواً قوارصي
ومغموسة في الشري والأري هذه
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها
ولست لجد القول أهلاً وإثماً
نصبت لفتيان البطالة قبةً
وكان طريق القصف وعراً عليهم
وكم لذق لا من فيها ولا أذى
قصدهم وزناً فساويت بينهم
وجتتهم قبل ارتداد جفونهم
ومبيضة ممّا قراه محمدٌ
نشرت عليها البقل غضاً كأنما
ومصبوغة بالزعفران عريضة
تريك وقد غطت بياضاً بصفرة
حفّ بها منهم كهولٌ وفتيةٌ

مغيرين في أقطار شعري وأرعدا
إلى نسب في الخالدية أسودا
تجرّد لي بالسب فيمن تجردا
قوارص ينثرن الدلاص المسرداً^(١)
ليدي بها باغٍ وتلك لترتدي^(٢)
وأطلقتها خزر النواظر شرّداً^(٣)
أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
ليدخلها الفتیان كهلاً وأمردا
فسهّلته حتى رأوه معبداً
هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
بمائدة تكسي الشرائح والمدى
أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نشرت على حرّ اللجين الزبرجدا
كأنّ على أعطافها منه مجسدا
مثالاً من الكافور ألبس عسجداً^(٤)
كأنهم عقدٌ يحفّ مقلّداً

-
- (١) الدلاص : الدروع . . والمسرد : المنسوج المصنّع .
(٢) الشري والأري : الشري : الخنضل ، والأري : الشهد .
(٣) خزر النواظر : أي العيون التي فيها ضيق .
(٤) العسجد : الذهب والجوهر .

فلا نظر الداعي إلى الزاد كفهم
وملت بهم من غير فضلٍ عليهم
مناهدة إن فات مثلك طيها
معداً لهم في كل يوم مجد
إذا وصلوا أضحى الخوان مدبجاً
وإن شرعوا في لذّة كنت بيعة
لك القبة العليا أوضحت نهجها
يصادف منها الزور عيشاً مبرداً
وقد فضلت شمّ القباب لأنّي

وقوله فيه [من الطويل] :

ولا خجلة المدعو ردّت لهم يدا
إلى الورد غصاً والشراب مورداً
تنفس مجروح الحشا أو تنهداً
من الراح والريحان عيشاً مجدداً
وإن هجروا أضحى سلياً مجرداً^(١)
وإن طمعوا في مرفق كنت مسجداً
وأطلعت منها للفتوة فرقداً
وباطية ملأى وظياً مغرداً^(٢)
نصبت عليها بالقصائد مطرداً^(٣)

طوى ودّه الملحّي عني فانطوى
دعاني فغاداني بإنشاد شعره
وقال أذاك الحلّي قلت مماًزحاً
وناولني مسوّدّة لو قرنتها
وقال أرى هذا الشراب لصفوه
وفضّل في الشعر امرأ غير فاضلٍ
ولو أنني أحمي الثقاف لمثله

وقد كان لي خلافاً فأعرض والتوى
ولولا انصرافي عنه متّ من الطوى^(٤)
أذاك النوى يا بائع الملح بالنوى
إلى القار كانا في سوادهما سوا
ورقته كالنجم قلت إذا هوى
فقلت له أمسكْ نطقك عن الهوى
وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى^(٥)

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام وقت الأكل .

(٢) الباطية : الإناء .

(٣) المطرد : من الطرد ، وهو الابعاد .

(٤) الطوى : الجوع .

(٥) الثقاف : بكسر الثاء ، ما تسوى به الرماح .

وقوله فيه [من الوافر] :

سل الملحيّ كيف رأى عقابي وكيف وقد أثاب رأي ثوابي^(١)
سقاني الهاشمي فسلّ ضغني وأغمد عنه تأنيبي ونابي
أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي ، ولهذا قال :

* سقاني الهاشمي فسلّ ضغني * الخ

وقال أخو المودة والتصافي وعون أخي الصباية والتصابي
وشيخ طاب أخلاقاً فأضحى أحبُّ إليّ الشباب من الشباب
له قفصٌ إذا استخفيت فيه أمنت فلم تنلك يد الطلاب
طرقناه وقنديل الثريا يحطّ وفارس الظلماء كابي
فرحّب واستمال وقال حطّ ركابكمُ بأفنيةٍ رحاب
وحضّ على المناهدة الندامى بألفاظ مهذّبة عذاب
وقال تيمموا الأبواب منها فكلُّ جاء من تلقاء باب
فهذا قال قدر من طعام وهذا قال دنُّ من شراب
وهذا قال ريحانٌ ونقلٌ وثلجٌ مثل رقراق السراب^(٢)
وسمح القوم من سمحت يداه بخدر غريقة بكرٍ كعاب^(٣)
فتمّ لهم بذلك لهو يوم غريب الحسن عذب مستطاب
إذا العبء الثقيل توزّعته أكفُّ القوم خفّ على الرقاب

وقوله فيه [من الرجز] :

أقررت يا ابن العصب العيوننا ورحتَ جلاً للخنا متيناً^(٤)

(١) أثاب : استيقظ .

(٢) النقل : ما يؤكل مع الشراب من فستقٍ وفواكه وغيرها .

(٣) سمح القوم : جوادهم وكرمهم .

(٤) ابن العصب : ابن الزنا وابن الجماعة والخنا : الفحش .

فأطرحوا الحشمة مسرعينا
فأكلوا يومهم سميـنا
يا من يرى نزع الدنان دينا
ما العيش إلا للمناهدينا^(١)
ولو تفرّدنا بها خرينا

علّمت قوماً كيف يقصفونا
ودخلوا القبة آمينـا
ولم يكن سرورهم ممنونا
ومن يداري العيش كي يلينا
مؤونةً قضت على عشرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ظيماً من الإنس مبذول الخلاخيل
فنهدي لخليع منه ضليل
إذا أتاه بمشروب ومأكول
كأس الحياء بضم أو بتقبيل
فألزيت ينشر أضواء القناديل

ملنا إلى غرفة الملحى إنَّ بها
نزوره وبقايا الليل تسترنا
يرضى النديم ويرضى عن مروءته
وإن رآه رقيق الوجه قال أرق
فزدت إذ زرته قنديل بيعته

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

ومضى ودَّ عليل
ضُ في يومك طول
ط إليها والمحول
تل والماء الثقيل
ب الخنا قال وقيل^(٢)
قُ الدبقي الصقيل^(٣)
شرب عذراء شمول

قد وهى ستر رقيق
قصرت أيامنا اليـد
دعوة يتسب القحـد
ليس إلا العطش القا
مجلس فيه لأربا
وضراط مثل ما انشـد
فاذا اختالت خلال الد

(١) المناهدين : المناهضين المخاصمين .

(٢) أرباب الخنا : أصحاب الفحش وقال وقيل : كناية عن القول الكثير .

(٣) الدبقي : المنسوب إلى دبيق ، بلد بمصر .

لعبت أيدٍ لها أق
لست من شكلك والنا
أنت للحاجة حتى
فاقطع الرسل فقد أز
غية القوم طبول
س ضروبٌ وشكول^(١)
يصدر الورد خليل
رى بنا منك الرسول

وقوله فيه [من المنسرح] :

شيخ لنا من شيوخ بغداد
رقٌ طباعاً ومنطقاً فغدا
تظنّ تحت الأكفّ هامته
قوَاد إخوانه فإنّ ظمئوا
له على الشط غرفة جمعت
أعد فيها ابنة الشباك لهم
ولذوّ من صباح قطربل
يقول للزائر الملمّ به
وشاعر جوهر الكلام له
وخير ما فيه أنّه رجلٌ
إذا انتشى أقبلت أنامله
أغذّ في القصف أيّ إغذاذ^(٢)
وراح في المستشفّ كاللاذ^(٣)
إذا علتها طنين فولاذ
سقامم الراح سقيّ نبّاذ^(٤)
كلّ خليع نشا ببغداد
مكورة الجنب في ابنة الداذي^(٥)
وجؤذرا من ملاح كلواذ^(٦)
أوصّل هذا ألدّ أم هذي ؟
ملك فمن تارك وأخاذ
يخدمني الدهر وهو أستاذي
تنشر ميتاً خلال أفخاذي^(٧)
وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة

(١) ضروبٌ وشكول : أي أشكالٌ واللوان .

(٢) أغذّ : أسرع وأمعن .

(٣) اللاذ : حرير أحمر صيني .

(٤) قوَاد : أي من يقودهم إلى الضلالة والراح الخمر .

(٥) ابنة الشباك : أي التي تصيدهم ومكورة : مصبوعة ، أو مسقية والراذي : شراب الفسّاق .

(٦) كلواذ : قرية أسفل بغداد .

(٧) تنشر : تحيي وتبعث .

وسقاه نبذ الدبس وماء بثر يعرف بكرخايا^(١) [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحي راح بنا صبا
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمت
تيمم كرخايا فجاد قلبها
وأحضرنا محبوسة طول ليلها
تخير من رطب الذؤابة لحمها
وساهرها ليلاً يضيق سجنها
إذا مسحتها الريح راحت كأنها
وداذية تنهي الصباح إذا بدا
شراب يغض الطرف عنه وعمره
يحد بأطراف النهار وما افتري
فلما تراءت للجميع إزاءنا

وقوله فيه [من الخفيف] :

أربعاء حسامه مشهور
نتوقاه أول الشهر إن دا
فاغد سراً بنا إلى قفص الملد
نتواري من الحوادث والدهد
مجلس في فناء دجلة يرتا
طائر في الهواء فالبرق يسري

حين يأتي وشره محذور
ر ونخشاه آخر لا يدور
حي فالعيش فيه غص نضير
ر خير بمن تواري بصير
ح إليه الخليع والمستور
دون أعلاه والحمام يطير

(١) كرخايا : مسيل يفيض الماء من عمود على نهر عيسى ببغداد .

(٢) القلب : البثر .

(٣) الداذية : شراب الفساق .

(٤) الخدن : الصاحب . والترب : الرفيق من سن واحد .

وإذا الغيم سار أسبل منه
وإذا غارت الكواكب صباحاً
ليس فيه إلا خمار وخمر
وحديث كأنه زهرُ المند
وجريحُ من الدنان تسيل الـ
ولك الظبية الغريبة إن شئت
فتمتع بما تشاء نهاراً
كل هذا بدرهمين فإن زد
وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

شققت قذال الخالدي بمنطقٍ
وناضلني الملحيُّ عنه فأصبحت
وقد كان يُخلي بيته لماربي
على أنه يكره يوماً بخمسة
تحلّت بذكر الله من كلِّ جانب
يبيح بها الملحي طوراً قذاله
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالةٍ
فقدّم له الجدي الرضيع وثنّه
ولا تلقه إلا بخير وسيلةٍ

يشقُّ من الأعداء كل قذال^(١)
جوارحه مجروحةً بنبال
إذا زار ألفاً أو حبا بوصال
موجهة بيض الوجوه ثقال^(٢)
فهنّ بذكر الله خير حوالي
وطوراً حريمي منزلٍ وعيال
مهفهفة الكشحيّن أو بغزال^(٣)
بعذراء من ماء الكروم زلال
يلوح على وجهه خير مقال

(١) المعرس : أي صاحب عرس .

(٢) المحبور : السرور ، والبجل : المعظم .

(٣) القذال : القفا ، مكان الصفع .

(٤) يكره : يؤجره .

(٥) الكشع : ما بين الخاصرة والسرة ووسط الظهر من الجسم .

ببازٍ إذا أرسلته صاد كل ما تروم به أو نال كل منال.
وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحي^١ يثني اليوم من أثنى
على الجلد وإن صاد ف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً شديد الحر فالتحنا
ولم يحو به الأجر ولم نعدم به المنا
جياً نصف الزيتو ن لو أمكن والجنا
ونظري السمك البني^٢ والجردق والبنّا^(١)
وكنا نشر الدر من اللفظ فخلطنا
فلو طارت بنا ضعفاً صبا لاعة طرنا
ولو أنا دعونا الله في دعوته فزنا
إلى أن كبر العصر وهللنا فكبرنا
ونشر السمك المقـلـو بالقرب فسبحنا
وقلنا هذه الرحمة جاءت فأظللنا
وظلنا إذ رأينا الخبز ندنو قبل نُستدنى
إلى مائدة حُفَّت بها أرغفة متنى
عليها البقل لا نلحقه بالخل أو يفنى
ومنسوب إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنّا
طوى أقرانه الدهر فلم تبق له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعته لعنا

(١) نظري : من الإطراء ، وهو المدح ، والجردق : نوع من الخبز .

حللنا عقد الشّوا ء عن جسم له مضمي
ومزقنا له درعاً يوارى أعظماً حجناً^(١)
نردُّ اليد بالخيلة عن أقربها مجنى
فما تمّ لنا الإفطار ر بالقوت ولا صمنا
وطاف الشيخ بالبدن إلى أن نزع الدنا
فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى
مدام تجلب الهم ولا تطرده عنا
فلا النفس بها سرّت ولا القلب لها حنا
كأن شرابه مطبوخ على راحته اليمنى
وفاح البخر القاتل منه فتبخّرنا
وقال اغتتموا وصل فتاق برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللدنا^(٢)
وتصطاد قلوب الشرّ ب أجفان لها وسنى
فكدنا وأبى الله لنا والشيم الحسنى^(٣)
وقمنا نعطف الأزرق على العفة إذ قمنا
وقلنا يا لحاك الله نرني بعد ما شينا!
فأبدى الأنس للقوم وأخفى الحقد والضغنا
هو الشنّ وما وافق منا طبق شنا^(٤)

(١) الحجن : المعوجة ، واحدها حجناء .

(٢) اللدن : الطري الناعم .

(٣) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نفعل ، وله نظائر في العربية منها قول العرب :
من تأثى نال أو كاد .

والشيم : الصفات والمزايا .

(٤) الشنّ : الوعاء البالي .

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحيّ عرضُ مستباحٍ
وقفاً فيه لأيدي الشربِ جدُّ ومزاح
هو للصفع قريحٌ وهو للرحب قراح
وقريضٌ مثلاً تنطق باللغو الفقاح^(١)
لست أدري أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري

وما أراني أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قوله [من البسيط] :
قسمت قلبي بين الهم والكمد ومقلتي بين فيض الدمع والسهد
ورحت في الحسن أشكالاً مقسمةً بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتني مطراً ينهل ساكنه من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروى ماؤها ظمئي بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما أبقى الغرام على صبري ولا جلدي^(٢)

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلاني الحب منك بما بلاني فشانني أن تفيض غروب شاني^(٣)
أبيت الليل مرتفقاً أناجي بصدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنت الخيام به فأهلاً بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تم وبين عمادها أغصان بان

(١) الفقاح : جمع فقة وهي فتحة المؤخرة .

(٢) الشئون : مجاري الدمع .

(٣) الغروب : الدلو ، وهو يريد هنا محبس الدمع في العين .

ومُذهبة الخدود بجلنار مفضضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من رِيَاك ربا وحيانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمّن نهاني دموعُ فيك تلحي من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحبّ أحلى في جناني
فيا ولع العواذل خلّ عني ويا كفّ الغرام خذي عناني^(١)

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى تجول في جنح ليلٍ مظلمٍ داجي^(٢)
مقدودةً خرطت أيدي الشباب لها حقّين دون مجال العقد من عاج^(٣)
عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدّها بحمرٍ لطاف نال منها عذاب بيض عذاب
فتشكى العنّاب نور الأقاحي واشتكى الورد ناضر العنّاب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخطو البانة الـ مَيّاس في أثوابها
ويهزّها سكران سكر شرابها وشبابها
تسعى بصهباوين من الحاظها وشرابها
فكأنّ كأس مدامها لما ارتدت بحبابها^(٤)
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

(١) العنان : الزمام .

(٢) السجوف : الستائر .

(٣) الحقّ : وعاء الطيب .

(٤) الحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

وقال [من الكامل] :

لبستُ مصندلة الثياب فمن رأى صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكتُ من الطبي الغرير ثلاثةً جيداً وطرفاً فاتراً وإهاباً^(١)

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها وإن سمرت كان الحياء نقابها
حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى مشارب يهوى كل ظام شرابها
ألاحظها لحظ الطريد محله وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى وهناً فوشح روضه بسلاسل
أذكرتنا النشوات في ظل الصبا والعيش في سنة الزمان الغافل^(٢)
أيام أستر صبوتي من كاشح عمداً وأسرق لذتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تنشئ البرق يذكرني الثنايا على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلا سكرةً رحلت لذاذتها وحلّ خمارها
ومن أخرى [من الطويل] :
وكم ليلة شمّرت للراح رائحاً وبت لغزلان الصريم مغازلاً^(٣)

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) السنة : النعاس والغفوة .

(٣) الصريم : القطعة من الرمل .

وحلّيتُ كأسِي والسماء بحليها فما عطّلت حتى بدا الأفق عاطلا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أحلّ صبوتنا دعاء مشوق	يرتاح منك إلى الهوى الموموق
هل أطرقنّ العمر بين عصابة	سلكوا إلى اللذات كلّ طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمّاً	برداء غيم كالرداء رقيق
وقلا لي الدير التي لولا النوى	لم أرّمها بقلّى ولا بعقوق ^(١)
محمة الجدران ينفح طيها	فكأنها مبنية بخلق
ومحل خاشعة القلوب تغردوا	بالذكر بين فروقه وفروقي
أغشاه بين منافق متجمل	ومناضل عن كفره زنديق
وأغنّ تحسب جیده إبريقه	ما دام يسفح عبرة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً	يحسبن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفكار وهي كأنها	رقراق صادرة عن الراووق ^(٢)
دهرُ ترفّق بي فواقاً صرفه	وسطاً عليّ فكان غير رفيق ^(٣)
فمتى أزور قباب مشرقة الذرى	فأورد بين النسر والعيوق
وأرى الصوامع في غوارب أكمها	مثل الهوادج في غوارب نوق ^(٤)

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته .

حراً تلوح خلالها بيض كما فصلّت بالكافور سمط عقيق^(٥)

(١) فلا : أبغض . والقلّ : الكره .

(٢) الراووق : المصفاة ، والكأس .

(٣) الفواق : يقال فوق السهم أي أراشه أي أن أحداثه كالسهم .

(٤) أكمها : جمع أكمة نهي التلّة العالية .

(٥) السمط : العقد .

كلفٌ تذكّر قبل ناهية النهى ظلّين ظلّ هوى وظلّ حديق^(١)
ففرقت عبراته في خده إذ لا شير له من التفريق

* * *

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة في الوزير المهلبى [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلٍ بشموله وظلاله ممزوجةٌ بشماله^(٢)
حتى حسبت الورد من أشجاره يجني أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكنني عن البلد البعيد بغيره وأردُّ عنه عنان قلبٍ مائلٍ
وأود لو فعل الحيا بسهولة وحزونه فعل الأمير بآملٍ

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مروقا
والفجر مصقول الرداء كأنّه جلباب خوِّدٍ أشربته خلوقا^(٣)
أغمامةٌ بالشام شمنَ بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا^(٤)

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جنبّتها الجنوب حسبّت العشار تؤمّ العشارا^(٥)
ترى البرق يسم سراً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا

(١) كلف : عاشق .

(٢) الشمائل : الصفات الكريمة والشمول : الخمر .

(٣) الخود : الفتاة الناعمة ، وأشربته خلوقا : أي دمجته بالطيب .

(٤) شمن : ترقبن .

(٥) العشار : النوق .

إذا ما تنمّر وسميها تعصّفرَ بارقُها فاستطاراً^(١)
يعارضها في الهواء النسيم فيثّر في الأرض درّاً صغاراً
فطوراً يشقّ جيوب الحيا وطوراً يسحّ الدموع الغزاراً
كأن الأمير أعار الرّبا شمائله فاشتملن المعارا

* * *

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحباً الحسود وليس من أحبابه
فالغيث ينجل أن يلمّ بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للمبتغي إدراك سؤده خفضْ عليك أليس النجم مطلوباً
إن تطلب السّلم تسلّم من صوارمه أو تؤثر الحرب ترجعْ عنه محروباً^(٢)
كم من جبينٍ أزار السيف صفحته لعاد طرساً بحدّ السيف مكتوباً
وكم له في الوغى من طعنةٍ نظمتْ عداه أو نثرت رمحاً أنابياً

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل ير دي إن طما والدهر يصمي إن رمى
شتى الخلال يروح إمّا سالباً نعم العدى قسراً وإمّا منعماً
مثل الشهاب أصاب فجاً معشياً بحريقه وأضاء فجاً مظلماً
أو كالغمام الجوّ إن بعث الحيا أحيا وإن بعث الصواعق ضرماً^(٣)

(١) تعصفر: لمع ، والعصفر: صبغ أصفر يستخرج من النبات .

(٢) المحروب : المحزون .

(٣) ضرماً : ألهب وأشعل .

عبس الردى في حده فتجهما
حتى ترى عقداً عليه منظماً
أحلى من اللبس الممنع واللى^(١)

أو كالحسام إذا تبسم منه
كلف بدرّ الحمد يبرم سلكه
ويلمّ من شعث العلا بشمائل
ومن أخرى [من الكامل] :

وتوعّر الأيام من أوعاره
أو فاح فهو الروض في نواره

خلق سهول المكرمات سهوله
إن لاح فهو الصبح في أنواره
ومن أخرى [من الوافر] :

وفاز بمجدك الشرف التليد
ويوم السلم يطربك الشيد^(٢)

لقد شرفت بسؤددك القوافي
فيوم الحرب تطربك المذاكي
ومن أخرى [من المتقارب] :

فأعطى الفتوة حق الفتاء
وجبه يرقسرق ماء الحياء

ومقتبل السنّ سنّ الندى
بكفّ ترقسرق ماء الحياة
ومن أخرى [من الكامل] :

بعد الذبول وعاد نور ذباله^(٣)
أعلاله وفتحت من أقاله

أما السماح فقد تبسم نوره
أطلقت من أغلاله وشفيت من
ومن أخرى [من الكامل] :

كالصبح فيه ترفّع وضياء

نسب أضاء عموده في رفعة

(١) يلمّ : يجمع ، والشعث : التفرّق واللبس واللى : السمرة في الشفاء .

(٢) المذاكي : جياذ الخيل .

(٣) الذيال : الفتيل في السراج .

وشمائيل شهد العداة بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقة الألفاظ منطقه درّ العقود غدت محلولة العقد
جعلته جنةً من كلّ نائبة ورحت من جوده في جنة الخلد^(١)

* * *

المدح بالبأس ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطر الإحسان ممطور والبيض ظلُّ عليك الدهر منتشرٌ
والشرك قد هتكت أستار بيضته كم وقعة لك شبت في الضلال بها
ونهضة خرّ فسطاط الكفور لها والنقع جيب عليك الدهر مزرور^(٢)
بحدّ سيفك والإسلام منشور نارُ فأشرق منها في الهدى نور
خوفاً وأذعن بالفسطاط كافور^(٣)

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيفٌ تمنى السيف شيمته ودولة حسدتها فخرها الدولُ
وعاشقٌ خيلاء الخيل مبتذلٌ نفساً تصان المعالي حين تبتذلُ
أشمّ تبدي الحصون الشمّ طاعته خوفاً ويسلم من فيها ويرتحل
تشوقه ورماح الخط مشرعة نجل الجراح بها لا الأعين النجل^(٤)

(١) الجنة : الدرع والستر .

(٢) النقع : الغبار ، ومزرور : مقفل .

(٣) الفسطاط : القبة تضرب للسلطان .

(٤) الخط : بلدٌ مشهورة بالرماح . والنجل : الواسعة .

كأنه وهجير الروع يلفحه
فالصافنات حشاياه وإن قلقت
لما تمزقت الأغماد عن شغل
أكرم بسيفك فيها صائلاً غزلاً
ومن أخرى [من الكامل] :

ولرب يوم لا تزال جياهه
معقودة غرر الجياد بنقهه
يلقاك من وضح الحديد موضعاً
أقدمت تفترس الفوارس جرأة
والندب من لقي الأسنة سافراً
ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلب عامه في السلم يوم
يُهَجَّرُ والرماح عليه ظل
ولكن يومه في الحرب عام
ويسفر والعجاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيش إذا لاقى العدو صدوره
حجبت له شمس النهار وأشرقت
لم يلق للأعجاز منه لحوقا
شمس الحديد بجانيه شروقا

(١) الأسل : الرماح .

(٢) الصافنات : كرام الخيل ، والسابغات : الدروع .

(٣) يفري : يقطع ، والشثون : مجاري الدمع وغربة المقل : أي دمعها الذي لا ينقطع .

(٤) الوشيح : شجر نضج من أغصانه الرماح .

(٥) غرر الجياد : البياض الذي في وجوههن .

(٦) الرهج : الغبار . والسنايك : الأطراف . والأدهم : الأسود .

ومن أخرى [من الكامل] :

كم معركٍ عرك القنا أبطاله فسقاهمُ في النَّقع سماً ناقعا
هبتُ رياحك في ذراه سماءما وغدت سماؤك تستهلُ فجائعا
فتركتَ من حرّ الحديد مصائفاً فيه ومن فيض الدماء مرابعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحى أدهم بالنقع فإن ضحكت فيه الظبا كان أغرّ
موقفٌ لو لم يكن ناراً إذن لم تكن رزقٌ عواليه شرر
ينظم الطمن كلّى أعدائه وعقود الهام فيه تنثر

* * *

العتاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلى كم أجبرُ فيك المديح ويلقى سواي لديك الحبور
لهمتُ عرائسه أن تصدّ وهمت كواكبه أن تغورا
أسلمني بعد أن رحت لي على ثوب الدهر جاراً مجيرا
وأسفر حظّي لما رأ ك بيني وبين الليالي سفيرا
سأهدي إليك نسيم العتاب وأضمر من حرّ عتبٍ سعيرا

وقال في معناه [من الوافر] :

أبا الهيجاء أصبحت القوافي تخبُّ إليك حجاً واعتمارا^(١)
عتاباً كالنسيم جرى لعتبٍ يضرّم في الحشى مني استعارا

(١) أبا الهيجاء : يعني سيف الدولة الحمداني .

وقال يعاتب صديقاً أفضى له سرّاً [من الطويل] :

رأيتك تبري للصديق نوافذاً
وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً
سأحفظ ما بيني وبينك صائناً
وألقاك بالبشر الجميل مدهناً
أنمّ بما استودعته من زجاجةٍ
عدوك من أمثالها الدهر آمنٌ
ويا ربّ مزحٍ راح وهو ضغائن
عهدك إن الحرّ للعهد صائن
فلي منك خيلٌ ما عرفت مدهن
ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن^(١)

وقال في مثل ذلك [من الوافر] :

تَنَتْنِي عَنْكَ فاستشعرت هجراً
وأنك كلما استودعت سرّاً

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لا يخفى له أثرٌ
سرّي لديك كأسرار الزجاجة لا
فاحذر من الشعر كسرّاً لا انجبار له
وأنت كالصِّل لا تبقي ولا تذرُ
يخفى على العين منها الصفو والكدر
فللزجاجة كسرٌ ليس ينجبر

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيتها
أستودع الله خيلاً منك أوسعهُ
كأن سرّي في أحشائه لهبٌ
قد كان صدرك للأسرار جندلةٌ
فصار من بعد ما استودعت جوهرةً
وأرتجي الحال قد حلت أوأخيها
ودأً ويوسعني غشّاً وتمويهاً
فما تطيق له طيّاً حواشيها
ضنيّةً بالذي تخفي نواحيها
رقيقةً تستشفّ العين ما فيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفنّ من العتاب وقرصه
فالمسك يُسحق كي يزيد فضائلا

(١) أنمّ : أدلّ .

ما أحرق العود الذي أشمته خطأ ولا غمّ البنفسج باطلاً^(١)

* * *

هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الجوَّ يجلي في مُمَسَكَةٍ
إذا ألحَّ حسامُ البرق مؤتلقاً
والريح وسنى خلال الروض وانيةً
والأرض تختال في أبرادها القشبِ
في الومض جدّ خطيب الرعد في الخطب^(٢)
فما يراع لها مستيقظ الترب^(٣)

وقال من أخرى [من الرمل] :

شاقني مستشرف الدير وقد
أهواءُ رِقْ في أرجائه
أم خدودٌ سفرت عن وردها
مجلسٌ ينصرف الشرب وما
وكأنَّ الشمس فيه نثرت
بين غُدُرٍ تقع الطير بها
ونسيمٍ وكره الروض فإن
راح صوب المزن فيه وبكرُ
أم هوى راق فما فيه كدر
أم ربيع عن جنى الورد سفر^(٤)
طُوِيَتْ من بُسْطه تلك الحُبُرُ
ورقاً ما بين أوراق الشجر
فتراهن رياضاً في غُدُرٍ
طار في الصبح ارتديناه عطر

(١) غمّ : أخفي ، أو من الغمّ : الحزن .

(٢) الومض : البريق .

(٣) وسنى : ناعسة ذابلة .

(٤) سفرت : كشفت وأبدت .

(٥) الحبر : جمع حبرة ، وهو الثوب الموشى .

وثرى يشهد بالطيب له عبق خالف أطراف الأزر
وغيوم نشرت أعلامها فلها ظل علينا منتشر

ومن أخرى [من الكامل] :

وحداثق يسبيك وشي برودها حتى تشبهها سبائب عبقري^(١)
يجري النسيم خلالها وكأنما غمست فضول ردائه في العنبر
باتت قلوب المحل تخفق بينها بخفوق رايات السحاب الممطر
من كل نائي الحجرتين مؤلّع بالبرق داني الظلتين مشهر
تحدي بالسنة الرعود عشاره فيسير بين مغرر ومزجر^(٢)
طارت عقيقة برقه فكأنما صدعت ممسك غيمه بمعصفر^(٣)

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحك الروض محلّى المنزل سبط هبوب الريح جعد المنهل
موشح بالنور أو مكلل مفروجة حلتته عن جدول
أقبل قد غصّ بمدّ مقبل والطير ينقض عليه من عل

* تساقط الوشي على المصنذل *^(٤)

وقال في الورد [من السريع] :

لو رحبت كأسٌ بذى زورق لرحبت بالورد إذ زارها
جاء فخلناه خدوداً بدت مضرمةً من خجل نارها
وعطر الدنيا فطابه به لا عدمت دنياه عطّارها

(١) السبائب : الطرق . عبقر : موضع زعم العرب أنه موطن للجن .

(٢) تحدي : تسوق .

(٣) العقيقة : واحدة العقيق ، وهو الخرز الأحمر .

(٤) المصنذل : من الصندل وهو شجر هندي أبيض الزهر طيب الرائحة .

وقال في وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عنَّ لهوٌ أو سنحُ	فاغدُ إلى الراح ورحُ
رضيت أن أحظى بعزِّ	الكأس والحظ منح
وصاحبٍ يقدح لي	نار السرور بالقدح
في روضةٍ قد لبست	من لؤلؤِ الطلِّ سبح ^(١)
يألفني حمامها	مغتبقاً ومصطح ^(٢)
أوقظه بالعزف أو	يوقظني إذا صدح
والجوِّ في ممسِّكٍ	طرازه قوس قزح
يبكي بلا حزنٍ كما	يضحك من غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هفا طرباً في أوان الطرب	فأنخب أقداحه كالنخبُ
وغنَّى ارتياحاً إلى عارضٍ	يغني وعبرته تنسكب ^(٣)
غيومٌ تمسِّك أفق السماء	وبرقٌ يكتِّبُهُ بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى	فريد ندى ما له من ثقب
فأنوارها مثل نظم الحلَى	وأنهارها مثل بيضِ القضب ^(٤)
حللت بها مع ندامى سلوا	عن الجِدِّ واشتهروا باللعب
وأغنتهم عن بديع السماع	بدائع ما ضمَّته الكتب
وأحسن شيء ربيع الحيا	أضيف إليه ربيع الأدب

(١) السبح : العقد .

(٢) الاغتياق : الشرب مساء والصبح : الشرب صباحاً .

(٣) العبرة : الدمعة . وتنسكب : تدرف .

(٤) القضب : السيوف .

وقال في وصف البرد [من الكامل] :

يومٌ خلعتُ به عذاري	فعریتُ من حللِ الوقارِ
وضحكتُ فيه إلى الصبا	والشيب يضحك في عذاري
متلوّنٌ بيدي لنا	طرفاً بأطرافِ النهارِ
فهواؤه سكب الردا	ء وغيمه جافى الإزارِ
بيكي فيجمد دمه	والبرق يكحله بنارِ

* * *

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب [من الطويل] :

أعاذل إنَّ النَّائِبَاتِ بِمرصدي	وإنَّ سرور المرء غير مخلدٍ
إذا ما مضى يوم من العيش صالح	فصِلُهُ بيومٍ صالح العيش من غدٍ
وحالية من حسننها وجمالها	وإنَّ برزت عطل الشوى والمقلد ^(١)
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما	فواقعها أحداق درعٍ مزرد ^(٢)
كأنَّ أعاليها بياض سوافرٍ	يلوح على توريد جيبٍ مورّدٍ

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها	على وجه صفراء الغلائل غضةٌ
تبدّتْ وفضل الكأس يلمع فوقها	كأترجةٍ زينتْ بإكليل فضة ^(٣)

(١) العطل : عدم التزيّن بالحلي والشوى من الإنسان : أطرافه والمقلد : موضع القلادة .

(٢) الفواقع : حباب الخمر .

(٣) الأترجة : من الأترج ، وهو شجر وثمر من جنس الليمون تسمّيه العامة « الكباد » .

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانا إلى اللهوداعي السرور
وطافت علينا بشمس الدنا
كأن الكؤوس وقد كَلَّتْ
جيوبٌ من الوشي مزرورة
فبتنا نبوح بما في الصدور
ن في غسق الليل شمس الخدور
بفضلاتهن أكاليل نور
يلوح عليها بياض النحور^(١)

وقال [من المنسرح] :

وفتية دارت السَّود لهم
بتنا وضوء الكؤوس يهتِك بالـ
ترى الثريا والبدر في قرنٍ
فدار للراح بينهم فلكُ
إشراق ستر الدجى فينتهك
كما يحيا بنرجسٍ ملك^(٢)

وقال وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعى إليَّ بكأسه
وقد حجب الغيم السماء كأنما
ظللنا نبث الوجد والكأس دائرُ
ومجلسنا في الماء يهوي ويرتقي
وقد كاد ضوء الصباح بالليل يفتكُ
يزرَّ عليها منه ثوب ممسكُ
ونتهك أستار الهوى فتهتك^(٣)
واپريقنا في الكأس يبكي ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وساق يقابل إبريقه
يطوف علينا بشمسيةٍ
كما قابل الطيبي ظيأً ربيا
نروع بها الشمس حتى تغيا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

وملآن من عبرات الكروم
كأنَّ على فمه عصفرا

(١) الوشي ؛ التفويف والتطريز ، ومزرورة : مغلقة .

(٢) القرن : القيد والعقد .

(٣) البث : النجوى .

إذا قربته أكفُ السَّقا
تروّحه عذبات الفدام
وريم إذا رام حث الكؤو
وجرد من طرفه خنجراً
ترى ورد وجنته أحمرأ
من الكأس قهقهَ واستعبرا
برياً النسيم إذا ما جرى^(١)
س قطب للتيه واستكبرا
ومن نون طرّته خنجراً^(٢)
وريحان شاربهُ أخضرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشربُ فقد شرّدَ ضو
وانبسط النور على
كأنّما أطلع ما
وصوبَ الإبريق في الـ
كأنّه إذ مجّها
ءُ الصبح عنا الظلما
وجه الثرى فابتسما
ء المزن فيه أنجما
كأس مداماً عندما^(٣)
مقهقهَ يبكي دما

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستك الشبيبة ريعانها
فدم للنديم على عهده
فقد خلع الأفق ثوب الدجى
وساقٍ يواجهني وجهه
يتوّج بالكأس كفّ النديم
فطوراً يوشح ياقوتها
رميت بأفراسها حلبة
وأهدت لك الراح ريحانها
وغاد المدام وندمانها
كما نضت البيض أجفانها
فتجعلهُ العين بستانها
إذا نظم الماء تيجانها
وطوراً يرصّع عقيانها^(٤)
من اللهو ترهج ميدانها

(١) الفدام : المصفاة توضع على الإبريق .

(٢) الطرة : خصلة الشعر في أعلى الجبين .

(٣) العندم : نبات يصنع به .

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

فكدت أقبل صلبانها
بروح تحيف جثمانها^(١)
وسرج ذراها وألوانها
لهيباً يزین أفنانها
وقد أكلت فيه أبدانها
لهوت فغازلت غزلانها^(٢)
إليّ فأنكرت إحسانها

وديرا شغفت بغزلانه
فلما دجى الليل فرجته
بشمع أعير قدود الرماح
غصون من التبرقد أزهرت
فيا حسن أرواحها في الدجى
سكرت بقطربل ليلة
وأي ليالي الهوى أحسنت

وقال [من البسيط] :

واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
في الشرق ينشر أعلاماً من الذهب
كأنما البرق فيها قلب ذي رعب
وقابلتك سعود العيش عن كذب
بقهوة الفلج المعشوق والشنب^(٣)
ودعت طيب الشباب الغض لم يطب
وكيف أقصر والأيام في طلبي
فالكأس تاج يد المثري من الأدب

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب
أما ترى الصبح قد قامت عساكره
والجو يختال في حجب ممسكة
وجانبك صروف الدهر فأنصرفت
فاخلع عذارك واشرب قهوة مزجت
فالعيش في ظل أيام الصبا فإذا
جريت في حلبة الأهواء مجتهداً
توج بكأسك قبل الحادثات يدي

وقال [من البسيط] :

والدهر منصرف والعيش منقرض
وفي المدامة من شمس الضحى عوض

خذوا من العيش فالأيام فانية
في حامل الكأس من بدر الدجى خلف

(١) تحيف : تظلم ، والجثمان : الجسد .

(٢) قطربل : إسم بلد .

(٣) الفلج : الذي تباعد ما بين أسنانه يقصد « الرضاب من الفم » . والشنب : البارد .

مبسوطةً بالعطايا ليس تنقبض
وللدجى عارضٌ في الجوّ معترض
كأنهنّ عيونٌ حشوها مرض

كأنّ نجم الثريا كفّ ذي كرمٍ
دارت علينا كؤوس الراح مترعةً
حتى رأيت نجوم الليل غائرة

وقال يصف ظل كرم [من الطويل] :

ولا تخش إثمًا لست فيها بآثمٍ
يروح الفتى منها خضيب المعاصم^(١)
يغنيك في قطريه ورق الحمام
على الأرض إلا مثل نثر الدراهم

أدراها ففقد اللوم إحدى الغنائم
ولا عيش إلا في اعتصامٍ بقهوةٍ
ولا ظلٌّ إلا ظلّ كرمٍ معرّشٍ
سما غصونٍ تحجب الشمس أن ترى

وقال [من البسيط] :

ويستفيد من الهجران مهجورٌ
وما به عن تمام الحسن تقصير
فالصحو فيروزج والغيم سمور^(٢)

اليوم يعذب وردٌ فيه تكدير
حثّ الكؤوس فذا يوم به قصرٌ
صحو وغيمٌ يروق العين حسنها

وقال [من الطويل] :

فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد^(٣)
توهّمته يسعى بكمّ مورد

وبكرٍ شربناها على الورد بكرةً
إذا قام مبيضّ اللباس يديرها

* * *

(١) القهوة : الخمر .

(٢) السمور : حيوان يضع جلده فراءً .

(٣) الضحوة : ارتفاع الشمس أو النهار .

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسن إن وجه الربيع جميلٌ يزان بحسن العقار^(١)
فإن الربيع نهار السرو ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردت وإن لم ترد غربت في استتار
فأجر إليّ بحار العقار فمن فيض كفيك فيض البحار
وقد عبأ الهمة لي جيشه وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصدته إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ألوذ به ومعتصمي^(٢)
ويا سيفي أصول به ويا حليّ ويا حرمي
أرقت دمي وأعوزني سليل الكرم والكرم
وبين يديّ مخجلة سواد القار والظلم^(٣)
تري اللهوات تحجبها إذا وقعت حيال فمي
ولست أسيغها إلا كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني [من الطويل] :

تجنّبي حسن المدام وطيبها فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها
وعندي ظروف لو تظرف دهرها لما بات مُعْرِىً بالكآبة كوبها
وشعث دنان خاويات كأنها صدور رجال فارقتها قلوبها

(١) العقار : الخمرة .

(٢) ألوذ : أحتمي .

(٣) القار : القطران .

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما
وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعت نفسي أمانيتها
تصرم الصوم عنا بعد ما ظمئت
فجدد بعذراء مثل الشمس تعذرها
واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت
وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقتك متاحاً وليس لطارق
جنوب تحت المزن حثاً وشملاً
وضوء حريق ألبس الأرض ثوبه
تثير الصبا في الجو منه عجاجة
وما انفل حد القر إلا بقهوة
إذا لبست أثوابها فعقيقة
تدور علينا كأسها في غلائل
فألبس منها جبة حين أنتشي
وإني خليق من نذاك بمثلها
يرومك من وقع الضريب طريق^(٣)
تعبس منه الوجه وهو طليق^(٤)
يخاف على الإقدام منه حريق
كما انتشر الكافور وهو سحق
ترقرق في كاساتها فتروق
وإن نشرت أنفاسها فخلق^(٥)
رقاق ترد العيش وهو رقيق
وأخلعها بالكره حين أفيق
وأنت بما أملت منك خليق

* * *

(١) تصرم : مضى وانقضى .

(٢) الصدف : التكبر والعجب .

(٣) המתاح : الطالب ، والضريب : الجليد .

(٤) الجنوب : الريح الجنوبية ، وتحت : تسوق وتسرع .

(٥) الخلق : الطيب أو نوع منه .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلتها

قال يدعو صديقاً له ، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الرض الأسفل والنهر ، ويصف ما عنده من قدر وكانون ونار وشراب [من المتقارب] :

لنا غرفةً حسنت منظرًا	وطابت لساكنها مخبرا
ترى العين من تحتها روضةً	ومن فوقها عارضاً ممطرا
وينساب قُدَّامها جدولٌ	كما دُعر الأيِّمُ أو نُفْرًا ^(١)
وراح كأن نسيم الصِّبا	يحمل من نشرها العنبرا
وعنديّ علقٌ قليل المكاس	وندمان صدق قليل المرا ^(٢)
ودهماء تهدر هدر الفنيق	إذا ما امتطت لهباً مسعرا ^(٣)
تجيش بأوصال وحشيّة	رعت زهرات الربا أشهراً
كأن على النار زنجيةً	تفرجُ ثوبا لها أصفرا
وذو أربع لا يطيق النهوض	ولا يألّف السَّير فيمن سرى
نحملُه سبجاً أسودا	فيجعله ذهباً أحمرأ
وقد بكر العبد من عندنا	يزفُّ لك الطرف والممطرا
فشمّر إلى روضةٍ ترتضي	فإن أخا الجِدِّ من شمرا

وقوله [من المنسرح] :

لم ألق ريحانةً ولا راحا	إلاّ تشني إليك مرتاحا
وعندنا ظبيةٌ مهفهفةٌ	ترأم ريماً يحنُّ صداحا ^(٤)

(١) الأيِّم : الحية الذكر ، ونُفْر : أي دعر فغادر مكانه هرباً .

(٢) المكاس : الماكسة ، والمراء : المجادلة وقد قصره مضطراً .

(٣) الفنيق : الفحل المكرم .

(٤) ترأم : تحنُّ وتعطف .

تفسد قلبي إن أصلحته ولا
وفتية إن تذاكروا ذكروا
وقد أضاءت نجوم مجلسنا
إن جمدت راحنا غدت ذهاباً
عصابةً إن شهدت مجلسهم
أغلق باب السرور دونهم
أرى لما أفسدته إصلاحاً
من الكلام المليح أرواحاً
حتى اكتسى غرةً وأوضاحاً
أو ذاب تفاحنا غداً راحاً
كنت شهاباً له ومصباحاً
فكن لباب السرور مفتاحاً

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقاً [من المنسرح] :

يوم رذاذ ممسك الحجب
ومجلس أسبلت ستائرهُ
وقد جرت خيل راحنا خيباً
والتهبت نارنا فمظرها
إذا ارتمت بالشرار واطردت
رأيت ياقوتة مشبكة
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت
يضحك فيه السرور عن كذب
على شمس البهاء والحسب
في جريها أو هممن بالخيب^(١)
يغنيك عن كل منظر عجب
على ذراها مطارد اللهب
تطير عنها قراضة الذهب^(٢)
فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفسى فداؤك كيف تصبر طائعاً
حنّت نفوسهم إليك فأعلنوا
وغدوا لراحهم وذكرك بينهم
فاذا جرت خيباً على أيديهم
عن فتية مثل البدور صباح
نفساً بغل مسالك الأرواح
أذكى وأطيب من نسيم الراح
جعلوه ريحاناً على الأقداح

(١) الخب : نوع من العدو .

(٢) القراضة : الثار .

وقال [من الطويل] :

لنا روضةً في الدار صيغ لزهراها
يطوف بنا منها إذا ما تبسّمتُ
ونَدمان صدقِ نثره ونظامه
وقد رقَّ ثوب الغيم حتّى كأنما
فزر مجلساً قد شرف الله أهله
ولا تعدُّ أفعال الظريف ، فإنّه
قلائد من حمل الندى وشنوف^(١)
نسيم كعقل الخالديّ ضعيف
ربيعٌ إذا قارضته وخريف
تنشر دون الأفق منه شفوف
وفضّلهم إنّ الأديب شريف
زمان رقيق الحلبتين ظريف^(٢)

وقال [من الوافر] :

هواءٌ كالهوى حسناً وظرفاً
وفتيانٌ كرامٌ باكروه
فإن بادرتهم جعلوك بدرأ
وخيشٌ ليس يترك أن يجفأ^(٣)
ونجمٌ صباحهم يبدو ويخفى
وإن خالفتهم جعلوك خلفاً

* * *

أوصاف شتى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلي بباطيةٍ وكاسٍ
وذاكرني بشعر أبي فراسٍ
وغيمٍ مرهفات البرق فيه
وقد سلّت جيوش الفطر فيه
ورعٌ همّي بايريق وطاسٍ^(٤)
على روضٍ كشعر أبي نواسٍ
عوارٍ ، والرياض به كواسي
على شهر الصيام سيوف باسٍ

(١) الشنوف : حليٌّ تعلّق في الآذان .

(٢) الحلبتين : الغداة والعشي .

(٣) الخيش : نسيج من أردأ الكتّان غليظ الخيوط .

(٤) الباطية : آنية الخمر .

ولاح لنا الهلال كشطر طوقٍ على لَبَات زرقاء اللباس^(١)
وقال [من المنسرح] :

جاءك شهر السرور شوال وغال شهرَ الصيام مغتالُ
أما رأيت الهلال يرمقه قومٌ لهم إن رأوه إهلال
كانه قيد فضة حرج فضّ عن الصائمين فاختالوا
قال في وصف الريحان [من الكامل] :

وبساط ريحان كماء زبرجدٍ عبثتُ بصفحته الجنوبُ فأرعدا
يشتاقه الشُّرب الكرام فكلّما مرض النسيم سعوا إليه عوداً^(٢)
وقال في وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيّد الطرفين يطرب عند تضيق القيود
ولقد يلطم خده في حال ترفيه الخدود
وكأنّما زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً مع رعود

وقال في وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلة من نقمات الدهر قطعها نزر الكرى والصبر
مكلّم الظهر جريح الصدر مقسّماً بين أعادٍ خزر^(٣)
كُمت إذا عاينتها وشقر كأنّها أثارها في الأرز^(٤)

(١) اللَّبَات : الصدور ، أو موضع القلادة منها .

(٢) عوداً : زائرين .

(٣) مكلّم الظهر : جريحه . والخزر : الضيق في العين .

(٤) الكُمت : الخيل التي لونها يميل إلى الأحمر أو الأسود .

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثة في كلّ شرقٍ ومغربٍ
يحركُ أنفاسَ الرياحِ حراكها

وصف منثور [من الكامل] :

ومجرّد كالسيف أسلم نفسه
ثوبٌ تمزّقه الأنامل رقةً
فكانه لما استوى في خصره

وصف الديك [من الكامل] :

كشف الصباح قناعه فتألّقا
وعلا فلاح على الجدار موشحا
مرخٌ فضول التاج في لبّاته

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بها مجنونةً في اغتدائها
لهن شياتٌ كالزوامج أصبحت
وأيدٍ إذا سلّت صوالج فضةً

وفي مثله [من الطويل] :

إذا ما دعونا لاحقاً ومعانقا
وقيدٌ لدينا واثبٌ ومخالسٌ

(١) مرخ : مدّهنٌ بالطيب ، والمرخ : النبات الذي طالت عيدانه وطاب ورقه .

(٢) الحين : الهلاك والموت .

(٣) الشيات : جمع شية وهو اللون ، والزوامج : ربما كانت جمع زَمَج ، وهو طائرٌ دون العقاب يصاد به ، في قمته حمرة غالبة .

(٤) الصوالج : الفضّة الصافية .

فذلك يومٌ جانب السعد سربه
 كأن جلود الوحش بين كلابها
 مصندلة القمصان شقَّتْ جيوبها
 وقوبل بالنحس الظباء الكوانس^(١)
 وقد دميت أجيادها والمعاطس^(٢)
 ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال في وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تتسب لحام
 كأنما تحتها ثلاق
 يلعب في جسمها لهيب
 لها كلامٌ إذا تناهت
 وهي وإن لم تذق طعاماً
 لم يخل من رفدها نديمي
 ولى إذا الضيف عاد أخرى
 عظيمة إن غلت أذابت
 كأنما الجن ركبتها
 لها دخان تضل فيه
 كأنما النار ألبستها
 ولم يزل مالنا مباحاً
 نأخذ للقوت منه سهماً
 ولم ترم ساحة الكرام^(٣)
 مقتربات من الحمام
 لعب سنا البرق في الظلام
 غير فصيح من الكلام
 مملوءة الجسم من طعام
 يوم خمارٍ ولا مدام
 مصرعٌ حولها سوامي^(٤)
 بغليها لابس العظام
 على ثلاثٍ من الأكام
 عجاجة الجحفل اللّهام^(٥)
 معصفراتٍ من الضّرام
 من غير ذلٍّ ولا اهتضام^(٦)
 وللندی سائر السهام

(١) الكوانس : الداخلات في أكستهن .

(٢) المعاطس : الأنوف .

(٣) حام : أبو السود .

(٤) السوام : الماشية .

(٥) اللّهام : الكثير العدد .

(٦) اهتضام : انتقاص .

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أُنعته معصفر البردين	أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على الخلفين	ثم رعى بعدهما شهرين ^(١)
فجسمه شبران في شبرين	يا حسنه وهو صريع الحين ^(٢)
بين ذراعين مفصلين	كسارق حُدَّ من اليدين
وطرف يستوقف الطرفين	كمثل مرآة من اللجين
مُذهبة المقبض والوجهين	تعرفه مرهفة الحدين
بهكف طاه عطر الكفين	شق حشاه عن شقيقتين
أختين في القدَّ شبيهتين	كما قرنت بين كمأتين

* أو كَرَّتِي مسك لطيفتين *

وقال يصف جام فالودج ويعبث بأبي بكر الخالدي ، ويشير إلى أنه يميل إلى

البرطيل^(٣) [من الطويل] :

إذا شئت أن تجتاح حقاً بباطل	وتغرق خصماً كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكاً	إلى ظلمات الظلم كل طريق
ولأطفه بالشهد المخلوق وجهه	وإن كان بالألطف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه	رداء عروس مُشرب بخلوق
له في الحشا برد الوصال وطيبه	وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز في جنباته	كواكب لاحت في سماء عقيق

(١) الخلفين : يقال شاة ذات خلفين : أي ولدت ستة ذكراً وستة أنثى .

(٢) الحين : الموت .

(٣) البرطيل : الرشوة .

وصف الفقاع [من المنسرح] :

لست بنافر خمار مخمور
يطير عن رأسه الفقاع إذا
رام بسهم كأنه خصر
يميل أعلاه وهو منتصب

إلا بصافي الشراب مقرر^(١)
نفست عنه خناق مزور^(٢)
وطيب نشر نسيم كافور
كأنه صولجان بلور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

برز إبراهيم في علمه
أوضح نهج الطب في معشر
كأنه من لطف أفكاره
إن غضبت روح على جسمها

فراح يدعى وارث العلم
ما زال فيهم دارس الرسم
يجول بين الدّم واللحم
أصلح بين الروح والجسم

وفي مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قرة شافي
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذي
فكانه عيسى ابن مريم ناطقا
مثلت له قارورتي فرأى بها
يبدو له الداء الخفي كما بدا

بعد الآله وهل له من كافي
أودى وأوضح رسم طب عافي
يَهَبُ الحياة بأيسر الأوصاف
ما اكن بين جوانحي وشغافي^(٣)
للعين رضراض الغدير الصافي^(٤)

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلا لعبد الكريم
إذا لمع البرق في كفه

حوى فضله حادثاً عن قديم
أفاض على الرأس ماء النعيم

(١) المقرور : البارود .

(٢) الفقاع : حجاب الحمر ، ونفست : كشحت وكشطت .

(٣) اكن : استتر ، والشغاف : حجاب القلب .

(٤) الرضراض : الحصى الدفاق في مجاري الماء .

جهول الحسام ولكنه يروح ويغدو بكفي حليم
له راحة سيرها راحة تمر على الرأس مرّ النسيم
نعمنا بخدمته مذ نشا فنحن به في نعيم مقيم

* * *

١٠٧ - أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغبان بما يجلبان ، ويدعان فيما يصنعان ، وكان ما
يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما في الموافقة
والمساعدة ؛ يحييان بروح واحدة . ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ، ولا
يكادان في الحضر والسفر يفترقان . وكانا في التساوي والتشابك . والتشاكل
والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعي لبان شريكي عنان عتيقي رهان حليفي صفاء

بل كما قال البحتري [من الكامل] :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعمل موضع فرقدي عن فرقدي

بل كما قال أبو إسحاق الصايي فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعرين الخالدين سيرا	قصائد يفني الدهر وهي تُخلد
جواهر من أكار لفظ وعونه	يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا	ومر جدال بينهم يتردد
فظائفة قالت سعيد مقدم	وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهم	وما قلت إلا بالتي هي أرشد
هما في اجتماع الفضل زوج مؤلف	ومعناهما من حيث يثبت مفرد
كذا فرقدا الظلماء لمّا تشاكلا	علا أشكلا هل ذاك أم ذاك أمجد ^(١)

(١) تشاكلا : تشابها .

فزوجهما ما مثله في اتفاهه وفردهما بين الكواكب أوجد
فقاموا على صلح وقال جميعهم رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد^(١)

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم في
سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام
والعراق . وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالاة والمشاركة ،
وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم ، وكان أفاضل
الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما - وهي في شق الرجحان - تتعصب عليه
لهما . لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما ،
وقد بدأت بملح شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قبام مثل الغصن الميَّاد في غصَّ الشباب^(٢)
يمزج الخمر لنا بالصِّقْوَ من ماء الشراب
فكأنَّ الكأس لما ضحكت تحت الحجاب^(٣)
وجنة حمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السري [من الكامل] :

وكان كأس مدامها لما ارتدت بحبابها

(١) الفرقد : النجم .

(٢) الميَّاد : المتأيل والمتشَّي . وغصَّ الشباب : الفتوة والنشاط .

(٣) الحجاب : ما يعلو الخمرة أثناء صيها في الكأس من فقاغ .

توريد وجتها إذا ما لاح تحت نقابها
وقال أبو بكر [من الطويل] :

ألا فاسقني والليل قد غاب نوره لغية بدرٍ في الغمام غريقٍ
وقد فضح الظلماء برقُ كآته فؤاد مشوقٍ مولعٍ بخفوقٍ

وإنما سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى يا سرّ طيفُ كآته فؤادُ مشوقُ مولعُ بخفوقٍ
رجع :

مداماً كأن الكف من طيب نشرها وصفرتها قد خلقتُ بخلقٍ^(١)
نعائنها نوراً جلاه تجسد ونشرها ناراً بغير حريق
كأنّ حباب الكأس في جنباتها كواكب درّ في سماء عقيق
وقد مر مثله للسري في وصف الفالودج .

وقال أبو بكر [من المنسرح] :

مطرب الصبح هيج الطربا لما قضى الليل نحبه انتحبا
مغرّدٌ تابع الصباح فما ندري رضا كان ذاك أم غضبا
ما تنكر الطير أنه ملكٌ لها فبالتاج راح معتصبا^(٢)
طوى الظلام البنود منصرفاً حين رأى الفجر ينشر العذبا^(٣)
والليل من فتكة الصباح به كراهبٍ شقّ جيّه طرباً

(١) النشر : العبق الطيب ، والخلق : الطيب .

(٢) معتصباً : متوجّحاً رأسه به .

(٣) العذبا : أي خيوطه الأولى ، وعذبة الشيء طرفه .

وللسري في مثله [من المنسرح] :

كراهبٍ حنّ للهوى طرباً فشقّ جلبابه من الطرب

قال أبو بكر [من المنسرح] :

فباكر الخمرة التي تركت كأنما صبّ في الزجاجه من
وليس نار الهموم خامدةً يظلّ زقّ المدام ممتهاً
بنان كفّ المدبر مختضبا لطفه ومن رقة نسيم صبا
إلاّ بنور الكؤوس ملتها^(١) سحبا وذيل المجون منسحبا^(٢)

ومنها في وصف كانون نار :

ومقعد لا حراك ينهضه مصفرّ محرق تنفسه
إذا نظمنا في جیده سبحاً وهو على أربع قد انتصبا
تخاله العين عاشقاً وصبا^(٣) صيره بعد ساعة ذهباً^(٤)

ومثله للسري [من المتقارب] :

وذو أربع لا يطيق النهوض ونحمله سبجاً أسوداً
ولا يآلف السير فيمن سرى فيجعله ذهباً أحمرأ

رجع :

فما خبت نارنا ولا وقفت وساحر الطرف لا نقاب له
خيول لهو جرت بنا خيباً^(٥) إذ كان بالجلنار منتقبا

(١) خامدة : منطفئة .

(٢) زقّ المدام : شربها .

(٣) الوصيب : المرض .

(٤) السج : الخرز الأسود .

(٥) الخب : ضرب من العدو .

تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرة عجا
شقائناً مذهباً يرى خجلاً وأقحواناً مفضضاً شنباً^(١)

ومثله للسري [من الطويل] :

سَفَرَنَ فلاح الأقحوان مفضضاً على القرب منا والشقيق مذهباً
رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صحبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرأ كأن فيه الضَّريب والضربا^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم

[غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامَرَ بالنفس في هوى قمر ونال وصل البدور بالبدر
وافترض أبكار لهوه طرباً إلى عشايا المدام والبكر^(٣)
مسرةً كيلها بلا حشف ولذة صفوها بلا كدر^(٤)
قد ضربت خيمة الغمام لنا ورش خيش النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر

(١) الشنب : الأبيض ، وهو صفاء الأسنان وابتضاها .

(٢) الضريب : العسل الأبيض .

(٣) العشايا : جمع عشية ، والبكر : جمع بكرة .

(٤) الحشف : أردأ التمر ، أو الفاسد منه ، أو هي الانقباض .

مدامةً كان من تقادماها عاصرها آدمُ أبو البشرِ
وبنت خدرٍ تريك صورتها بدر الدجى في ردائها العطر
حنتُ على عودها وقد تركت مدامنا جمرةً بلا شرر
يسعى علينا بها الوصائف قلّدن مجوناً قلائد الزهر^(١)
يا تاركاً طيب يومه لغد تبيع عين السرور بالأثر!
إن وترت قلبك الهموم فما مثل انتصارٍ بالنأي والوتر^(٢)

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجى وطاب الهواء وتدلت للمغرب الجوزاءُ
والصباح المنير قد نشرت منه على الأرض ربطةً بيضاء^(٣)
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليها غلالة صفراء
قهوةً بابليةً كدم الشا دن بكرأ لكنها شمطاء^(٤)
قد كستها الدهور أردية الرقصة حتى جفا لديها الهواء
فهي في خدّ كأسها صفرة التبر وفي الخدّ وردة حمراء
عجبا ما رأيت من أعجب الأشياء تقدير من له الأشياء
سبح يستحيل منه عقيق وظلام ينسل منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الطويل] :

خليلي إني للثريا لحاسد وإني على ريب الزمان لواجد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة وأفقد من أحبته وهو واحد
وقوله من قصيدة في مراثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما [من المنسرح] :
إذا تفكرت في مصابهم أتعب زند الهموم قاده

(١) الوصائف : ساقيات الخمر ، والقلائد : العقود .

(٢) وترت : أثقلت ، والوتر : الظلم في العداوة والانتقام .

(٣) الربطة : الملاة .

(٤) الشمطاء : التي خالط بياض شعرها سواده .

بعضهم قَرِبت مصارعه
أظلم في كربلاء يومهم
لا برج الغيث كلَّ شارقة
على ثرى حلَّه ابن بنت رسو
ذلَّ حماء وقلَّ ناصره
عفرتُم بالثرى جبين فتى
يظل ما بينكم دم ابن رسو
سيان عند الأنام كلهم

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسيحي ومسباحي
أقمت فيه إلى أن صار هيكله
منادماً في قلاليه رهابنة
قد عدكوا ثقل أديان ومعرفة
ووشحوا غرر الآداب فلسفة
في طب بقراط لحن الموصلي وفي
ومنشد حين ييديه المزاج لنا
وكم حننت إلى حاناته وغدا
حتى تخمّر خمّاري بمعرفتي
يا دير مران لا تعدم ضحى ودجى

وبعضهم بعدت مطارحه
ثم تجلّى وهم ذبائحه
تهمي غواديه أو روائحه
ل الله مجروحة جوارحه
ونال أقصى مناه كاشحه^(١)
جبريل بعد النبي ماسحه !
ل الله وابن السفاح سافحه !^(٢)
خاذله منكم وذابحه

وخمره في الدجى صبحي ومسباحي^(٣)
بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
راحت خلائقهم أصفى من الراح^(٤)
فيهم بخفة أبدان وأرواح
وحكمة بعلوم ذات إيضاح
نحو المبرد أشعار الطرمّاح
المع برق سرى أم ضوء مصباح
شوقي يكائر أصواتاً بأقداح
وحيرت ملّحي في السكر ملاحي
سجال غيث ملث الودق سحّاح^(٥)

(١) الكاشح : المبغض .

(٢) ابن السفاح : ابن الزنى .

(٣) مسباحي : أي السبعة التي يحملها المرء للتسييح أو للتسلية .

(٤) قلاليه : جمع قلة وهي أعلى الرأس والجبل والراح الخمرة .

(٥) ملث الودق : خفيف المطر عند التصبّب وشحاح : كثير الصبّ .

إن تفن كأسك أكياسى فإن بها
وإن أقم سوق أطرابى فلا عجب

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتى فقد جدّ الأسى موتى
بكى إلیّ غداة البين حين رأى
فدمعتى ذوب ياقوت على ذهب

وقوله [من البسيط] :

أنباك شاهد أمرى عن مغیبة
يا نازحاً نزحتْ دمعى قطيعته

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبن بكاء النوء والطنب
ولا تجد بغمام للغميم ولا
ربع تعفى فأعفى من جوى وأسى
سیان بان خلیط أو أقام به
أبهى وأجل من وصف الجمال ومن
مدّ البنان إلى كأسٍ على سكرٍ
حمراء حين جلّتها الكأس نقطها
كانت لها أرجل الأعلاج وآترة

يفلّ جيش همومى جيش أفراحي
هذا بذاك إذا ما قام نواحي

ما كنت أول صبّ غير مبخوت^(١)
دمعى يفيض وحالى حال مبهوت
ودمعه ذوب درّ فوق ياقوت

وجدّ جدّ الهوى بي في تلعه
هب لي من الدمع ما أبكى عليك به

ولا تحي كئيب الحى من كئيب^(٢)
تسمح لسرب المها بالواكف السرب^(٣)
قلبي وكان إلى اللذات منقلبي
فإنما عامر البيداء كالخرب
إدمان ذكر هوى يهوى على قتب^(٤)
ورفع صوت بتطريب على طرب
مزاجها بدنائير من الحب
بالدّوس فانتصفت من أرؤس العرب^(٥)

(١) مبخوت : معظوظ .

(٢) تطنب : تكثر ، والنوء : المطر ، والنجم إذا مال للغروب . الكئيب : التل من الرمال .

(٣) الغميم : لبن يسخن حتى يغليظ ، والغميم هنا الغليظ . والواكف : السائل والدامع .

(٤) القتب : الرّجل .

(٥) الأعلاج : الكفّار ، وآترة : ظالمة ومتنقمة .

يسقيها من بني الكفار بدر دجى الحاظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطراف مطرفة بها خضابان للعناب والعنب

* * *

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيدة مطلعها [من البسيط] :

ما زاره الطيف بعد البين معتمداً
إلاً ليديني له الشوق الذي بعدا
ومنها :

كأنما من ثناياها وريقتها
أيدي الغمام سرقن البرد والبردا

وقال وهو في نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج
لأرثك سالفتي غزالٍ أدعج^(١)
ومنها :

أرعى النجوم كأنما في أفقها
والمشتري وسط السماء تخاله
مسار تبرٍ أصفر ركبته
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى
وتنقبت بخفيف غيمٍ أبيض
كتنفس الحسناء في المرأة إذ
زهر الأقاحي في رياضٍ بنفسج
وسناه مثل الزئبق المترجج
في فصٍ خاتم فضة فيروزج
ميلان شارب قهوق لم تمزج
هي فيه بين تحفّر وتبرج
كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذيلي مطرف زرة على الأرض زراً^(٢)
برقه لمحّة ولكن له رعدٌ بطيء يكسو المسامع وقراً^(٣)

(١) الأدعج : واسع العين وأحورها .

(٢) المطرف : الوشاح المقوّف وهو من الحرير .

(٣) الوقر : الصمم .

كخلي منافقٍ للذي يهـواه يبكي جهراً ويضحك سراً
وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك قهوة لم يبق منها تقادم عهدا إلا الأقلاب
بزلنا دنها والليل داجر فصيرت الدجى شمساً وظلاً^(١)
وقال [من الخفيف] :

يا معيري بالصدّ ثوب السقام أنت همّي في يقظتي ومنامي
أنت أمنيّتي فإن رمت غمضاً سلّمك المنى إلى الأحلام
وقال [من الكامل] :

حورٌ شغلن قلوبنا بفراغٍ لرسائلٍ قصّرت عن الإيلاج
ومنعن ورد خدودهنّ فلم نطق قطفاً له لعقارب الأصداغ^(٢)
وقال [من الكامل] :

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم أنكى وأفسد في القلوب وعائا
فليقض عدته السرور فإنني طلّقت بعدهم السرور ثلاثا
أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة ، وهو قوله [من الكامل] :
بلدٌ خلعت اللهو خلعي خاتمي فيه وطلّقت السرور ثلاثا

وقال [من المنسرح] :

في كنف الله ظاعنٌ ظعننا أودع قلبي وداعه حزنا^(٣)
لا أبصرت مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

(١) بزلنا دنه : شققناه ليسيل الخمر منه .

(٢) لم نطق : لم نتحمل .

(٣) الظاعن : الراحل .

وقال [من البسيط] :

أهلاً بشمس مدام من يدي قمر
كأنّ خمرته إذ قام يمزجها
إذا سقتك من المزوج راحته
في وجهه كل ريحان تراح له
الرجس الغضّ عيناه ، وطرته

وقال [من الخفيف] :

قلت لما بدا الهلال لعين
يا هلال السماء لولا هلال الـ

وقال [من الطويل] :

وبدر دجى يمشي به غصن رطب
إذا ما بدا أغرى به كلّ ناظرٍ

وقال [من البسيط] :

لا تحسبوا أنّني باغٍ بكم بدلاً
قلبي رقيبٌ على قلبي لكم أبداً

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعت في القلب لحظته
لو أن قلبي وفاه محبته

وقال [من المنسرح] :

كأنّما أنجم الثريا لمن

تكامل الحسن فيه فهو تيّاه^(١)
من خده اعتصرت أو من ثناياه
كأساً سقتك كؤوس الصّرف عيناه
منا قلوب وأبصار وتهواه
بنفسجٍ ، وجنيّ الورد خداه

منعتها من الكرى عيناكا
أرض ما بت ساهراً أوعاكا

دنا نوره لكنّ تناوله صعبُ
كأنّ قلوب الناس في حبّه قلب

ولو تمكّنت من صبري ومن جلدي^(٢)
والعين عينٌ عليه آخر الأبد

صبايةً وسقى بالدمع ما زرعاً
أحبّه بقلوب العالمين معاً

يرمقها والظلام منطبقُ

(١) تيّاه : كثير العجب .

(٢) باغٍ : طالب .

مال بخيل يظلّ يجمعه من كلّ وجهٍ وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليلي من عذيري من الدنيا ومن جورها عليّ وصبري
عجباً أنني أنافس في عمران أيامها وتخرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هو الفجر قابلنا بابتسام	لتصرف عنا عبوس الظلام
ولاح فحلّ كأس الشمو	ل صرفاً وحرّم كأس المنام
ظللنا على شمّ ورد الحدود	ومسك النحور ونقل اللثام
نعين الصباح على كشفه	قناع الظلام بضوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خالك الدهر فكن عائداً	بالبیض والظلمات والعيس
ولا تكن عبد المنى فالمنى	رؤوس أموال المفاليس

وقال [من الكامل] :

حورٌ جعلن وقد رحلن وداعنا	بمدامعٍ نطقن وهنّ سكوتُ
فعيونها سبجٌ ونثر دموعها	درُّ وحرّة خدها ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنا في حبسنا الأكوابا	سقط الندى وصفا الهواء وطابا
ودعابـ «حي على الصبوح» مغرّداً	ديك الصباح فهيج الأطرابا
وكأنما الصبح المنير وقد بدا	بازُّ أطار من الظلام غرابا
فأدم لداذة عيشنا بمدامةٍ	زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت فغار حبابها من لحظنا	فعلا محاسنها وصار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

أشرقت ظلمتها بيدٍ مشرقٍ	فلأشكرنَّ لديرٍ قنّا ليلةً
بالراح والوتر الفصيح المنطق	بتنا تُوقّي اللهو فيها حقّه
ثوباً يرشُ بطلّه المترق	والجو يسحب من عليل هوائه
هرماً وأثر فيه شيب المفرق	حتى رأينا الليل قوَسَ ظهره
سيفٌ حلاه من اللجين المحرق ^(١)	وكأنّ ضوء الفجر في باقي الدجى
قصرت فريع تجمع بتفرّق ^(٢)	يا طيها من ليلة لو لم تكن

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً	وضياءً ومثالا
وشبيه الغصن ليناً	وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً	ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما	سرّنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ فضحته بضياء الـ	راح حتى تركته كالنهار
ذي سماءٍ كخرمٍ ونجومٍ	مشرقاتٍ كنرجسٍ وبهار ^(٣)
وهلالٌ يلوح في ساعد الغر	ب كدملوج فضّةٍ أو سوار ^(٤)
بتٌ أجلو فيه شمسٌ وجو	حملت في الدجا شمسٌ عقار

(١) اللجين : الفضّة .

(٢) ريع : أخيف .

(٣) الخرّم : نبات بنفسجي اللون .

(٤) الدملج : نوعٌ من الخلي تلبسه المرأة في ساعدها .

وقال - وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن - [من مجزوء الخفيف] :

هو يومٌ كما ترا هـ مليح الشمائل
هاج نوح الحمام في هـ غناء البلابل
ولركب السحاب في الججو حق كباطل
مثلما فاه في المهتد بعض الصياقل
جليت شمسه لرقته في غلائل
وعمود الزمان معتدل غير مائل
حين ساوى حر الهواء جر برد الأصائل
وغدا الروض في قلا ثده والخلائل
فمن العجز أن ترى فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذيل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقل ومقاساة جاهل^(١)
وخصوم يكابرون وضوح الدلائل
انفر كيد الجدال عنك بصيد الأجادل^(٢)
كلّ صلب العظام واللحم رطب المفاصل
وهو أهدي من الردى في طريق المقاتل
كم غدونا به لطير التلاع السوابل^(٣)
فانبرى أخرس الجنا ح صخوب الجلاجل^(٤)

(١) الملاحاة : اللوم .

(٢) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٣) التلاع : الأعالي . والسوابل : من الطرق : المسلوكة .

(٤) الجلاجل : الدوي والصّوت .

وتعامى عن الشوى واهتدى للشواكل^(١)
بسكاكينه التي ثبتت في الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهي مثل المناجل^(٢)
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فتردى رداء لهـو إلى الليل شامل
ثم انثنى جذلان بين القنا والقنابل^(٣)
نحو ربع من المكا رم والمجد أهل^(٤)
فترى الأنس في عبيدك عذب المناهل
من عقول قد بلبلتهـن صفراء بابل
فإذا الليل كف كل رقيب وعاذل
صرت الفرش تحت قو م صرير المحامل^(٥)

وقال [من الطويل] :

وأغيد روته المدامة فانثنى كما ينثنى من ريه الغصن الغضُّ
دعوت إليها وهو في دعوة الكرى وقد أخذت في خلع أسودها الأرض^(٦)
فقام وفي أعطافه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء

(١) الشوى : أطراف الجسم من اليدين والرجلين . والشواكل : الخواصر .

(٢) عقف السكين : لواها . وأرهفها : سنّها فصارت ماضية .

(٣) القنابل : الجماعة من الناس أو الخيل .

(٤) أهل : عامر .

(٥) صرت : صوّت .

(٦) أسود الأرض : يعني الليل .

فالأراح شمسٌ والحجاب كواكبٌ والكفُّ قطبٌ والإناء سماء

وقال [من المجتث] :

راحٌ كضوء الشهاب سلافة الأعناب
والمزج ماء غدير صافٍ كماء الشباب
لو لم يكن ماء مزنٍ لكان لمع سراب
كأنه جسم درٍ عليه درعٌ حباب
يجري خلال حصىً أبيض كقطر السحاب
كأنه الريق يجري على الثنايا العذاب

وقال في مخدة [من الكامل] :

بأبي التي كتمت محاسنها خوف العيون وليس تنكتمُ
لبست سواداً كي تعاب به والبدر ليس يشينه الظلم

وقال من قصيدة في المهلي الوزير استهلاها [من المتقارب] :

مهاةٌ توهمها أم غزالا وشمساً تشبهها أم هلالا
منعمةٌ أطلقت لحظها فكان لعقل المعنى عقالا^(١)
وشمسٌ ترجل في مجلسٍ لندمانها وتغنى ارتجالا
ولا تعرف اللحن ألحانها إذا ما الخفاف تبعن الثقالا
شدت رملا في مديح الوزير فظلنا من السكر نحكي الرمالا^(٢)
وهل ثملٌ مفكرٌ بعد أن تكون له راحتاه ثمالا؟^(٣)

(١) المعنى : المتألم ، والعقال : الأسر .

(٢) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء .

(٣) الثمل : السكران ، والثمال : الغيث النافع .

ومنها في التهنة بعيد الفطر :

وهنيئاً مريئاً بأجرٍ أقام	وصومٍ ترَحَّلَ عنك ارتحالا
وفطرٍ تواصل إقباله	لأن له بالسعود اتصالا
رأى العيد فعلك عيداً له	وإن كان زاد عليه جمالا
وكَبَّرَ حين رآكَ الهلالُ	كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته	هلالاً أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إله السماء	بعزٍّ تعالى ويمنٍ توالى ^(١)
ولقيت سعداً إذا العيد عاد	ولقيت رشداً إذا الحولُ حالاً ^(٢)
وإن رمضان أطاح الكؤوس	فشوال يأذن في أن تشالا
فواصل بيمينٍ كؤوس الشمول	يميناً مقبلةً أو شمالا
ولا زلت عن رتبٍ نلتها	ومن ذا رأى جبلاً قطُّ زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضاً [من الكامل] :

أيدت ملك معزّ دولة هاشم	فزمانه عرسٌ من الأعراسِ
وتيقن الشعراء أن رجاءهم	في مأمّنٍ بك من وقوع اليأسِ
ما صحّ علم الكيمياء لغيرهم	فيمن عرفنا من جميع الناسِ
تعطيهم الأموال في بدرٍ إذا	حملوا الكلام إليك في قرطاسِ

وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي ذلف [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء ونفعه	مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلاّ درهمٌ	ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

(١) اليمين : الخير ، وتوالى : تتابع .

(٢) الحول : العام ، وحالا : أي انتهى .

ولكنه لطفه وزاد فيه ، وقال [من الكامل] :

وأخـ جفا ظلماً، وملّ، وطالما
فسلوت عنه وقلت ليس بمنكر
فالخمر وهي الراح ربّما غدت
وقال في معناه أيضاً [من الطويل] :

وكم من عدوٍ صار بعد عداوةٍ
ولا غرو فالعنقود في عود كرمه
صديقاً مجلاً في المجالس مُعظماً
يرى عنباً من بعد ما كان حصرماً
وقال في استهداء نبذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعلا والمجد منفردا
لهاك أوجدت الآمال ما فقدت
هذا زمان علاجٍ يتقي ضرر ال
فلست تبصر إلا شارباً قدحاً
وقد عصيت الهوى مذ أمس محتمياً
وروقوا لي رطلاً لست أذكره
مناكرٌ لطباعي غير أن | له
وليس لي قهوةٌ أطفئ بجمرتها
فامنن بدستيجة المشروب يومك ذا
وواحد الأرض لا مستثناً أحدا
وقرّبت لمنى الراجين ما بعدا^(١)
أخلط فيه لأن الفصل قد وفدا
مرّاً وإلاّ نزيف الجسم مفتصدا^(٢)
لما عزمت على إصلاح ما فسدا
إلاّ عدمت لديه الصبر والجلدا^(٣)
عقبى تمازج محموداتها الجسدا
عن مهجتي شره الماء الذي بردا
فقد عزمت على شرب الدواء غدا^(٤)

(١) لهاك : عطايك .

(٢) المفتصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة .

(٣) الجلد : الصبر .

(٤) الدشيعة : آنية صغيرة .

وقال في العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصتُ عليه حتّى ملّني والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ
يا ليتهُ إذ باع ودّي باعه فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك ما يعزّ وجوده إن رمته إلّا صديقٌ مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا في القرب ثم نأى فشكا الهوى بالكتب والرّسل
مهلاً فإنّك في فعالك ذي مثل الذي قد قيل في المثل
« ترك الزيارة وهي ممكنة » وأتاك من مصرٍ على جمل !

وقال في وصف سيف [من الكامل] :

متوقّداً، مترقّقا، عجباً له نارٌ وماءٌ كيف يجتمعان ؟
وكأثما أبواه صرفا دهرنا أو كان يرضع درّة الحداث
تجري مضاربه دماً يوم الوغى فكأثما حدّاه مفتصدان

وقال في هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدّى الكوفيّ ينشدنا قلنا له : طعنةً وطاعونا
تجمع يا أحمق العباد لنا شعرك في برده وكانونا ؟

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن في فمه جمرأً وأنشدنا شعراً لما ضرّه من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان
سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره ، وما وقع

لأبي عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق .

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادنّ من الدنّ بي فذاك أبي
أما ترى الطلّ كيف يلمع في
في كلّ عينٍ للطلّ لؤلؤة
والصبح قد جرّدت صوارمه
والجوّ في حلّة ممسكة

واشرب وسقّ الكبير وانتخب
عيون نورٍ تدعو إلى الطرب^(١)؟
كدمعة في جفون منتحب
والليل قد همّ منه بالهرب
قد كتبها البروق بالذهب

وللسري في مثله [من المنسرح] :

غيومٌ تمسّك أفق السماء
فهااتها كالعروس محمرة ال
كادت تكون الهواء في أرج ال
من كفّ راضٍ عن الصدود وقد
فلو ترى الكأس حين يمزجها
نارٌ حواها الزجاج يلهبها ال

وبرق يكتبها بالذهب^(٢)
خدين في معجزٍ من الحب
عنبر لو لم تكن من العنب
غضبت في حبّه على الغضب
رأيت شيئاً من أعجب العجب
ماء ودرّ يدور في اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقرّ غير صافية
درياق أفعى الشتاء وهو إذا

تدفع ما ليس يدفع الدلق^(٣)
سلّ علينا سيوفه درق^(٤)

(١) النور : الزهر .

(٢) هكذا ، والبيت الأول لا يوافق بقية الأبيات في الوزن .

(٣) القرّ : البرد . والدلق : الفرو المستخرج من حيوانٍ كالحمر .

(٤) الدرياق : الترياق ، دواء السمّ ، وسلّ : شهر ، والدرق : الترس .

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك [من الكامل] :

هو يومُ شكٍّ يا عليّ وشرّه مذ كان يحذرُ
والجوّ حلّته ممسّكةً ومطرفه معنبر^(١)
والماء عوديّ القميصر وطيلسان الأرض أخضر^(٢)
ولنا فضيلاتُ تكو ن ليومنا قوتاً مقدراً
ومدامةً صفراء أد رك عمرها كسرى وقيصر
وحديثنا ما قد علمت وشعرنا ما أنت أبصر
فانشط لنا لنحثّ من كاساتنا ما كان أكبر
أو لا فإنك جاهل إن قلت إنك سوف تعذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبى [من المتقارب] :

فديتك ما شبت من كبره وهذي سنيّ وهذا الحساب
ولكن هجرتُ فحلّ المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليت بأحسن الثقلين إقبالاً ومنصرفاً^(٣)
فمثل الخشف ملتفتاً ومثل الغصن منعطفاً^(٤)
يسوّفني بنائله وقد أهدي لي الأسفا^(٥)
وآخذ وصله عِدّةً ويأخذ مهجتي سلفاً

(١) ممسك : من المسك ، ومعنبر : من العنبر .

(٢) عوديّ القميصر : كناية عن جريانه الذي ينقطع .

(٣) الثقلين : الإنس والجن .

(٤) الخشف : ولد الغزال .

(٥) يسوّفني : يماطلني ، والنائل : العطاء .

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبى الوزير [من الوافر] :

دموعي فيك أنواء غزارٌ وقلبي ما يقرُّ له قرارٌ
وكل فتى علاه ثوب سقمٍ فذاك الثوب مني مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتني ما بين همٍّ وبوس وثنت بعد ضحكةٍ بعبوسٍ
ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ وهي الأبنوسُ بالأبنوسِ
وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيئاً يضاحكها فصدتُ وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه سواداً لا يشاكله نفيسا
تلقَّ العاج منك بمشط عاجٍ ودعُ للأبنوسِ الأبنوسا

وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرؤوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الأبنوسِ بالأبنوسِ

* * *

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأنَّ الرعود خلال البرو ق والريح يكثر تحريضها
زنوجٌ إذا خفقت بينها دبادبها جردت بيضها^(١)

(١) الدبادب : الصياح والضجة ، والبيض : السيوف .

وقوله [من الكامل] :

صدت مجانبة نوارُ ونأى بجانبها ازورارُ
ورأت ثيابي قد غدتُ وكأنتها دمنُ قفار^(١)
يا هذه إن رحت في خلقٍ فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خزفُ وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه رديءٌ ومحالٌ وساقطٌ وبديعٌ
فهو مثل الزمان فيه مصيفٌ وخريفٌ وشتوةٌ وربيعٌ

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياسٍ
قطرٌ كدمعي وبرقٌ مثل نار جوى في القلب مني وريحٌ مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجر فما للكأس حبسُ
قهوةٌ تعطيكها قبل طلوع الشمس شمس
وهي كالمرّيخ لكن هي سعدٌ وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

يا قضييأ يمس تحت هلال وهلالاً يرنو بعيني غزال
منك يا شمسنا تعلّمت الشمس دنو السنا وبعد المنال^(٢)

(١) الدمن : الأطلال والرسوم .

(٢) السنا : الضياء .

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر في الـ حسن وفي بعد المنال

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنت بعودها شغفٌ جاء سرورٌ يفوق كلَّ منى
واحدة الحلق لا نظير لها كالمسك لونا وبهجةً وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

تركتنا بطيها إذ تغنت شغفٌ بين أنثى ونحيب^(١)
طيةً بالغناء فهي لأسقام الندامى لطافة كالطيب^(٢)
ألفتها القلوب لما رأتها صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

أكسبها الحبّ أنها صبغت صبغة حبّ القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي هبّ الرقاد لعين جفنها دامي
لا خلّص الله قلبي من يدي رشاً رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسنأ نحن في لهوٍ وليلتنا بزهر أنجمها ترمي العفاريثُ
وقد تضايق في السكر العناق بنا كما تضايق في النّظم اليواقيت^(٣)

(١) الشغف : الحب والهوى .

(٢) طية : مداوية .

(٣) النظم : من نظم العقد أي سلك حياته في سلك واحد .

وقوله [من الكامل] :

متبرّمٌ بعتابه مستعذبٌ لعذابه
هجر العميد تعمداً فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيه في عنفوان شبابه
فتراه يؤذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدّجى فاسقنيها قهوةً تترك الحليم سقيها
لست تدري لرقّةٍ وصفاءٍ هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

ظالمٌ لي وليته الدهر يبقى ويظلمُ
وصله جنّةٌ ولكن جفاه جهنم^(١)
ورضاه وسخطه الـ دهر عرسٍ ومأتمٌ

وقوله [من الخفيف] :

إنّ شهر الصيام إذ جاء في فصل ربيعٍ أودى بحسنٍ وطيبٍ
فكأنّ الورد المضعّف في الصو م حبيبٌ يمشي بجانبٍ رقيبٍ

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ ليلاء في اللون كلون المفرقِ
كأتما نجومها في مغربٍ ومشرق
دراهمٌ منشورةٌ على بساطٍ أزرق

(١) الوصل : اللقاء والقرب ، والجفاء : البعد .

وقوله في معنى متداول [من الطويل] :

وأودعني الأحزان ساعة ودعا
قذى بين جفني أرمده ما توجعا

بنفسي حبيب بان صبري لبينه
وأنحلني بالهجر حتى لو أنني

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

وهل خاتم في سوى خنصر
وإن شئت فالح ولا تعذر

صغيرُ صرفت إليه الهوى
فإن شئت فاعذر ولا تلحني

وقوله [من السريع] :

وهمه عود وطنبور^(١)
إلا مهى مثل الدمى حور
والعمر باللذات معمور
فيها دنان ودنانير
در وياقوت أزهير
ففي الزنانير زناير
أحسن أم تلك التصاوير^(٢)
بالسكر منا فهو مقمور^(٣)
من قبل أن يعصر معصور
فهو ظلام وهي النور
فينا وجيب الصبح مزور
فهل لها عندك تفسير؟^(٤)

همته خمر وماخور
وليس دنياه ولا دينه
ذيل الصبا في الغي مجرور
وليلة الهيكل كم أنفدت
أقبلن كالروض تغشاه من
على خصور أرهفت دقة
فما درينا أوجوه الدمى
وعندنا صفراء من قامرت
سلاف أعناب فعنقودها
زاد على المصباح إشراقها
حتى إذا ما انحل جيب الدجى
جرت هناة لي أجملتها

(١) الماخور : مكان الشرب والمجون .

(٢) الدمى : يعني الفتيات القيان .

(٣) مقمور : مغلوب .

(٤) الهناة : الداهية .

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمرٌ ، وأنفاسه
أخرجه رضوان من داره
يلومه الناس على تيهه
مسكٌ ، وذاك الثغر كافورٌ
مخافةً تفتتن الحور^(١)
والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحلٌ بالدعج
معصفرُ التفاح في
خمّشه الشعر وما
وإنّما عارضه
منقّبٌ بالغنّج
خدٌ مليح الضّرّج^(٢)
ذاك لطول الحجج^(٣)
شَنّفه بالسبج^(٤)

وقوله [من البسيط] :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به
فما ترى غصناً إلا وزهرته
وللحمائم ألحانٌ تذكّرنا
وللنسيم على الغدران رفرقةً
والخمر تجلى على خطّابها فترى
وكُنّا من أكاليل البهار على
ونحن في فلكِ اللهو المحيط بنا
ولست أنسى ندامى وسطه يكله
والأرض والروض في وشي وديباج
تجلوه في جبّة منها ودوّاج^(٥)
أحبابنا بين أرمال وأهزاج
يزورها فتلقاه بأموّاج
عرائس الكرم قد زفّت لأزواج
رءوسنا كأنو شروان في التاج
كأنّا في سماء ذات أبراج
حتى الصباح غزلاً طرفه ساجي^(٦)

(١) رضوان : خازن الجنان .

(٢) الضّرّج : ما يعلو الخدّ من حمرة .

(٣) خمّشه : ترك به آثاراً من المداعبة .

(٤) شَنّفه : زينه وحلاه ، والسبج : الخرز الأسود .

(٥) الدوّاج : اللّحاف الذي يلبس .

(٦) الساجي : الساكن والهادئ .

أهز عظمي قضيبي البان معتقاً
وقولتي والتفاتي عند منصرفي
يا دير يا ليت داري في فنائك أو
وقوله [من الكامل] :

قمرٌ بدير الموصل الأعلى
لثم الصليب فقلت من حسد
جد لي بإحداهن كي يحيا بها
فاحمر من خجل وكم قطفت
ونكلت صبري عند فرقته
أنا عبده وهواه لي مولى
قبل الحبيب فمي بها أولى
قلبي فحبته على المقل^(١)
عيني شقائق وجنة خجلي
فعرفت كيف تحرق الثكلي

وقوله من قصيدة في المهلب الوزير وقد عزم على الرجوع إلى وطنه [من البسيط] :

إنّا لنرحل والأهواء أجمعها
لهن من خلقك الروض الأريض ومن
لكن كل فقير يستفيد غنى
وكل غاز إذا جلت غنيمة
وقوله [من الطويل] :

وكننت أرى في النوم هجرك ساعة
وتأمرني بالصبر والقلب كلما
فأجفو لذيد النوم حولاً تطيراً
تقاضيته صبراً تقاضيت معسراً

(١) دراج : إسم مكان ، أو درب عام أدرج إليه كل يوم .

(٢) جذد لي : تكرم علي .

(٣) الأريض : المكان الكثير العشب .

(٤) القفل : الرجوع إلى دياره .

فلما رأيت الغدر من شأنك اغتدى غدير التصافي بيننا متكدراً
فوالله ما أهواك إلاّ تكلفاً ولا أشتكي الهجران إلا تخمراً

وقوله في إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحلّ به الرزية	وأعاد نعمته بليّة
حظّي الردى بك إذ غدت	لك بنت عمار حظيّة ^(١)
قل لي وكيف تنيكها	مع دلّ قامتك القميّة؟ ^(٢)
أنت البعوضة قلة	وكأنها جمل الضحيّة
نبئها قالت وقد	بصرت بأيرك كالشظية!
من ليس تشعبه الهريد	سة كيف تشعبه القليه؟
فلو اطلّعتَ عليهما	عند ارتكابهما البليه
لذكرت في شخصيهما الـ	عنقاء قد خطفتُ صبيه!

وقوله [من الخفيف] :

قل لمن يشتهي المديح ولكن دون معروفه مطالٌ ولي^(٣)
سوف أهجوك بعد مدحٍ وتحريـ لكٍ وعتبٍ، وآخر الداء كيـ

وقوله [من المنسرح] :

بغداد قد صار خيرها شرّاً صيرها الله مثل سامراً
اطلبْ وفُتّش واحرصْ فلست ترى في أهلها حرّةً ولا حرّاً

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيل المطالب بالهنديّة البتر لا بالأمانى والتأميل للقدّر^(٤)

(١) الحظيّة : الزوجة والعاشقة .

(٢) القميّة : أقمى الرجل إذا سمن بعد هزال والقامية : الذليلة .

(٣) المطال : التسويف .

(٤) البتر : القاطعة .

فإن عفا طللٌ أو باد ساكنه
 في شمك المسك شغلٌ عن مذاقته
 لو لم أكن مشبهاً للناس في خلقي
 أو لم يكن ماء علمي قاهراً فكري
 تزيدني قسوة الأيام طيب ثناً
 ألفت من حادثات الدهر أكبرها
 لا شيء أعجب عندي في تباينه
 أرى ثياباً وفي أثائها بقرٌ
 قالت رقدت فقلت الهم أرقدني
 كم قد وقعت وقوع الطير في شركٍ
 أصفو وأكدر أحياناً لمختبري
 إنني لأسيرٌ في الأفاق من مثلٍ
 إذا تشككت فيما أنت مبصره
 وكيف يفرح إنسان بمقلته
 لقد فرحت بما عاينت من عدمٍ
 وربما ابتهج الأعمى بحالته
 ولست أبكي لشيبٍ قد منيت بهِ
 كن من صديقك لا من غيره حذراً
 ما أطمئن إلى خلقٍ فأخبره
 وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها

فلا تقف فيه بين البث والفكر
 وفي سنا الشمس ما يُغني عن القمر
 لقلت إنني من جيلٍ سوى البشر
 لأحرفني في نيرانها فكري
 كأنني المسك بين الفهر والحجر^(١)
 فما أعوج على أطفالها الأخر^(٢)
 إذا تأملت من هذه الصور
 بلا قرونٍ ، وذا عيبٌ على البقر!
 والهم يمنع أحياناً من السهر
 فضععتُ ميتي منه قوى الممر
 وليس مستحسناً صفو بلا كدر
 فرد وأملٌ للأفاق من قمر
 فلا تقل إنني في الناس ذو بصر
 إذا نضاها فلم تصدقه في النظر!
 خوف القبيحين من كبرٍ ومن بطر^(٣)
 لأنه قد نجا من طيرة العور
 يبكي على الشيب من يأسٍ على العمر
 إن كان ينجيك منه شدة الحذر
 إلا تكشف لي عن لؤم مختبر
 فاستصغرتها جفوني غاية الصغر

(١) الفهر : حجرٌ رقيق تسحق به الأدوية .

(٢) أعوج : أميل وأتطلع .

(٣) البطر : التكبر من أثر النعمة .

وما شكرت زمانني وهو يصعدني فكيف أشكره في حالٍ منحدر
لا عار يلحقني إنني بلا نسبٍ وأي عارٍ على عينٍ بلا حور^(١)
فإن بلغت الذي أهوى فعن قدرٍ وإن حرمت الذي أهوى فعن عذرٍ

* * *

١٠٨ - أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي

هو من بلدة يقال لها « بلد » من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل ، وأبو بكر
من حسانتها .

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ولا
تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ، وهو القائل [من السريع] :

بالغت في شتمي وفي ذمي وما خشيت الشاعر الأمي
جربت في نفسك سمّاً فما أحمدت تجريبك للسم

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره ، كقوله [من الطويل] :

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمالٍ لا تقصّر في لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواوٍ منهم غير ذي زرع

وقوله [من الطويل] :

كأنّ يميني حين حاولت بسطها لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
وقائلاً هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصا وقد جعلت تلك العصا حيةً تسعى

(١) النشب : المال وغيره من النعم .

وقوله [من الخفيف] :

أترى الجيرة الذين تداعوا بكرةً للرحيل قبل الزوالِ
علموا أنني مقيمٌ وقلبي راحلٌ فيهمُ أمامَ الجمالِ
مثل صاع العزيز في أرحل القو م ولا يعلمون ما في الرحال^(١)

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيب وخلفَ القلبِ يُبدي العزاء ويضمّر الكربا
قد قلت إذ سار السفين بهم والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي عزاً أصول به لأخذت كلَّ سفينة غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله [من الكامل] :

وحمائِمِ نبّهتني والليل داجي المشرقين
شبّهتَنَ وقد بكى من وما ذرفن دموع عين
بنساء آل محمدٍ لما بكين على الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحدتَ ولاءَ مولانا عليَّ وقدّمتَ الدعيَّ على الوصيِّ
متى ما قلت إنَّ السيفَ أمضى من اللحظات في قلب الشجيِّ
لقد فعلت جفونك في البرايا كفعل يزيد في آل النبيِّ

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنا إن رمت سلواً عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا رك في قتل الحسينِ

(١) صاع العزيز : وهو الصاع الذي وضعه يوسف في رحل إخوته عندما جاءوا يكتالون القمح .

لك صولاتٌ على قلبي بقدرُ كالأدبني^(١)
مثل صولاتٍ عليَّ يوم بدرٍ وحين

وكقوله [من الخفيف] :

أنا في قبضة الغرام رهين بين سيفين أرهفاً وردني
فكان الهوى فتىً علويً ظنُّ أني وليت قتل الحسين
وكأني يزيد بين يديه فهو يختار أوجع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظر إليَّ بعين الصفح عن زللي لا تتركني من ذنبي على وجل^(٢)
موتي وهجرك مقرونان في قرنٍ فكيف أهجر من في هجره أجلي
وليس لي أملٌ إلا وصالكم فكيف أقطع من في وصله أمني
هذا فؤادي لم يملكه غيركم إلا الوصيُّ أمير المؤمنين علي

وكقوله [من الوافر] :

تظن بأنني أهوى حبيبا سواك على القطيعة والبعاد
جحدت إذن موالاتي علياً وقلت بأنني مولى زياد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فمنها قوله [من الوافر] :

إذا استقلت أو أبغضت خلقاً وسرَّك بعده حتى التنادي^(٣)

(١) الرديني : الرمح .

(٢) الزلل : الخطأ ، والوجل : الخوف .

(٣) التنادي : القيامة .

فشرده بقرض دريهماتِ فإنَّ القرض داعية البعادِ

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتاني حبيبٌ في مصارمتي لجوج^(١)
أيا ليلي الذي ما كنت تفنى قصرتَ وكنت قدما ما تروج !
أيا جوجُ إذا نحن التقينا وأيام التهاجر أنت عوج^(٢)

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تشاجرُ كأنَّ صنوف النور فيه جواهرُ
كأنَّ نسيم الروض في جنباته لخالخ فيما بيننا وزرائر^(٣)
كأنَّ القمارى والبلايل حولها قيانُ وأوراق الغصون ستائر^(٤)
شربنا على ذاك الترنم قهوةً كأنَّ على حافاتها الدرّ دائر

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضةٍ بات طلّ الغيث ينسجها حتى إذا نجمت أضحى يدبجها^(٥)
يبكي عليها بكاء الصَّبِّ فارقه إلفٌ فيضحكها طورا ويهجهها
إذا تنفّس فيها ريح نرجسها ناغى جنّي خزامها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده كأسٌ كشعلة نارٍ إذ يؤججها
لا تمزجنها بغير الريق منك وإن تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها

(١) المصارمة : المقاطعة والهجر ، واللجوج : الملحّ .

(٢) يأجوج : ورد ذكره في القرآن الكريم ، وعوج : من ولد آدم يقال إنّه لفرط طولهِ كان يمشي في البحر ويشوي السمكة في أشعة الشمس .

(٣) لخالخ : من اللخلخة ، وهو طيبٌ معروف .

(٤) القماري : من الطيور المغردة .

(٥) نجمت : طلعت .

أقل ما بي من حبيك أن يدي إذا دنت من فؤادي كاد ينضجها
وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومدام كست الكأ
ظهرت في جنح ليل
لم يكن وقت صباح
س من النور وشاحا
فكأن الفجر لاحا
فحسبناه صباحا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلت والليل له الويد
أعظم الخالق أجر ال
فلقد ماتت كما ما
ل مقيم غير ساري
خلق في شمس النهار
ت عزائي واصطباري

وقوله [من الخفيف] :

أنا أخفي من أن يحس بجسمي أحد حيث كنت لولا الأنين
فكأنني الهلال في ليلة الشك نحولاً فما تراني العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدئي عن حلاوة التشيع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا
اجتنابي مرارة التوديع
فرأيت الصواب ترك الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الذي أصبح لا والد
قد مات من قبلهما آدم
إن جئت أرضاً أهلها كلهم
له على الأرض ولا والده
فأي نفس بعده خالده
عور فغمض عينك الواحد

وقوله [من السريع] :

نكبت في شعري وثغري وما
نفسِي في صبري بمنكوبه

إذا دنتُ بيضاء مكروهة مني نأت بيضاء محبوبه
وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكهّل من هوي عاينت من طلابه
وكذاك أصحاب الحديد ث نفاقهم عند الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحاب ولو لم أكن رجلاً سابحاً
غرقنا وألزمت نفسي الجناح

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطويّ جوانبه ما ذاك إلا لأنّ الصبح نمّ بنا
مشمّر الذيل منسوب إلى القصر فاطلع الشمس من غيط على القمر^(١)

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خده ورد صالِح صدغه سيج
إذا اتّصلت محاسنه نقطع بينها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خائتني القسم إن كان نجمي نحساً أنت خالقه
ما أنت متّهم قل لي من أتّهم ؟ فأت في الحالين الخصم والحكم !

وقوله في أمرد التحي [من السريع] :

انظر إلى ميت ولكنه خلو من الأكفان والغاسل

(١) نمّ : وثى ودلّ .

قد كتب الدهر على خده بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزك لا أني عرفتكَ ناسياً لوعدٍ ولا أني أردت تقاضياً
ولكن رأيت السيف من بعد سلّه إلى الهزّ محتاجاً وإن كان ماضياً^(١)

أحسن ، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي [من الخفيف] :

لا ملومٌ مستقصراً أنت في البـرّ ولكن مستعطفٌ مستزادٌ
قد يهزّ الهنديّ وهو حسامٌ ويحثّ الجواد وهو جواد

* * *

١٠٩ - عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر ، وكان قد
عاشره واستكثر منه ، فحكى لي أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى
أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني بأن ربّ الورى المسيحُ
أراك تعمى وذاك يبري فهو إذاً عندي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود تشهد أننا له عبيدُ
كأنما خده وصالٌ وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرمٍ أقصّرُ فقد نلت ما تريد^(٢)

(١) الهزّ : التحريك ، وماضياً : قاطعاً .

(٢) أقصر : كفّ وامتنع .

إن كان قد رقَّ ثوب صبري عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ ورومٍ
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إنني وقفت من الهوى في موقفٍ صعبٍ عظيم
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيقي نشربُ على روض الشقيقِ
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق^(١)

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني، وهو في « أخبار دولة آل بويه » .

(١) الأكناف : الجوانب .

القسم الثاني
من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
وهو في أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ - بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله - بباب
مقصود على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من
الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحم وأشعارهم

١١٠ - عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان - على ما مكن له في الأرض ، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض .
وخص به من رفعة الشان ، وأوتي من سعة السلطان - يتفرغ للأدب ، ويتشاغل
بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه
ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل بارع ،
ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة .

فمن ذلك : وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء
الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق .

ومنه : لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين
وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه .

ومنه : لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت
قصيدته هي . إلا أنني اتخذتها عند امتناع ذلك قبله ، أوجه إليها صلوات
التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم .

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو
يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهظة^(١) فنظر عضد الدولة كالأمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بهظة تعجز عن وصفها يا مدعي الأوصاف بالزور^(٢)
كأنها في الجام مجلوة لآلئ في ماء كافور^(٣)

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، قال : أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب ، عند اعتذاره إليه من معاودة بختيار عليه ، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أفاق حين وطئت ضيق خناقه يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية تاجية تدع الأنوف رواغما^(٤)

(١) البهظة : الأرز يطبخ باللبن والسمن .

(٢) الزور : الكذب .

(٣) الجام : إناء من فضة .

(٤) رواغماً : أي ممثلة ومذعنة .

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوالون وهي [من الوافر] :
 طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الراح والغرر الملاح
 وكان الثلج كالكاפור نثراً وناراً عند نارنجٍ وراح
 فمشمومٌ ومسروبٌ ونارٌ وصبحٌ والصبوح مع الصباح^(١)
 لهيبٌ في لهيبٍ في لهيبٍ صباحٌ في صباحٍ في صباح
 وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله في

الخيرى [من البسيط] :

يا طيب رائحةٍ من نفحة الخيرى إذا تمزق جلاب الدياجير^(٢)
 كأنما رشٌ بالماورد أو عبت فيه دواخن ندٌ عند تبخير
 كأن أوراقه في القد أجنحة صفرٌ وحمرة ويضُّ من دنانير
 واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :
 ليس شرب الكأس إلا في المطر وغناء من جوارٍ في السحر
 غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر
 مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
 عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر
 سهل الله له بغيته في ملوك الأرض ما دار القمر
 وأراه الخير في أولاده ليساس الملك منه بالغرر^(٣)
 فيحكى أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى ﴿ ما أغنى عني ماليه ،
 هلك عني سلطانيه ﴾^(٤) .

* * *

(١) المشموم : المسك . والمسروب : الخمر المتسرب من الدن .

(٢) الخيرى : نوع من الورد الذكي الرائحة ، والدياجير : الظلمات .

(٣) ليساس : ليقاد . والغرر : الأفعال البيضاء .

(٤) الأيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة .

١١١ - عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري ، ورأيتُه متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، فعرض على كتابه المترجم بحديقة الحدق ، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال : أنشدني القاضي أبو بكر بن قريعة ، قال : أنشدني عن الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضتنا نرجس	تحيي الندامى	بريحانها
شربنا عليها كأحدافنا	عقاراً بكأس	كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا	نجرر ريطاً	كقضبائها ^(١)

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر	في صحن دجلة واعص زجر الزاجر
مشمولة أبدى المزاج بكأسها	دراً نثيراً بين نظم جواهر
من كف أغيد يستبيك إذا مشى	بدلال معشوق ونخوة شاطر ^(٢)
والماء ما بين الغصون مصفّق	مثل القيان رقصن حول الزامر

وأنشدني أبو سعيد^(٣) قال : أنشدني أبو جعفر الطبري طبيب آل بويه ،

قال : أنشدني بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفأوك لازم مكنون سري	وجبك غايتي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي	سواد في سواد في سواد

* * *

(١) ماس : تمايل دلاً ، والريط : الملاء .

(٢) يستبيك : يسلب لبك ، ويستأسرك .

(٣) في إحدى نسخ ١ « سعد » محرفاً .

١١٢ - تاج الدولة أبو الحسين^(١) أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس ، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن .

أنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن المظفر العلوي النيسابوري ، قال : أنشدني أبو العباس الملحي القوال بسوق الأهواز ، قال : أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلامٌ على طيفرٍ ألمٌ فسلماً	وأبدى شعاع الشمس لما تكلماً ^(٢)
بدا فيدا من وجهه البدر طالعاً	لدى الروض يستعلي قضيباً منعماً
وقد أرسلت أيدي العذارى بخذه	عذاراً من الكافور والمسك أسحماً ^(٣)
وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه	فعلّمه من سحره فتعلماً ^(٤)
ألمٌ بنا في دامس الليل فانجلي	فلما انثنى عنّا وودّع أظلماً

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر
فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى في أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علّتي من العداة بالتي

(١) وفيها « أبو الحسن » .

(٢) ألمٌ : حلّ وزار .

(٣) الأسحم : الأسود .

(٤) هاروت : ملك كان يبابل ورد ذكره في القرآن الكريم .

وصارم مهندر ماضٍ رقيق الشفرة
وليلة أحيتها منوطة بليلة
كأنما نجم الثريا في الدجى ومقلتي
جوهرتا عقد على نحر فتاة طفلة
أفكر في بني أبي وفعل بعض إخوتي
تظن أني أحمل الضميمة فأين همتي
تقنع بالأهواز لي وواسط والبصرة
لست بتاج الدولة سليل تاج الملة
إن لم تزر بغداد بي عما قليل كبتى^(١)
وعسكر عرمرم يملك كل بلدة
حشو الجبال والفلا مواكب من غلمتي^(٢)
نصرتهم مني ومن رب السماء نصرتي

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنا ابن تاج الملة المنصور تا ج الدولة الموجود ذو المناقب
أسمأؤنا في وجه كل درهم فوق كل منبر لخطاب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنا التاج المرصع في جبين ممالك سالك سبل الصلاح
كتائبنا يلوح النصر فيها برايات تطرق بالنجاح
تكاد ممالك الأفاق شرقاً تسير إلي من كل النواحي
ألا لله عرض لي مصون مقام المجد بالماء المباح

(١) الكبة : الحملة والدفعة في الحرب .

(٢) غلمتي : جنودي ، والمعنى أن جنوده يملأون الجبال والفلات .

وقوله من طردية [الرجز] :

مردفةً فوق متون القود	صرنا مع الصباح بالفهود
بالقطف والجلال واللبود ^(١)	قد وطئت توطئة المهود
قد ألبستُ وشياً على الجلود	فهي كقومٍ فوقها قعود
تبكي لشبلٍ ضائعٍ فقيد	يخالها الناظر كالأسود
فقابلت مرادها في اليد	بأدمعٍ على الخدود سود
تفوت لحظ الناظر الحديد ^(٢)	وقطعت حبائل المسود
فكم بها من هالكٍ شهيد ^(٣)	ركضاً إلى اقتناص كلِّ رود
بنحسها نضلُّ في السعود	منعفر الخدَّ على الصعيد
فكثرتُ ولائم الجنود	جدنا بها ، والجود بالموجود

* وشبَّت النيران بالوقود *

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

وقد لاحت لي النثرة ^(٤)	سقاني سَحراً خمرة
مليح الوجه والطرَّة	غزالُ فاتن الطرف
ت قلبي صاحب الوفرة ^(٥)	أنا ملكٌ وقد ملك
على أبهى من الزهرة	وقد زرفن صدغيه
ض في أحمر في صفره	فمن أسود في أبيه
ل أو تبدو له نفره	إذا حاول أن يجبه
عليه فأتى مكره	أعان الشيخ إبليسُ

(١) القطف : جمع قطيفة ، وهي دثار غمِّل .

(٢) المسود : جمع مسد : وهو جبلٌ من ليف مضمفور . والناظر الحديد : أي القوي .

(٣) الرود : الفتاة الحسناء .

(٤) النثرة : كوكبان متقاربان بهما بياض .

(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

وله في النكبة^(١) [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني لا أستريح من الأحزان والفكر
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رمانى الدهر بالغير^(٢)
فحسبي الله في كل الأمور فقد بدلت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

١١٣ - أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرني إلا هذه [من
مجزوء الرمل] :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب
من شمول مثل شمس في فم الندمان تغرب
فحككت حين تجلّت قمرأ يلثم كوكب^(٣)
ورد خديه جنى لكن الناطور عقرب
فاذا ما لدغت فالـريق درياق مجرب

(١) هذه القطعة ليست في «ب» .

(٢) الغير : النوائب والصروف .

(٣) حككت : شابهت .

الباب الثاني

١١٤ - في ذكر المهلبى الوزير وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبصة بن المهلب بن أبي صفرة ،
كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم
الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ،
وتدبيره أمور العراق ، وانبساطه في الأموال ، مع كونه غاية في الأدب والمحبة
لأهله ، وكان يترسل ترسلأ مليحاً ، ويقول الشعر قولاً لطيفاً ، يضرب بحسنه
المثل ، ولا يستحلي معه العسل ، يغذي الروح ، ويجلب الروح ، كما قال بعض
أهل العصر [من الخفيف] :

بأبي من إذا أراد سراري عبرت لي أنفاسه عن غير
وسباني ثغر كدرٍ نظيم تحته منطق كدرٍ نشير
وله طلعة كنيل الأمانى أو كشعر المهلبى الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن
المصيصي ، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة
المهلبى الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذى

عينه ، وشجى صدره ، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب ، إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالاً [من الوافر] :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موتٌ لذيد الطعم يأتي يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو آتني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرّاً تصدّق بالوفاة على أخيه

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه^(١) وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقّت حالة المهلي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رقّ الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرّقي
وأنالني ما أرتجي وأجار مما أتقي
فلأصفحنّ عمّا أنا ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كل كل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه^(٢) وهاضه عركه^(٣) فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :
ألا قل للوزير فدته نفسي مقال مذكر ما قد نسيه :
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ألا موتٌ يباع فأشتريه ؟
فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم ، للحنين إليه ، ورعاية حق

(١) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

(٢) البرك : البروك وهو النزول .

(٣) عركه : عناه دلكاً وحكاً وحمل عليه .

الصحة فيه ، والجري على حكم من قال [من البسيط] :

إنَّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن^(١)
وأمرله في عاجل الحال بسبعمئة درهم ، ووقع في رقعة ﴿ مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء ﴾ ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته أذكرتنا أذمنا ، والخبز خشكار^(٢)
إذ ليس في الباب بواب لدولتكم ولا حمار ولا في الشط طيار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي
الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد ، وضىء الوجه ، منهمك في الشرب
لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة
إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبى
يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن
قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفاً ومنطقة تؤوده^(٣)
جعلوه قائد عسكري ضاع الرعيل ومن يقوده^(٤)

(١) أسهلوا : أي أصابتهم النعمة .

(٢) الأدم : الطعام . والخشكار : صفة للخبز « فارسية » .

(٣) تؤوده : تثقله وتتعبه .

(٤) الرعيل : هنا الجيش .

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلي .

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمر الرجال مقرطاً ينوء بخصر في القباء هضيم^(١)
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا بخد كعابٍ أو بمقلة ريم^(٢)

وذكر الصابي أن أبا عينة المهلي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبه دنيا من عمومة الوزير ، وكان المهلي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على ما فاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنني وصلت مفاخري بآبٍ حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلّفي وحديثه فكأنما يحيا
وتلوت عمي في تغزكه وشربت رياء من هوى ريا^(٣)
فكأنني هو في صبابته وكأنه في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت أهوى في الجهارة والنجوى^(٤)
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقررت في الرتبة العليا
وعاينت من شعر العينين حلّة تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا

(١) المقرط : اللابس لنوع من الثياب يقال له « القرطق » .

(٢) العازب : من لا زوج له .

(٣) تلوت : خلفته وتبعته .

(٤) النجوى : الأسرار .

فحرّكني عرق الوشيجة والهوى لعمي وأطت بي إلى الرّحم القربى^(١)
فيا حسرتي أن فات وقتي وقته ويا حسرةً تمضي وتتبعها أخرى
ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه وبغيته دنيا وفي يديّ الدنيا
فمكنته من أهل دنيا وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبى

فصل : وردت أدام الله عز مولانا العراق ، فكان أول ما اتفق لي استدعاء
مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله ، وجمعه بين ندمائه من أهل الفضل وبينى .
وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب ، متقعر في كلامه لطيف
يعرف بالقاضي ابن فريعة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاها
إلا أنني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الذي أوردته الصافة عن الصافة ،
والكافة عن الكافة ، والحافة عن الحافة ، وله نوادر غريبة وملح عجيبة .

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا
مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانك ، ومازحك فيه إخوانك ،
وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة .

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه
ورحمه وأنساً أجّل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما
كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلةٌ غدّت في الناس وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاءُ
فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته

(١) الوشيجة : القرابة والصلة . وأطت : شدّت وحملت .

عذري وحسبته يعفيني ، فعاودني بمن استحضرنى فدخلت عليه وقد قعد للشرب
فأكرهني عليه ، ثم قال : أتعرف أحسن صنيعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واهرباه
الى واطرباه ، وسمعت عنده خادمه المسمى سلفاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد
ويغني ويحسن ، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلفاً [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد شربنا سلفاً وجمعنا بلطفه أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما
طاب به الوقت ، وهشت له النفس ، وشاكل رقة ذلك الهوى ، وعذوبة ذلك
اللمى .

وكان فيما أنشدني لنفسه وقد عمله في بعض غلمانة [من الكامل] :

خطط مقومة ومفرق طرّة فكأن سنة وجهه محراب^(١)
وريت في كشف الذي ألقى به فتعطل النمام والمغتاب^(٢)

فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة . وهو على جملة من البر
والتكرمة ، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيّب من
يومه فيه لا أني حضرته ، ولكني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً [من
الكامل] :

قل للوزير أبي محمد الذي من دون محتده السهى والفرقد^(٣)
من إن سما هبط الزمان وريبه أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقيتي مشمولة ذهبية كالنار في نور الزجاجاة توعد
لما تخون صرف دهر عارض صبري وقلبي مستهام مكمد

(١) الطرة : الشعر الذي يعلو الجبين

(٢) ورّيت : من التورية وهي القول الذي يحتمل معنيين قريب وبعيد أو ظاهر وخفي .

(٣) المحتد : الأصل والنسب .

وفطمنتني من بعدها عنها فقد أصبحت ذا حزنٍ يقيم ويقعد^(١)
من أين لي مهما أردت الشرب عندك يا أخا العلياء صبر يوجد
فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعاني من غده ، فحضرت وأبناء
المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ،
فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم .

* * *

فصل من كتاب الروزنامجة أيضاً

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الرياحان ، فيها حوض مستدير ينصب اليه
الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من
الوافر] :

سلام أيها الملكُ اليماني لقد غلبَ البعادُ على التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيداه الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً
وأتبعته أبياتاً وهي [من الكامل] :

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمعٍ ساجمٍ
هلا أقمت ولو على جمر الغضا قلبت أو حدّ الحسام الصارم^(٢)

وتبعتهما جارية ابن مقلّة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت
بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا من له رتبٌ مم كنّة القواعد في الفؤاد

(١) فطمنتني : من الفطام ، وهو منع الطفل عن الرضاع .

(٢) الغضا : شجرٌ خطبه شديد التوهج .

أَيْحَلَّ أَخَذَ الْمَاءَ مِنْ مَتَلَهَبِ الْأَحْشَاءِ صَادِي^(١)

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب - واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر
عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، وافتقت في أثناء ذلك مذكرات ،
ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا .

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبنا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى
دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ،
وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن
يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن
عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدي صورتها ، ولولا
حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لسافي الريح بانه عرعا	وزرت لصافي الراح حانة عكبنا ^(٢)
وقلت لعلج يعبد الخمر زفها	مشعشة قد شاهدت عصر قيصرنا ^(٣)
فناولكنها لو تفرق نورها	على الدهر نال الليل منها تحيرا
وأوسعني آسا وورداً ونرجساً	وأحضرني ناياً وطبلاً ومزهرنا
هنالك أعطيت البطالة حقها	وألقيت هتك السترمجداً ومفخرنا
كأني الصبا جرياً إلى حومة الصبا	أناغي صبياً من جلندا مزترنا ^(٤)
فعانقته والراح قد عقرت بنا	فكررت تقبيلاً وقد أقبل الكرى

(١) الصادي : الظامي .

(٢) الريح السافية : أي التي تهب فتسف الرمال .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) الصبا : الريح الباردة . والجلندا : الفاجر والعاجز ، أو هي إسم بلدة .

وصدَّ عن المعنى النعاس وصادني إلى أن تصدَّى الصبح يلمع مسفراً
وهبَّت شمالُ نظمتُ شمل بغيتي فطارت بها عني الشمول تطيراً
فكان الذي لولا الحياء أذعته ولا خير في عيش الفتى إن تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظره له على
دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما ،
وهما [من المجث] :

لئن عرفت جريراً أو اعتمدت قطيعا
فلا ظفرت بعاصٍ ولا أطعت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجريرة جريرة وبالقطيع قطيعة
وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعاني ، وقاد دابة
نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى
مصبتها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب
مع خدمه : أبي الكأس ؛ وسلاف ، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس
وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة
وقعدت فغننى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكمٍ نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمي لم ينم ليلي ولم أنمِ
غنني من شعر ذي حكمٍ يا شقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسرهِ ، وقام كل منا يتعثر في سكرهِ .

* * *

ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب مبشراً	قلبي بأضعاف السرور
ففضضته فوجدته	ليلاً على صفحات نور ^(١)
مثل السوالف والحدو	د البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالغور	ر وكالعقود على النحور
أنزلته في القلب	منزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندي	فمتى للقاء يبدو الصباح
ذاك إن تم لي فقد عذب العيد	ش ونيل المنى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعة الوصل	بغرائب الأفضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا	أغناه ربّ المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد	ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فديته من وارد	فله قلبي من حياتي مورد
فرأيت درأ عقده منتظماً	في كل فصل منه فصل مفرد

* * *

(١) فضضت الكتاب : فتحته .

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

- فصل : رأيته فصيح الإشارة ، لطيف العبارة [من الطويل] :
إذا اختصر المعنى فشربة حائم وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمد^(١)
- فصل : قد نظرت فرأيت جسماً معتدلاً ، وفهماً مشتعلًا [من المتقارب] :
ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
- فصل : قد عمهم بنعمه ، وغمرهم بشيمه [من الكامل] :
وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله^(٢)
- فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :
وكان فطنته شهابٌ ثاقبٌ وكان نقد الحدس منه يقينٌ
- فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :
وقصر يوم الصيف عندي وليلة الـ شتاء سرورٌ منه رفرف طائره
- فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيج عرينه [من المتقارب] :
ودارت عليه رحي وقعة تظل الحجارة فيها طحينا
- فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبت بهجرك [من الطويل] :
وإن لمست منه بعاد معاده وعصر جفاه الشرب أن يتعهدا
- فصل : قد ضيعه الجملة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :
وأصلاه حرّ جحيم الحديد يد تحت دخانٍ من القسطل^(٣)

(١) الخائم : الطالب المتعطش ، المحلق والإسهاب : الإطالة .

(٢) السوابغ : النعم والعطايا . والسابعة : الدرع .

(٣) أصلاه : أذاقه الحرّ ، وأصل النار : أوقدها . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه نزولٌ على حكم النوى والتودّع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهَمَّ يملك نفسه فأولى به ترك العلا والجسائم^(١)

فصل : وصلة متينة ، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ودٌّ دونها الرحم التي تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حيفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وفات مداواة التلافي فساده وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ذووه إلى جناب عدوه وتقطّعت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفي ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافي جميل جزائه وللناصح الهافي جميل التجاوز^(٢)

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبّره ملكٌ ماهرٌ بهضم القويّ وجبر الضعيفِ

(١) الجسائم : عظيم الأمور .

(٢) الهافي : المخطيء ، والتجاوز : العفو والصفح .

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فإنَّ عصير الثمار الثجير وإنَّ نفيَّ الحديد الخبث^(١)

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبيد الجور في حالة ويبذل الإنصاف في أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعيشة نضرة [من الكامل] :

وغدا ابن دأية عندهم كمهاً وابتزَّ سوق صياحه خرس^(٢)

فصل : عادل المكيال ، وازن المئقال [من الطويل] :

يجير على سلطانه حكم دينه ويبعد في حق البعيد أقاربه

فصل : فاتهم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تركوا المكيدة والكمين لجهرهم والنبل والأرماع للأسياف

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلبٍ شديدٍ لا يلين لخلّةٍ ولا يتلافاه الرقى والتلطّف^(٣)

فصل : أوحشت عني إبعاداً لك ، وانعطافاً عنك [من البسيط] :

وهل يباعد عذب الماء ذو غصصٍ أو ينشني عن لذيد الزاد منهوم^(٤)

* * *

(١) الثجير : الثفل ، والنفيّ : الرديء .

(٢) ابن دأية : الغراب ، والكمه : الأعمى .

(٣) الخلّة : الصداقة ، أو المرأة الخلية .

(٤) المنهوم : الجائع .

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر

وانخرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة ، ولا يدرك بالمجادلة ، له أنعام كثيرة الشهود ،
وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم في أي حتف تورط ، وأي شر تأبط ، محامد أقر
بها الراضي والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ،
حسن الأخذ والعطاء . يؤذي صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن
العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح في رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر
له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظاً ، ويتميز حقداً ، ويتلظى غضباً ،
ويزيد حنقاً . قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ،
واستحللت حرام صده . من حنث في أيمانه ، وأخل بأمانته ، فإنما ينكث على
نفسه ، حلف يمين برشهد بها تصديقي ، واستيقنتها نفسي . قد ترامت به البلدان
والأسفار ، ونبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاعت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه
طافحاً بوجده ، ودمعه سافحاً على خده [لو سالمه الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه
الضر طلب سلمه]^(١) قد أمرته أن يجعل رأيك سراجيه ، ورسمك منهاجيه ، قد
شربت وشلا من وده ، ولبست سملاً من عهده . لأكشفنه لكل ليل بارد ، ونهار
واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه ، ثمل
من عناء [طرقي ثناء ما تتلقى شفتاي بذكرك ، ولا يثبت بالي لخطره]^(٢) لست غفلاً
عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ،
وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المطابق والموافق ، وتخفي نظر المسارق
والمنافق ، لو أن البرق فظنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاها حسبي ،

(١) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .

واستخرجه طلبى ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه ، أوليته من حمايتي عضداً . ومن عنايتي مدداً ، وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه ، مكن موضع رجلك قبل مشيك . وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب ، قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الهجس . في حكمه صارم فصل ، وفي يده خاتم عدل ، سديد المذاهب ، سعيد المناقب ، نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه إلى غرر . لا زلت في إقامة ممهدة الحشايا . وحركة وطيفة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خالياً ، واستدنى مجلسي مكرماً ، واستوفى مقالتي مصغياً ، وأعطاني معروفه مسمحاً ، ونزل على مسألتي مسهلاً ، وقضى حاجتي مجملاً ، وصرفني بالنجاح عجلاً . طيب المغرس ، زاكي المنبت ، نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيد الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفناء ظرف . وجدت فيه مصطنعاً ، وبه مستمتعاً ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومقد يمهد . أنا أتذم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد قراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره ، وجدت فيه مع علوسه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة ، التصرف أسنى وأعلى ، والتسيم أعفى وأصفى ، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه ، لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبيين عجز التدبير الأوحد ، إلا أن الاستلقاح - وهو أصل كل شيء - لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

* * *

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

مرّت فلم تثن طرفها تيهـا
تلك تجنّي التي جنت بها
يحسدها الغصن في تشيها^(١)
أعاذني الله من تجنيها

وقوله [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ لبست فيه التصابي
في محلّ يحلّه لذّة العيـ
وخلعت العذار والعذل عني
ش ويجني سروره من تجني

وقوله [من الخفيف] :

لي صديق في ودّه لي صدوق
يا تجنّي كتمت ثم بدا لي
كلّما سرت من فراقك ميلاً
فحياتي مصروفة في طريقـ
وبرعي الحقوق منّي حقيق
أنت ذاك الصديق لي والرفيق
مال من مهجتي إليك فريق
للمنايا عليّ فيها طروق

وقوله [من الخفيف] :

منيّة سابقت ورود البشير
يا عروساً زفّت إليّ فأهديـ
بالتملّي وبالرجا والسرور
قد لعمرى وفيت لي وسأجزيـ
وموافٍ أوفى على التقدير
ت إليها رقى مكان المهور
يا حياتي والمنزل المعمور
ك وفاءً بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل] :

لقد واظبت نفسي على الحبّ في الهوى
بإنسانة ترعى الهوى وتواظبـ

(١) تشيها : دلالها وتمثيلها .

صفا لي العيش والشيب شاملٌ كما كان يصفو والشباب مصاحب

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل وغيره

فمن ذلك قوله [من الوافر] :

أراني الله وجهك كلَّ يومٍ صباحاً للتيمن والسرور
وأمتع ناظري بصحيفتيه لأقرا الحسن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منى نفسي ويا حسد بي من حسنٍ وطيب
سابقني بالوصل موتي أو مشيبي ومغيبي
فهو للفتيان في الدن يا بمرصادٍ قريب

وله في غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعى الرحمن قوماً ملكوني رشا قصرٍ بلغت به المراد
وسمَّوه مع القربى غريباً كنور العين سمَّوه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعت فيه خماري بغزال كأنه مخمورٌ
ومصادٍ سرحت فيه ونصرٍ بازيازي مظفرٌ منصور^(١)
بصقورٍ مثل النجوم إذا انقضَّت وعصفٍ كأنهن صقور^(٢)

(١) بازيازي : نوعٌ من الطيور .

(٢) انقضَّت : هوت على فريستها والعصف .

وقوله [من الكامل] :

الورد بين مضمخٍ ومضرجٍ	والزهر بين مكللٍ ومتوجٍ
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا	نلتذُّ بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائقٍ	وبدت سطور الورد تلو بنفسج ^(١)
فكانَ يومك في غلالة فضةٍ	والنبت من ذهبٍ على فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يومٌ كأنَّ سماءه	شبه الحصان الأبرش
وكانَ زهرة روضه	فرشت بأحسن مفرش
فسماءه دكن الخزو	ز وأرضه خضر الوشي ^(٢)

كانه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

يومنا للنديم يوم سرورٍ	والتذاذٍ ونعمةٍ وابتهاجٍ
ذو سماء كأدكن الخزَّ قد غيـ	مت وأرض كأخضر الديباج

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالاً يبدو فيزداد شوقي	وهزاراً يرنو فيزداد عشقي
زعم الناس أن رُقك ملكي	كذب الناس أنت مالك رقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منى نفسي وإن كنت حتفها	ومعنای في سرِّي ومغزای في جهري
تصارمتِ الأجفان منذ صرمتني	فما تلتقي إلا على عبرة تجري

(١) البهار : الضوء والصباح .

(٢) الداكن : المائل الى السواد والخزوز : من الخزَّ، قماشٌ من الحرير .

وقوله [من السريع] :

يا شادنأ جدّد حبّي له من بعد حبّ سالف ساجي^(١)
بلحية قد أوصلت جمّةً مثل اتصال الطوق بالتاج^(٢)

وله في غلام ناقه من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حين بدا كخصنٍ مائلٍ
طلع الهلال لليلةٍ بضياءٍ بدرٍ كاملٍ

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحبّ والبين قد بدّ د دمعِي مواصلاً للشهيق :
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟ قلت : أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسليّ بارتكاضي في البعد والقرب والتلاقي^(٣)
ودفعيّ الهمّ بالأمانِي فارقت روحي مع الفراق

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتطّ وأنوي له تنقّص الداني على النائي^(٤)
حتى إذا أبصرته ذبت في يديه ذوب الملح في الماء

وقوله [من المنسرح] :

ولي حبيبٌ ألوذ فيه بأو صافرٍ وفحواه فوق ما أصفُ

(١) السالف : الماضي ، والساجي : الساكن .

(٢) الجمّة : الشعر الذي يعلو الرأس .

(٣) الارتكاض : السفر من مكان إلى مكان .

(٤) ينأى : يتباعد ، واشتطّ : ابتعد .

كالبدر يعلو والشمس تشرق والد غزال يعطو والغصن ينعطف^(١)

وقوله [من مجزوء الكامل] :

إن كنت أزمعت الرحيـل فإن عزمي في الرحيل
أو كنت قاطنة أقمـت وإن منعت لذيد سؤلي
كالنجم يصحب في المسير ولا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل] :

كالنجم إن سافرت كان مواكباً وإذا حططت الرحل كان جليسا

وقوله [من الكامل] :

عزمي وعزم عصابة ركّاضة موصولة الإلجام بالإسراج
كالنبل عامدة إلى أهدافها والطير قاصدة إلى الأبراج

وقوله [من الطويل] :

وذي حسد ولو حلّ بي ما يريده لأصبح مفجوعاً بفيض بناني
ولم أعطه جهلاً ولكن سحائي نعم ذوي الإخلاص والشنان^(٢)

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط] :

برّد مصيفك وافرشه بميثرة فإتني لمقام الخلّ أرتحل^(٣)
الذّاكري وإن أضحي ويعجبني أن تستريح وأن تكتنك الظّلل^(٤)

(١) يعطو : أي يتناول بفيه الى الشجر ويمدّ عنقه ليأكل منه .

(٢) الشنان : البغض .

(٣) الميثرة : شيء كالمدّعة يجعل على السّرج .

(٤) تكتنك : تسترك .

وقوله [من الطويل] :

أَوْفِّيْ كَلَا وَقْتِيْ قَسَطَ تَأْلُهُ وقسط هوى لا يستمر لمحرّم
ولذّة وجدي من لذّاذة مطربي أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطّـرح السّؤال عن الدّواء
العلم عندي كالغذاء ء فهل تعيش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسّطت إذا لم تترك وكففت القلب عن بعض الأرب
كان أرجى لك في العقبى من أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب^(١)

وقوله [من المتقارب] :

هب البعث لم يأتنا نذره وجماحة النار لم تضم
أليس بكافرٍ لذي فكرة حياء المسيء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسرّ بلذّة الدنيا ويظنّها خلقت لما يهوى
لا تكذبنّ فإنّها خلقت لينال زاهدها بها الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثتُ إلى ربّ البرايا رسالةً توصل لي منها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالإجابة وانجلت بها كربٌ ضاقت بهنّ الجوانح

* * *

(١) عجز هذا البيت من قول المهلب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

الباب الثالث

١١٥ - في ذكر أبي إسحاق الصابي ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني .

أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تنسّى الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البراعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولا بس خيره ، ومارس شره ، ورثس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحت مشتاقاً حليف صباية	برسائل الصابي أبي إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى	ذوب البراعة سلوة العشاق ^(١)
طوراً كما رقّ النسيم وتارة	يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو منبرز	كتبت بدائع على الأحداق

(١) الصوب : المطر ، والحجى : العقل والرأي .

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمني بدمعٍ ساجمٍ يهمني على حجب الفؤاد الواجم^(١)
لولا تعلّله بكأس مدامةٍ ورسائل الصابي وشعر كشاجم^(٢)

ويحكي أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام ، وأداروه بكل حيلة ، وتمنية جليلة ، حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم ، فلم يهده الله تعالى للإسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلمه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان ، وحلاها بآي من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول : إن أبا إسحاق الصابي ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتني لذتي رتب المعالي وضني بالمروءة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكي لخوف عقوبة وحذار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حلّ الأزار صريعاً بين سكرٍ أو خمار^(٣)

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغني أن الصابي حضر يوماً مأددة المهلب ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة

(١) يمني : يصاب ، والواجم : الحزين المطرق .

(٢) كشاجم : أحد الشعراء المشهورين عاش في بلاط سيف الدولة .

(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل و فراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلي : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه .

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً ، وأرخى بالاً منه في أيام استكمالهِ وزمن اِكتهاله ، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفي ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظّي إذ أراه مصالحي عصر الشباب ، وفي المشيب مغاضي
أمن الغواني كان ، حتى ملّني شيخاً وكان على صباي مصاحبي ؟
أمع التضعع ملّني متجنباً ومع الترعزع كان غير مجانبي
يا ليت صبوته إليّ تأخرتُ حتى تكون ذخيرةً لعواقبي^(١)

من قصيدة في فنّها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلي لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما توفي المهلي وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل في جملة عمال المهلي ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادمٍ أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم حسبي وطول تهدّي ووعيدي ؟
قلّدت ديوان الرسائل فانظروا : أعدلتُ في لفظي عن التسديد ؟
أعليّ رفع حسام ما أنشأته فأقيم فيه أدلتي وشهودي ؟

(١) الصبوة : طيش الشباب . والعواقب : خواتم الأمور .

أنسيتم كتباً شحنت فصولها
ورسائل نفذت إلى أطرافكم
يهتز سامعهن من طرب كما
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا
وموكلين بنا نذل لعزهم
والله ما سمع الأنام ولا رأوا
من كل حرٍّ ماجدٍ صنيديد
قصرت خطاه خلاخل من قيده
يمشي الهوينا ذلة لا عزة
فتفضلوا وتعطفوا وهبوا لنا
وتعلموا أن الولاية عندكم

بفصول درّ عندكم منضود؟
عبد الحميد بهنّ غير حميد
هزّ النديم سماعُ ضرب العود
بسلاسل وجوامع وقيود
فكأننا لهم عبيد عبيد
نقدأ توكل قبلهم بأسود
في كلّ وغد عاجزٍ رعديد^(١)
فتراه فيها كالفتاة الرود^(٢)
مشي النزيف الخائف المزود^(٣)
عفواً قديم حفاظٍ وحقود^(٤)
عارية ليست بذات خلود^(٥)

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصلاً في
جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن
دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت في صدره
حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نقمها
منه ، واحتقدتها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد

(١) الرعديد : الجبان .

(٢) الخلاخل : ما تضعه النساء في أرجلهن مفردة خلخال ، والفتاة الرود : أي الحسناء .

(٣) المزود : الخائف .

(٤) الحفيظة : ما يكنه المرء في نفسه من حقد وبغض .

(٥) الغارية : الدين والأمانة .

الكاتب ، قالوا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه
وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق . والمعالي السوامق
التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح
عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في
التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا
إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ،
وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم
ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه
على تقيظه وتشنيفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه
في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمل من
ذلك فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب
عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن ، وأثار
من سخطه الكامن ، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون
ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقلبونها بين يديه ،
ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، إلى أن أمر باستحيائه مع
القبض عليه وعلى أشياءه واستئصال أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين
إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره . وكان
الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وأبو
إسحاق يخدم حضرته بالمدح .

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ،

وهو :

ورد - أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا - أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو

محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكريمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن تحطوري بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكره لي مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائماً ، وقبلت الأرض ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدن ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، ما كنتفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداء ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التي هم محلثون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها .

وبلغني أن صاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدمه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً ، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلعة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصايي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه ، وأما الترجيح بين هذين الصديقين - أعني الصاحب والصايي - في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب في المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد . وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة في التهئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده ، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا بجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسموله همته طامحاً .

فصل من كتاب عن بختيار إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبي الفتح بن العميد ذي الكفایتين ، في الشفاعة له وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال ، واجتمع له إلى ذلك التقلب في نعمة حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح في تأثيلها ، ولا مسه النصب في تثيرها ، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها ، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبي تغلب ، في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمرى من ذوي الأرحام الشابكة ، والقربات الدانية ، من يتمادى في العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع ، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرتة بمن يعمل معه ، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، هذا في الاتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب ؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها في متضمناتها ، ويشفع لها في ملتمساتها ، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط . وأحيان الخلوة والانبطاق .

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب ، في ذكر فرس أهدها إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه . وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأمانى طلق شده ، وفتح الفتوح غاية شأوه . وسلامة العواقب مثنى عنانه .

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلية التي تصل زاييرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصياً له

ومدققاً فيه ومتوفراً عليه ، ومتوصلاً الى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولا مقتصرأ في الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمره هذه الصناعة هي مقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول إن ذلك يؤدي الى دفع مقدور نازل ، ولا معارضة محتوم حاصل ، ولكني أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه ، الذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك ، ممن لا يهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعروتين ، فيظن أن المراعي لأحدهما مخل بالآخر ، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه ، أو ناقص اليقين في دينه . وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخير ، إذ للنفس راحة في تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة في أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخطاب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزومه أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والذي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما

افترض على من طاعتها اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيثة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله . وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعها لي في منازل المصونة ، بعثني البواعث وحفزني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجنف الواقى لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أمني ، فعلت إن شاء الله .

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلزم به من ذلك ملمس ويظف به طائف ، فيحيلانه عن رشد ، ويحولان بينه وبين سداه .

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرص أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعثها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناص إليه ، والمسلم عليه .

فصل عن بختيار إلى عضد الدولة في التأليف

وإن من أعظم محن^(١) هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله ، وأن تؤتى مراسي أوتاده من ذوائب عروشه^(٢) . وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسري إليهم أراقم المناقشة . وتنبث الدواهي فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، في الشكوى والاستماعة

ولما صارت صروف الدهر تنوء على بعد التطريف ، وتجحف بي بعد التحيف . وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة ، وأعظماً مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية . جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل . وكان سيدي أولها إذا عددت ، وأولها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه ، إشفافاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقة انه يحقن مياه الوجوه ويحميها ، ويجمها^(٣) ولا يقذيها .

فصل في مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفر ، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها ، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرني الى تجشم ما كنت أجمه من نداء ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة ، وتضايق الخطة .

(١) المحن : المصائب .

(٢) الذوائب : خصل الشعر في أعلى الجبين .

(٣) ويجمها : يحفظها ويجمعها ، والقذى : ما يسقط في العين من وسخ وغيره .

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهي كالسهم التي لا تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمهمون عن الاستمتاع بنضرتها . ويكونون كمن أطار طائرهما لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها ، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل .

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك .

فصل له إليه أيضاً

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الأرقاء العبيد ، إلى مراتب الأحرار الصيد .

فصل إليه أيضاً

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة ، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار .

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانة ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة^(١) ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا^(٢) ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا^(٣) . وهو في نشوزه^(٤) عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة .

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعه بعد الأقول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته . ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه .

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ،

وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ، ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناضلة عضد الدولة من أن أصيب الغرض منه ، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي ، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض لحمي بنايي .

(١) الزمانة : المرض .

(٢) المطاول : من التناول على مقامنا .

(٣) المنابذة : مفاخرتنا ومباهاتنا .

(٤) النشوز : التفور .

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم ينف عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده ، ولم يخصص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده ، بل يدب دبيب النار في الهشيم ، ويسري كما يسري النمل^(١) في الأديم ، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الجرب ، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أخرجها وأضيقها . وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها ، والأظفار إلى برائنها . والنصال إلى أجفانها ، والسهام إلى كنانها .

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمر المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاء المجتهدين ، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم ، إذ كان لا بد للأسلاف أن تمضي ، وللأخلاف أن تنمو ، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً ، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشماً ، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر ، واستحلى

(١) النمل : الفساد في الدباغ والأديم : الجلد .

الثمر ، وتعهد بالعرف من طاب عنه الخبر ، وحسن منه الأثر .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة . متشوقة عاطية . مستبقة جارية . تشتااق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح موللة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذنان ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال ، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً^(١) . وتتضاعف إذا شبت كلباً ونهماً فيينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جمامه^(٢) ، طامية أرجاؤه ييوح بأسراره صفائه ، ويلوح في قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائب عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمياً ولم نر إلا مذكياً^(٣) ، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصل منها

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الأرام^(٤) ، نستقري ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة في أكلائها ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من

(١) الشَّرْه : حب الطعام . والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : المتلذذ والمجتمع .

(٣) مَسْمِياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ومذكياً : أي مكبراً على الذبح .

(٤) - الأرام : الغزلان .

العقارب ، وأنزل من الجنادب ، خمص الخصور قب البطون^(١) ، رقص
المتون ، حمر الأماق ، خزر الأحداق ، هرت الأشداق^(٢) ، عراض الجباه ،
غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبرٍ أطلقنا عليه بازياً فخرج إلى السماء عروجاً ، ولجج في أثره
تلجيجاً ، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى
غابا عن النظر ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب المرجم ، والظن
المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا
منظرهما .

فصل من رسالة في وصف الرمي عن قسي البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر
استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاهها بأن
تعدده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً ، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة
ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقافي استجماله ،
واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ،
وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو راض الأبدان ، وجامع شمل
الإخوان ، وداع الى اتصال العشرة منهم والصحة ، وموجب لاستحكام الألفة
بينهم والمحبة .

(١) قبّ البطون : ضامروها .

(٢) هرت الأشداق : أي فاتكة .

فصل إلى بعض الوزراء في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآتسه بدواة تداوي مرض عفاته ،
وتدوي قلوب عدااته ، على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتب أطل الله بقاء الصاحب هذا الكتاب ، وأنا أود أن سواد عيني مداده ،
وبياضها طرسه ، شوقاً إلا للألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظماً إلى ارتشاف
بساطه .

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحمده ، على ما أهلني له من بره
ورفده ، وجهدي يقصر عن عفوه ، وإسهابي يعجز عن وصفه . وهل أنا في ذلك لو
فعلته إلا كمن جرى الحصان بالأتان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام
بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورد دمعِي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلتُ جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي شوقاً إلى من لجّ في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوة يكي دماً وتشاكل اللونان

فكأنّ ما في الجفن من كأسٍ جرى وكأن ما في الكأس من أجفاني

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يا من هواه كلّ يومٍ يروني منه خطبٌ
مرُّ ما مرَّ بي من أجلك حلّوً وعذابي في مثل حبّك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيقُّ صدري لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوام حجة عشقي وأبان العذار في الحب عذري

وقوله [من الكامل] :

حذّرت قلبي أن يعود إلى الهوى لما تبدّل بالنزاع نزوعاً
فأجانبني لا تخش مني بعدما أفلتُ من شرك الغرام وقوعاً
حتى إذا داعٍ دعاه إلى الهوى أصغى إليه سامعاً ومطيعاً
كذبالةٍ أحمدها فكما دنا منها الضّرام تعلّقته سريعاً^(١)

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكتّني ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاء وبالندورِ
وقالوا للطبيب أشرف فإنّا نعدّك للمهمّ من الأمورِ
فقال شفائه الرّمان ممّا تضمنه حشاه من السّعيرِ
فقلت لهم أصاب بغير عمدٍ ولكنّ ذاك رمان الصدورِ

(١) الذبالة : الفتيلة .

وقوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى
إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا
كأنّي وقد قبلتها بعد هجعة
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي
فإن قيل لي اختر أيّما شئت منهما
فإنّي إلى النفس الجديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتها بالعتب عند لقائها
واستكملت صفة البدور بطلعة
فبهت أنظر من لجين جبينها
فتلثمت من شدة استحيائها
وبحلة صبغت بلون سمائها
متخفراً في لازورد ردائها

وقوله [من المبحر] :

هيفاء تحكي قضيباً
تفتر عن سمط درّ
جرّدتها واعتقنا
باتت وكلّ مصون
في ليلة لم يعها
قد جمّشته الرياح^(١)
عليه مسك وراح
كلّ لكلّ وشاح
لي من حماها مباح
في الدهر إلّا الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفاء كالغصن في رشاقتها
تبخترت والعثان يكتفها
لفاء كاللدّعص في كثافته^(٢)
فكانت البدر وسط هالته^(٣)

(١) الهجعة : الرقاد ، ويلمع : يضطرم .

(٢) جمّشته : داعبته .

(٣) لفاء : مكتنزة ، واللدّعص : الكتيب من الرمل .

(٤) العثان : الطيب والبخور ، أو الدخان ويكتفها : يحيط بها المتصاعد من النار .

وقوله [من الطويل] :

أقول وقد جرّدتها من ثيابها
لئن آلمت صدري لشدة ضمها
وعانقتها كالبدْر في ليلة التّم
لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي^(١)

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسباً
خفنا عليك إذا ظلما وعدوانا
وأنت أحسن ما نلّك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانة
كانت ثيابك عورةً
فرايت كل الحسن منها
فسترت بالتجريد عنها

وقوله [من السريع] :

يا قمرأ كالخشف في نظرته
خلتك صيداً صار في قبضتي
وكالقضب اللدن في خطرتة^(٢)
فصرت من صيدي في قبضته
فديت من لاحظني طرفها
من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجا تائهاً
وغازها ذلك من شيمته
أزاحت البرقع عن وجهها
فردت البدر إلى قيمته

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس ليلة الأحد
قبلت منه فماً مجاجته
وبالدّر ضيفي وأمره بيدي
كان مجرى سواكه برّد^(٣)
تجمع بين المدام والشهد
وريقه ذوب ذلك البرد^(٣)

(١) جبرت قلبي : واسته .

(٢) خطرتة : مشيته ، واللدن الطري والخشف : ولد الغزال .

(٣) السواك : عود طيب الرائحة تخلل به الأسنان .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشي في عناقك ووفاتي في فراقك
أنت لي بدرُ فلا عشت إلى يوم محاقك^(١)
فاسقني الصهباء صرفاً أو بمزجٍ من رياقك
لا أريد الماء إلاً عند غسلي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

كلّ الورى من مسلمٍ ومعاهد	للدين منه فيك أعدل شاهد ^(٢)
فاذا رآك المسلمون تيقنوا	حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظبيةً	تعطو بيدٍ فوق غصن مائدٍ
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا	بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً	قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أبانه	لكليمه موسى النبى العابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه	مسودّ فرعٍ كالظلام الراكد ^(٣)
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا	حججٌ أعدوها لكل معاند
أصبحت شمسهم فكم لك فيهمُ	من راعٍ عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنّك مفردُ	في الحسن إقراراً لفرده ماجد
كالزهرة الزهراء أنت لديهمُ	مسعودٌ بالمشتري وعطارد
فعلى يدك جميعهم مستبصرُ	في الدين من غاوى السبيل وراشد
أصلحتهم وفتنتني وتركنتني	من بينهم أسعى بدينٍ فاسد

* * *

(١) المحاق : عدم ظهور القمر ، مغيبه .

(٢) المعاهد : أهل الذمة .

(٣) الفرع : الشعر الأسود .

ما أخرج من شعره في الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحاً طالعاً والديك صاحاً
فاسقنيها قهوة تأسو من الهمّ جراحاً
ذات نشر كنسيم الـرـوض غبّ القطر فاحاً
يا غلامي ما أرى فيـها ولا فيك جناحاً
حرم الماء وأبعد هـ وإن كان مباحاً
أقراح أنا حتى أشرب الماء القراحاً

وقوله في نبذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة ، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسي مقبلاً يهدي فنونا إلى الشرب الكرام بحسن قدّة
وفي يده من التمريّ كأسٌ كسوداء العروس أمام خدّه^(١)
وقوله [من المنسرح] :

صفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبّال يأتلق^(٢)
كأنّ في كفّ من أتاك بها ضحى نهارٍ في وسطه شفق
وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاقي هموميّ في جحفلٍ لها من مقاميّ فيه قرارُ

(١) التمريّ : شراب التمر .

(٢) اليقق : الأبيض .

دبادبة من طوال القيا
ومجلسنا حومة أرهجت
كان فكاهاتهم إذ علت
كان الكؤوس بأيدي السقا
كان مناديل أكتافهم
كان رجوم تحاياهم
كان المجامر خيل جرت
كان السكارى رجال الوغى
وقد جدلتهم جروح بهم
كان تسكائبها في الزجاج
فيا لك من ماقط لي به
ولما برزت إلى الهم فيه
جرى الضرب مختلفاً بيننا

ن والناي بوق له مستعار^(١)
لرحف الندامى إليها بدار
غماغم للحرب فيها شعار^(٢)
سيوف لها بالدماء احمرار
حمائلها إذ عليهم تدار
سهام على الجيش منها نثار
وقد ثار للند منها غبار^(٣)
وقد عقرتهم هناك العقار^(٤)
وجرح المدامة فيها جبار
حريق له من حباب شرار
بلاء وقول إليه يشار^(٥)
ولى بالسرور عليه اقتدار
فمات وعشت وقد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء راوحتني من الرا
خندريس إذا المزاج علاها
تترك البال ناعماً وأخا الشجـو خـلياً وطائر اللهو سغدا
عبقنتي بكأسها ذات دل دل قلبي إلى الهوى فتعدى

(١) دبادبة : كثير الصباح والضجيج .

(٢) الغماغم : أصوات . والشعار : العلامة أو العبارة التي يتعارف بها القوم في الحرب .

(٣) المجامر : أوعية النار التي يوضع فيها الطيب لتفوح رائحته عند الاحتراق .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) الماقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب .

(٦) الخندريس : الخمر .

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب
والفستق للنقل والمطرب الممتع ، فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانع رءوسا	يسقط في طيها الخلاف
مبيضة كاللجين لونا	شهية كلها نظاف
وأخذها في الرقاق يحكي	صريع حمى له لحاف ^(١)
من بين عجل إلى خروف	تزهى بتنزيدها الصّحاف
مختلفات القدود لكن	لها بأسنانها اثلاف
وكلها راضع صغير	له على ضرعها اعتكاف ^(٢)
قد أسمتهن أمهات	من طول إرضاعها عجاف ^(٣)
نسقي على ذاك روح دن	أرق أسمائها السلاف
عروس دن صفت وطابت	لونا وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا	ناكس رأس به رعاف ^(٤)
والنقل من فستق جني	رطب حديث به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف	ألفاظه عذبة خفاف
زمرد زانه حرير	في حق عاج له غلاف ^(٥)
ومسمع مطرب مليح	يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحياً ولكن	في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليل	أفديك من كل ما يخاف

(١) الرقاق : الخبز .

(٢) الضرع : الثدي في الحيوان اللبون واعتكاف : إقامة .

(٣) عجاف : هزيلة .

(٤) الناكس : المحني ، والرعاف : النزيف .

(٥) الحق : وعاء الطيب .

فأنت أصل السرور عندي وكلّ ما بعده مضاف

* * *

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله في الورد [من الوافر] :

وزائرة لنا في كلّ حولٍ لها حظّان من حسنٍ وطيبٍ
تنال النفس حين تشمّ منها منال العين من وجه الحبيب
كأنّ زمانها نعتاض فيه إذا طلعت شباباً من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الورد قد حيّك زائره بنفحةٍ فرّجت عن كلّ مصدور^(١)
كأن أنفاسه أنفاس غانيةٍ معشوقةٍ خالطت أنفاس مخمور
تفتّحت وجناتٍ في جوانبه كأنما انتزعت من أوجه الحور

وقال في النرجس [من الخفيف] :

ربّ يومٍ نقعت فيه غليلي وهمومي بين الضّلوع كمون^(٢)
بوجوه مملوءة بعيونٍ وعيونٍ تخشى عليها العيون
تلك من نرجسٍ نضيرٍ وهذي من غوانٍ وجدي بهنّ جنون

وقال في وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كافورةٌ جعلتها لأسود العين غرضُ
حتّى وددت أنّها من أبيض العين عوضُ

(١) المصدور : مريض الصدر .

(٢) نقعت غليلي : برّدت ظمئي وكمون : كامنة ومستترة .

وقال فيها [من الطويل] :

وشمامة كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدري عند انقضاضه
يودّ سواد العين من شغفٍ بها لو اعتاضها مستبدلاً من بياضه

وقال في النافجة [من مجزوء الكامل] :

وشميمة من نسل بطــــن لم تكن من ظهرفحل^(١)
أهدت إليك جنيها من غير تطريقٍ بحمل
بل باقتناص حبايلٍ بثت لها وبرشق نبل
فغدت بضاعة تاجرٍ لا تشتري إلاّ يبذل
فيها لنفسٍ قوتها لكن بشم لا بأكل
حلّت محلاً لا ترى إلاّ لذي الخطر الأجل

وقال في عتيدة الطيب^(٢) [من الكامل] :

وعتيدو للطيب إن تستدعها تبعث إليك أمامها بشيرها
يلقاك قبل عيانها أرج لها فكأنّه مستأذنٌ لحضورها
نفحاتها لم تدر من كافورها تأتيك أم من مسكها وعبيرها
مزجت ببعضٍ بعضها فتوحّدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لا عيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سرّ ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها^(٣)
إذا روّحت عن نفسها بخروجها فللنفس مني راحة في ولوجها^(٤)

(١) المشيمة : وعاء الجنين في بطن أمه .

(٢) العتيدة : الحفّة يكون فيها الطيب .

(٣) الفروج : الفنتحات .

(٤) الولوج : الدخول .

وقال فيها [من الطويل] :

ومحرورة الأحشاء تحسب أنها
نناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها
إذا استودعت سراً من الطيب مجملأً
وإن حاولت إخفاءه في ضميرها
يحرق فيها العود عوداً وبدأةً
فتأخذه جسماً وتبعثه روحاً

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

ومجلس سماءه	من النجوم عائمة
في جوه سحابة	لها الأنوف شائمة ^(٣)
تتابه مدخنة	لحاصريه خادمه
داخلها مجمرة	مثل القطاة الجائمة
كأنها طارمة	فيها فتاة نائمة ^(٤)
تهدي لنا روائحا	من الجنان قادمة
لنا عليها خلع	من الذبول دائمه
لكنها عاربة	تخرج منها راغسه

وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها [من مخلع البسيط] :

جمعت من حليتي وعرفي
أدخل في الذيل من محب
فكم ترددت بين هذا
وما بين حسن وبين طيب
طوراً وفي الكم من حبيب
وذا برغم من الرقيب

(١) التبريح : الألم واللوعة .

(٢) العرف : الرائحة .

(٣) شائمة : متطلعة .

(٤) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

وقال في الغالية [من خلغ البسيط] :

غالية تنتمي لحام قد استعارت لباس قار^(١)
في قدح ينتمي لسام من سنة البدر مستعار
جامع ما بين ذا وهذا قد أولج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غالية صرح عطّارها في عجنها عن خالص النية
تُعزى إلى تيت من مسكها وهي من العنبر شحريه
منشورة الطيب على أنها في قدح البلور مطويه
كانها فيه وقد حازها رومية حبلى بزنجيه

وقال في غلام له أسود شهر برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشد وقد أحبته رشدي ، ولم أحفل بمن قد ينكر
يا لاثمي أعلّ السواد تلومني من لونه وبه عليك المفخر
دع لي السواد وخذ بياضك إنني أدري بما آتي وما أتخير
مثوي البصيرة في الفؤاد سواده والعين بالسود منها تبصر
والدين أنت مناظر فيه بدا وكذاك في الدنيا بهذي تنظر
بسواد ذينك تستضيء ولو هما أبـيضاً تغشاك الظلام الأكر
فغدا بياضك وهو ليل دامس وغدا سوادي وهو فجر أنور

وقال فيه [من الكامل] :

قد قال رشد وهو أسود للذي بياضه استعلى علو مباين
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن

(١) الغالية : أخلاط من الطيب وحام : أبو السود « الإنسان الأسود » وسام : أبو البيض « الإنسان الأبيض » .

ولو آن متي فيه خالاً زانه ولو آن منه في خالاً شاقني^(١)
وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجه كأن يملك خطته بلفظ تملّه آمالي
فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسناً إنما يلبسن السواد الموالي^(٢)
فبمالي أفديك إن لم تكن لي وبروحي أفديك إن كنت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلة من محاق الشهر مدجنة كلفت نفسي بها الإدلاج ممطياً
إلى حبيب له في القلب منزلة ولا دليل سوى هيفاء مخطفة
غصن من الذهب الإبريز أثمر في تأتيك ليلاً كما يأتي المريب فإن
لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر عزماء هو الصارم الصمصامة الذكر
ما حلها قبله سمع ولا بصر تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
أعلاه ياقوتة صفراء تستعر لاح الصباح طواها دونك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج البغاء^(٣) [من الرجز] :

أنعت طارونية الثياب لابسة خزاً على الإهاب^(٤)
تصبغت تصبغ التصابي وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب مكحولة العينين كالكعب^(٥)
مغموسة الحاجب بالخضاب منقارها أحمر كالعناب
كأنما تسقى دم الرقاب محذورة محمية الجنب

(١) الخال : قرص صغير يظهر في الوجه ، وشاقني : أتعبني .

(٢) يشنك : يبك .

(٣) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل .

(٤) الطارونية : النسوبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز .

(٥) الكعب : الجارية الناهدة .

لها على الأرجل والأعقاب
أففاصها كمحبس الحجاب
تسمعنا منها وراء الباب
كأنما تقرأ من كتاب
قهقهة الإيريق بالشراب
أهلاً بصياد لها جلاب
ربيعة الجبال والهضاب
لم تدر ما بادية الأعراب
دونك يا ذا المفخر اللباب
باكورة من ثمر الألباب
هدية الأتراب للأتراب
هل خلصت من هجنة وعاب
أم خلطها أشبه بالصواب

وقال في الخطاطيف [من الطويل] :

وهندية الأوطان زنجية الخلق
كان بها حزناً وقد لبست له
إذا صرصرت صرّت بأخر صوتها
تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها

وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه [من البسيط] :
وليلة لم أذق من حرّها وسناً كأن من جوها النيران تشتعل

(١) مكروزة : مخفية .

(٢) تحابي : تعدو الحق في قولك .

(٣) العلق : الدم .

(٤) صرصرت : صوتت . والوتر الحرق : الوتر الذي يخرج صوتاً حزيناً .

أحاط بي عسكرٌ للبقّ ذو لجبٍ ما فيه إلاّ شجاع فاتكُ بطلٌ^(١)
من كلّ سائلةٍ الخرطوم طاعنةٍ لا تحجب السّجف مسراها ولا الكلل^(٢)
طافوا علينا وحرّ الصيف يطبخنا حتى إذا طبخت أجسامنا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليها في صباه ليستوفي مالاّ على ضامنّها ، من ذلك قوله [من
الخفيف] :

ليس يغنيك في الطهارة بالبصر رة إن حانت الصلاة اجتهادُ
إن تطهّرت فالمياه سلاح أو تيمّمت فالصعيد سماء

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسي على المقام ببغدا د وشربي من ماء كوز بثلج
نحن بالبصرة الدميمة نسقي شرّ سقيا من مائها الأترجيّ
أصفر منكر ثقیلٌ غليظُ خائرٌ مثل حقنة القولنج^(٣)
كيف نرضى بشربه وبخير منه في كنف أرضنا نستنجي^(٤)

وقال في قصر روح بها [من الكامل] :

أحبّ إليّ بقصر روح منزلا شهدت بنيته بفضل الباني
سور علا وتمنعت شرفاته وكأن إحداهن هضّب أبان

(١) اللجب : الكثرة .

(٢) السجف : السائر . والكلل : التعب .

(٣) الخائر : التجمّد . والقولنج : مرض يصيب البطن مؤلم يصعب معه خروج النفل .

(٤) نستنجي : نطلب النجاة .

وكأنما يشكو إلى زوّاره بين الخليط وفرقة الجيران^(١)
وكأنما يبدو لهم من نفسه إطراق محزون الحشى حرّان
وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :
توليت عن أرض البصيرة راحلاً وأفئدة الفتیان حشو حقائب
منازل تقري ضيفها كلّ ليلةٍ بأمثال غزلان الصّريم الربائب^(٢)
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً لعاشقةٍ حرّى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلّا صنائعي ولا تستر الجدران إلّا حباثي

* * *

ما أخرج من شعره في والدته وأولاده

قال [من الخفيف] :

أسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس أجنبيٌّ غريب
وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط] :

أرضى علىّ أبني إذا ما عقني حذراً عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحقت من ولدي إقضاء عيني وقد أقررت عين أبي ؟
وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده

[من الطويل] :

وما أنا إلا دوحَةٌ قد غرستها وسقيتها حتى تراخى بها المدى
فلما أقشعرّ الجلد منها وصوّحتُ أتتكَ بأغصان لها تطلب الندى^(٣)

(١) الخليط : المخالط والمقيم معاً في مكان واحد .

(٢) الصريم : القطعة العظيمة من الرمل والربائب : الحاضنة .

(٣) صوّحت : جفت ويست والندى : الكرم ، أو الطلّ .

وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليك آبني وبالله إنه لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله وهل هو إلا كالمحرر في الكتب
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف من المحور الإصلاح والحلك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومي [من البسيط] :

فقال لا تلحيناً في تفاوتنا فإنا كتب أبأؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذي يرضك مرأى ومخبراً ويمضي مضاء السهم والصَّارم العضب
وشتان بين العود أيبس وانحنى وبين النبات الغض والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي يراد من العبد المناصح للرب
وجردّه من غمدِ التقبُّض باسطاً وجربّه فالتجريب عن رشده يني^(١)

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعراً ناشئاً [من المنسرح] :

أبو علي محسنٌ كبدي وقد نشأ من فتاه لي خلب^(٢)
كان هذا وذاك إذ نبا منّي سوادٌ يضمّه قلب
لا زلت ألقى الخطوب دونهما حتّى كأني عليهما حجب

وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء جل ما حلّ بي عن البيضاء
يؤلم القلب كلّ فقدٍ ولا مثـل افتقاد الآباء للأبناء

(١) يني : يخبر .

(٢) الخلب : استالة القلب .

هدّ ركني مشوى سنان وقد كا ن يهدّ الأركان من أعدائي
 عكست فيك دعوتي إذ أفديك برغمي فصرت أنت فدائي
 إنما كنت فلذة من فؤادي خطفتها المنون من أحشائي
 كنت منّي وكنت منك اتفاقاً والتثاماً مثل العصا واللحاء^(١)
 كنت في اليتيم في أجمل منّي فيك للشكل في أوان فنائي
 ولئن كان في أخيك وأولا دكما ما يغضُّ من برحائي
 فلعموي لربما هيجوا الشو ق فزادوا في لوعتي وبكائي

ألم فيه بقول ابن الرومي ، ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنّي - وإن متعت بابني بعده - لذاكره ما حنّت النّيب في نجد^(٢)
 وأولادنا مثل الجوارح أيما فقدناه كان الفاجع البينَ فقد
 لكل مكان لا يسدّ اختلاله مكان أخيه من جزوعٍ ومن جلدٍ
 هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

وكتب إليه ولده أبو علي المحسن يسليه في إحدى نكباته [من البسيط] :

لا تأس للمال إن غالثته غائلةٌ ففي حياتك من فقد اللّهي عوض^(٤)
 إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت يداك من تالٍ أو طارفٍ عرض^(٥)

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يادرة أناس من دون الردى صدف لها أقيها المنايا حين تعترض^(٦)

(١) اللحاء : القشرة .

(٢) البرحاء : الألم .

(٣) النّيب : النّوق الهرمة .

(٤) اللّهي : العطايا والأموال .

(٥) التالذ : المال القديم الموروث والطارف : المال الحديث المكتسب .

قد قلت للدهر قولاً كان مصدره
دع المحسن يحيا فهو جوهرة
فالنفس لي عوض عما أصيب به
اتركه لي وأخاه ثم خذ سَلْبِي
عن نية لم يشب إخلاصها مرض^(١)
جواهر الأرض طراً عندها عرض^(٢)
وإن أصبت بنفسي فهو لي عوض
ومهجتي فهما مغزاي والغرض

ما أخرج من شعره في الفخر

قال [من السريع] :

أسر جودي أنني كلما
ندمت في صحوي على كل ما
أسرفت في السكر ولا أدري
أبقيت من مالي في سكري

وقال في صباه [من المتقارب] :

لقد علمت خيل هذي الخيام
بأنني شفاء صدور الجميع
أسر القرينة ليل العناق
فبطن الحصان وظهر الحصان
ونسوانها القاصرات الغواني
وأكرم من ضمّه الخافقان
وأفتك بالقرن يوم الطعان^(٣)
علي بما قلته يشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وقد علم السلطان أني لسانه
أوازره فيما عرى وأمدّه
يجدد بي نهج الهدى وهو دارس
وكاتبه الكافي السديد الموفّق
برأي يريه الشمس والليل أغسق^(٤)
ويفتح بي باب النهى وهو مغلق

(١) لم يشب : لم يمازج أو يخالط .

(٢) عرض : لا قيمة لها بوجوده .

(٣) القرينة : الزوجة ، وهو يعني أنّه تام الفحولة . والقرن : البطل الذي ينزله .

(٤) أوازره : أساعده ، وعرى : ألمّ وحدث .

فيمنايَ يمناه ولفظيَ لفظه
ولي فقرُ تضحى الملوك فقيرة
أردُ بها رأس الجموح فيثني
فإن حاولتُ لطفاً فمأء مروقٍ
يسلم لي قسٌ وسحبان وائلٍ
فيغضي لشري خاطب وهو مصفّع
معال لو الأعشى رآهن لم يقلُ
وعيني له عينُ بها الدهرُ يرمق
إليها لدى أحداثها حين تطرق
وأجعلها سوط الحرون فيعنى^(١)
وإن حاولتُ عنفاً فنار تألق
ويرضى جريرٌ مذهبي والفرزدق^(٢)
ويعنو لنظمي شاعرٌ وهو مفلّق^(٣)
«وبات على النار الندى والمخلق»

وله من قصيدة قالها في الحبس [من الطويل] :

يعيرني بالحبس من لو يحله
وربّ طليقٍ أطلق الذلّ رقه
وإنني لقرن الدهر يوماً تنوبني
ومن مد نحو النجم كيما يناله
ولا بدّ للساعي إلى نيل غاية
وإنني وإن أودتُ بمالي نكبة
فما كنت كالقسطار يشري بكيسه
ولكن كليث الغاب إن رام ثروةً
بيت خميصاً طاويا ثم يغتدى
حلولي لطالت واشمخرتُ مراكبه^(٤)
ومعتقل عانٍ وقد عزّ جانبه^(٥)
سطاه ويوماً تنجلي بي نوائبه
يداً كيدي لاقتّه أيدٍ تجاذبه
من المجد من ساع تدبُّ عقاربه
نظيريَ فيها كل قرم أناسه
ويملق إن أنحى على الكيس سالبه^(٦)
حوثها له انيابُه ومخالبه
مباحاً له من كل طعم أطايه^(٧)

(١) الجموح : الشارد ، والحرون : المعاندة، فيعنى : يمشي ، وعنقه : ضربه .

(٢) أساء الخطباء وشعراء مشهورين .

(٣) يغضي : يطرق ، ومصفع : مبرّز ، ومفلّق : علق ومبدع .

(٤) اشمخرتُ : اشتدّت وارتفعت .

(٥) العاني : الأسير .

(٦) القسطار : متقد الدراهم ، والعارف بتمييز الجيد والردئ منها ويملق : يفتقر .

(٧) الخميص الطاوي : الجائع .

بها يدرك الربح الذي هو طالبه
بها إن تخطّته إليه مصائبه
فلا عار في الغضب الذي هو غاضبه
وفي فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
قتيل يدي فضلي فمفنيه جالبه
غنى قلما يشكو الخصاصة صاحبه^(١)

كذلك مثلي نفسه رأس ماله
وللمال آفات يهنأ ربه
ومن يكن السلطان فيه خصيمه
وما ضرني إن غاض ما ملكت يدي
إذا كان مالي من طريف وتاليد
ولي بين أقلامي ولُبي ومنطقي

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلب الوزير [من الكامل] :

قد أعجزت كلّ الورى أوصافه
ويسوغ في أذن الأديب سلافه
وكانما آذانا أصدافه

قل للوزير أبي محمد الذي
لك في المحافل منطق يشفي الجوى
فكأنّ لفظك لؤلؤ متخلّ

وقال فيه من قصيدة [من الطويل] :

يدّ لك لا تسودّ إلا من النّفس^(٢)
تطرّز بالظلماء أودية الشمس^(٣)

وكم من يدر بيضاء حازت جمالها
إذا رقت بيض الصحائف خللتها

وله من قصيد فيه [من الخفيف] :

ت رئيساً مذ عدني في العبيد
ملك ركننا لعزّه الموطود

وتعلّقت بالرئيس الذي صر
والوزير الذي غدا وزراء الـ

(١) الخصاصة : الفقر .

(٢) النفس : الخبر .

(٣) رقت : زينت وكتبت .

أريحني مهلبي سعيد ال
وإذا استنطق الأنامل جادت
في سطور كأتما نشرت يم
فقر لم يزل فقيراً إليها
يغتدي البارع المفيد لديها
بيان شافٍ ولفظٍ مصيبٍ
جدّ صافي الجدوى كريم الجدود
بيان كالجوهر المنضود
ناه منها عصائباً من برود^(١)
كل مبدي بلاغة ومعيد
لاحقاً بالمقصد المستفيد
واختصار كافٍ ومعنى سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان [من الطويل] :

لقد كنت منك السعود موقفاً
كأنني بالبحر الذي خيف هوله
يرى منك بحرأ زاحراً فوق متنه
كان عصا موسى بكفك فوقه
ستغنوا لما تبغي ظهور صفائه
فلا تخش من صرف النوائب نبوة
إذا عادة الله التي أنت عارف
مصادره محمودة والموارد
وقد خاف حتى ماؤه فيه جامد
قيصبح جاري موجه وهو راكد
وقد خرّ إعظاماً لها وهو ساجد
وتبلغ ما تهوى وجدك صاعد^(٢)
فنصرك محتوم عليه شواهد^(٣)
تذكرتها هانت عليك الشدائد

وقال في فاصد من غير علة [من الطويل] :

تبّع جود لا دم من يمينه
وليس به أن يفصد العرق حاجة
يسبب أسباب الندى لعفاته
فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
ولكنه ينحو المحامد قاصدا
ويرقبها مستفرصاً ومراصدا^(٤)

(١) العصائب : الألوان .

(٢) الجدّ : الحظ .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) العفاة : الطالبين الجدوى ومستفرصاً : أي متحيناً الفرص .

وقوله في معناه [من الكامل] :

أبدا يفيض على العفاة عطاءً	لهجت يمينك بالندى فبنائها
كما تسبب للطبيب حياءً	حتى فصدت وما بجسمك حاجةً
حقنت بتدبير الأمور دماءً	ولقد أرقّت دماً زكياً من يدي
في عوده فهو اللباب صفاء	تجري العلافى عرقة جرّي الندى
جعلوا له حب القلوب وعاء	لو يقدر الأحرار حين أرقته
تحى الولي وتكبت الأعداء	فانعم وعش في صحة وسلامة

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل] :

أهلاً بأشرف أوبة وأجلّها	لأجلّ ذي قدمٍ يلاذ بنعلها ^(١)
فرشت لك التراب التي باشرتّها	بشفاها من كهلها أو طفلها
لم تخطّ فيها خطوةً إلّا وقد	وضعت لرجلك قبلة من قبلها
وإذا تذلت الرقاب تقرباً	منها إليك فعزّها في ذلّها

وله من قصيدة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذي أوتيته	يفضي وإن طال الزمان إلى مدى
كالدّوّح في أفق السماء فروعه	وعروقه متولّجات في النّدى
في كلّ عامٍ تستجدّ شبيبةً	فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائرٌ في حلقةٍ	فلكية في منهاها المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل] :

ثنائي لو طوكته لك قاصر	وطولك لو قصرته لي باهرٌ
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى	بجهدي وعفو الجود لي منك غامر

(١) الأوبة : العودة .

وما زلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي إذ أنت ناهٍ وأمر^(١)
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فبلغني المأمول إذ أنت قادر
لعمرى لقد نلت المنى بك كلها وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر^(٢)

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبى [من الطويل] :
بلغت الذي قد كنت أمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أوْمَلُ
وكتب إلى صاحب [من مجزوء الكامل] :

لما وضعت صحيفتي في بطن كف رسولها
قبَلْتُهَا لَتَمْسَهَا يَمْنَاكَ عِنْدَ وَصُولِهَا
وتودَّ عيني أنها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهك الـ حميمون غاية سولها

وله من قصيدة [من الخفيف] :
نعم الله كالوحوش وماتاً لف إلا الأخير النسّاكا^(٣)
نفرتها آثار قوم وصيرَّ ت لها البرُّ والتقى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :
أبو قاسمٍ العزيز بن يوسف عليه من العياء عينٌ تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائلٍ وشبَّع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه
وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنت الوزير الذي الدنيا تناط به وأهلها تبعٌ من دونه خولُ^(٤)

(١) الجابر : المعين ، ورائشي : أي جاعلاً لي الريش الذي أستطيع به الحياة ، يعني : المال .
(٢) أحسبه : « وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر » .
(٣) الأخير : أي الأخير الفضلاء .
(٤) تناظر به : توكل به ، والحول : العبيد .

تَظَلُّ بِالْعِزِّ مَلَأَ الْأَرْضَ أَجْمَعَهَا كَأَنَّكَ النَّصْلُ وَالْدُنْيَا لَكَ الْحُلُلُ

* * *

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لَمْ أَطَوِّلْ فِي دَعْوَتِي لِمَلِكٍ طَوَّلَ اللَّهُ فِي السَّلَامَةِ عَمْرَهُ
بَلْ تَلَطَّفْتُ بِاخْتِصَارٍ مُحِيطٍ بِالْمَعَانِي لِمَنْ تَأْمَلُ أَمْرَهُ
فَهِيَ مِثْلُ الْحُرُوفِ مِنْ عِدَدِ الْهِنْدِ قَلِيلٌ قَدْ انْطَوَتْ فِيهِ كَثْرُهُ
جَمَعَ اللَّهُ كُلِّي دَعْوَةٍ دَاعٍ مُسْتَجَابٌ دَعَاؤُهُ فِيكَ صَبْرُهُ
وَأَعَادَ الْعِيدَ الَّذِي زَارَهُ الْعَا مَ بِأَمْرِ يَحُوزُهُ مَسْرُهُ
وَأَرَاهُ الْأَمَالَ فِيهِ وَلَقَا هَ سَعَادَتُهُ وَوَفَا أَجْرُهُ

وله من قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من البسيط] :

يَا مَاجِدًا يَدُهُ بِالْجُودِ مَفْطَرَةٌ وَفَوْهُ مِنْ كُلِّ هَجَرٍ صَائِمٌ أَبَدًا
أَسْعَدَ بِصَوْمِكَ إِذْ قَضَيْتَ وَاجِبَهُ نَسْكَأً وَوَقَّيْتَهُ مِنْ شَهْرِهِ الْعِدَا
وَأَسْحَبَ بِذَا الْعِيدِ أَذْيَالًا مَجْدَدَةً وَاسْتَقْبَلَ الْعَيْشَ فِي إِفْطَارِهِ رَغْدًا
وَأَنْعَمَ بِيَوْمِكَ مِنْ مَاضٍ قَرَّرْتَ بِهِ عَيْنًا وَمُنْتَظَرٍ يَفْضِي إِلَيْكَ غَدًا
وَفَزَّ بِعَمْرِكَ مَمْدُودًا وَمَلَكَكَ مَوْ طُودًا وَنَلَّ مِنْهُمَا الْحَدَّ الَّذِي بَعْدَا
حَتَّى تَرَى كُرَةَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ فِي يَمْنَاكَ مَمْلُوءَةً أَرْجَاؤَهَا رَشْدَا
وَحَوْلَكَ الْفَلَكَ الدَّوَارَ مُتَبِّعًا أَوْطَارَ نَفْسِكَ لَا يَأْلُوكُ مَجْتَهِدًا^(١)

وله في الوزير المهلب قصيدة عيدية [من الطويل] :

أَسَيِّدُنَا هُنَّتْ نَعْمَاكَ بِالْفَطْرِ وَوَقَّيْتَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ نُوبِ الدَّهْرِ^(٢)

(١) يَأْلُوكُ : لَا يَقْصُرُ عَنْكَ .

(٢) نُوبُ الدَّهْرِ : مُصَائِبُهُ .

مضى الصوم قد وفَّيته حقَّ نسكه
كلفت بذكر الله فيه فلا تزلْ
هجرت هجود الليل فيه تهجداً
فلو نطقت أيامنا باعتقادها
وللفطر رسمٌ للسرور وسنةٌ
ولا بُد فيه من سماعٍ وقهوةٍ
نواصل قصفاً بين يومٍ وليلةٍ
فمرُّ بالذي نبغي وكن عند ظننا
وعاد إليك العيد حتى تملَّه

أخذه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

وليطل عمرك مسرو راً بأيامٍ قصار

وله في بعض الوزراء [من الطويل] :

يصوم الوزير الدهر عن كل منكرٍ
ويفطر بالمعروف والجود والندى
فأكرم به من صائمٍ مفطرٍ معا

وله [من البسيط] :

إذا دعا الناس في ذا العيد بعضهم
فصير الله ما من فضله سألوا
حتى يكون دعائي قد احاط له

لبعضهم وتمادى القول واتسعا
فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
بكل ذلك مرفوعاً ومستمعا

(١) السنة : العادة .

(٢) داركاً : لحاقاً .

(٣) الحظر : المنع .

وله في المطهر بن عبد الله [من الكامل] :

عيد إليك بما تحبّ يعود	بطوابعٍ أوقاتهنّ سعودٌ
متباركاتٌ كلّ طالع ساعةٍ	يوفي على ما قبله ويزيد
يأتيك من ثمر المنى بغرائبٍ	معدومها لك حاصلٌ موجود
قضيت شهر الصوم بالنسك الذي	هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع	ما يطمئنّ بمقلتيه هجود
فاشرب وسقّ عصابةً قد مسّها	عطشٌ وجهدٌ في الصيام جهيد ^(١)
أرويتها جوداً فروّ مشاشها	راحاً فمّنك الجود والناجود ^(٢)
وتملّ عيشك في سرور دائمٍ	سرباله أبداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا سيّداً أضحى الزّما	بن بأسره منه ربّيعا
أيام دهرك لم تزل	للناس اعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها	عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقتْ	شمسٌ على أفقٍ طلوعا
واسعد بعيدٍ ما يزا	ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة في عضد الدولة [من الكامل] :

إسّلمٌ ودّم للرتبة العليا	وتملّ ملكك في أمدٍ بقاءٍ
واستقبل العيد الجديد بغبطةٍ	ومسرّةٍ وزيادةٍ ونماء
وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما	نحرت يمينك من طلا الأعداء ^(٣)

(١) الجهد : المضني .

(٢) المشاش : النفس . والناجود : الخمر .

(٣) طلا الأعداء : دماءهم .

بهم تغفرُ كالبهائم جمععتُ
 حرمتُ مأكُلها علينا واغتدت
 هذي مناسكك التي قضيتها
 ووراء ذلك للعفاة منائحُ
 ومواهبٌ ومناقبٌ ومفاخرُ
 أشلاؤها في حومة الهيجاء^(١)
 حلاً لوحش القفر والبيداء
 بالسيف أو بالصعدة السمرء^(٢)
 هطلت هطول الديمة الوطفاء^(٣)
 ومائرٌ أوفت على الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

صلُّ ياذا العلا لرَبِّك وانحرُ كلُّ ضدُّ وشانئ لك أبتَر^(٤)
 أنت أعلى من [أن] تكون أضاحيك قروماً من الجمال تغفرُ
 بل قروماً من الملوك ذوي السؤدد تيجانها أمامك تشرُ
 كلما خرَّ ساجداً لك رأسٌ منهم قال سيفك الله أكبر

وكتب الى الشريف الموسوي في الأضحى [من الهزج] :

مرجيك وصايك بذا الأضحى يهنئكا
 ويدعو لك والله مجيبٌ مادعا فيكا
 وقد أوجز إذ قال مقالاً وهو يكفيكا
 أراني الله أعداءك في حال أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط] :

يا سنّة البدر في الدياجي وغرّة الشمس في الصباح
 صمصام حربٍ وغيث سلمٍ ناهيك في البأس والسماح

(١) جمععت : صوّتت والهجاء : الحرب .

(٢) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تقويم .

(٣) الوطفاء : المطرة التي أرخت أديالها .

(٤) الشانئ : الميغض . والأبتَر : الأقطع الذي لا ولد له .

اسعد بفطرٍ مضى وأضحى وافاك باليمن والنجاح
وانحر أعادي بني بويه بالسيف في جملة الأضاحي
فالكلٌ منهم ذوو قرون يصلح للذبح والنطاح

وكتب في يوم مهرجان مع اضطراب أهده إلى عضد الدولة [من البسيط] :

أهدي إليك بنو الآمال واحتفلوا في مهرجانٍ جديدٍ أنت مبليه
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى علوّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهداةً إليك فقد أهدى لك الفلكَ الأعلى بما فيه

وكتب إليه مع زيج أهده [من البسيط] :

أهديت محتفلاً زيجاً جداوله مثل المكايل يستوفي بها العمر^(١)
فقس به الفلك الدوار واجركما يجري بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجهِ [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الذي ليس بينه وبين ملك العرض مثلٌ يقارنُهُ
رأيت ذوي الآمال أهدوا لك الذي تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزان يحوزونه وما له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكنني أهديت علماً مهذباً يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذي إن قبلته فليس سوى تامور قلبك خازنه^(٢)

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسروانيين وكتاب المسالك
والممالك في دفتريْن [من مجزوء الكامل] :

(١) زيجاً : جدولاً يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .

(٢) التامور : وعاء القلب والنفس .

أهدي إليك بحسب حا لي في الخصاصة درهمين^(١)
وبحسب قدرك دفتريــــن هما جميع الخافقين
فاذا فتحتهما رأيت بيان ذاك بلحظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب [من
الطويل] :

وأبشُرْ بخير واطَّرادِ سعودِ	تصبَّحْ بعزٍّ واعتلاءِ جدودِ
بطلعةِ بسَّامِ أغرٍّ مجيدِ	وقل مرحباً بالمهرجانِ وحيِّه
كفيلاً بحظِّي سيدِ ومسودِ	له زورةٌ في العام ما زال يومها
وتحظى بعمرٍ في مداهِ جديدِ	فيحظى بفخرٍ من علاك مجدٍ
إليك وإن ولَّى فثنائى جيد ^(٢)	تراه إذا ما جاء طامح مقلِّه
على قدر المهدى وبين زهيدِ	أتك الهدايا فيه بين موفِّرٍ
تكلف فياض اليدين مفيدِ	فبان على يمنالك حين مددتها
لها عادةٌ إلا ببسطةِ جودِ	تقاعس عن بسط القبول ولم تكن
مددت لها كفيك مدَّ رشيدِ	ولكن إذا أهدى لك الله نعمةً
بجرجانٍ ما محصولها بعيدِ	وقد نزلت منه إليك هديةً
ورودِ بشيرٍ فوق ظهرِ بريدِ	وما بيننا إلّا المسافة فانتظرُ
تجاسرتُ واستفرغت جهد جهيدِ	ولما رأيت الله يهدي وخلقه
يطير من الأنفاس يوم ركودِ	فكان احتفالي في الهدية درهماً
وتقييده بالشكل مثل قيودي ^(٣)	وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة .

(٢) ثنى جيده : لوى عنقه .

(٣) ذرعه : مقداره .

أَلَا طِفُّ مَوْلَانَا وَكَالْمَاءِ طَبْعُهُ
زَلَالاً عَلَى الْمُسْتَغْطِفِينَ وَجَلْمِداً
تَسْلُسُلُ مِنَ عَذْبِ النَّطَاقِ بَرُودٌ^(١)
عَلَى كُلِّ عَرِيضٍ أَلْدُ^(٢) مَرِيدٌ^(٣)

وكتب إليه في يوم نيروز [من الطويل] :

تَهْنُ^(٤) بِهَذَا الْيَوْمِ وَاحْظْ بِخَيْرِهِ
أَرَى النَّاسَ يَهْدُونَ الْهَدَايَا نَفِيسَةً
سِوَى سَكْرِ يَحْلُو لَكَ الْعِيشَ مِثْلَهُ
وَبَيْنَهُمَا مَنْ ضَرَبَ قَوْمَكَ دَرْهَمٌ
فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى مَابِهِ انْبَسَطَتْ يَدِي
وَكُنْ أَبْداً بِالْعُودِ مِنْهُ عَلَى وَعْدِ^(٥)
إِلَيْكَ وَلَمْ يَتْرِكْ لِي الدَّهْرَ مَا أَهْدِي
وَأَسِ أَخِي عَمْرَ كَعَمْرِكَ مَمْتَدَّةً
وَأَبْيَاتَ شَعْرٍ مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ حَمْدِي
وَتَقْبَلُهُ مِنِّي فَهَذَا الَّذِي عِنْدِي

وكتب إليه [من الطويل] :

تَعْذِرْ دِينَارِي عَلَيَّ^(٦) وَدَرْهَمِي
وَكَمْ بَيْتَ شَعْرٍ زَادَ بِالشُّكْرِ قَدْرَهُ
فَلَا طِفْتُ مَوْلَانَا بِيَتَيْنِ مِنْ شَعْرِي
عَلَى بَيْتِ مَالٍ مِنْ لَجِينٍ وَمِنْ تَبْرِ

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع] :

دَامَتْ لِمَوْلَانَا سَعَادَتُهُ
وَنَالَ مَا أُمِّلُ مِنْ رَبِّهِ
وَزَادَهُ النِّيْرُوزُ فِي مَلَكِهِ
لَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ لَمْ يَتْرَكُوا
أَعْمَلْتَ فِكْرِي فِي دَعَاءٍ لَهُ
فَقُلْتَ بَيْتاً وَاحِداً كَافِياً
مَوْصُولَةً دَائِمَةً تَتَرَى^(٧)
فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي الْأُخْرَى
عِزّاً وَفِي دَوْلَتِهِ نَصْرَا
فِيمَا ادْعَاوْا نَظْماً وَلَا نَثْرَا
يَجْمَعُ مَا جَاءُوا بِهِ طُرّاً
لَمْ يَعْذُ فِي مَقْدَارِهِ سَطْرَا

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي والبرود : البارد .
(٢) الزلال : الصافي . والعريض : الكثير المعارضة والعناد ، والألد : الشديد العداوة ، والمريد : الكثير التمرد .

(٣) العود : العطاء وغيره .

(٤) تترى : متابعة بعضها بعد بعض .

لا زالت الدنيا له منزلاً يأويه والدهر له عمراً

وكتب إليه مع اصطقلاب أهده [من الوافر]:

يعزُّ علي أن أهدي نحاساً إلى مَنْ فيضُ راحته نضاراً^(١)
ولكنَّ الزمان اجتاح حالي وأنت عليه لي إذ جارَ جار

تب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط]:

نهدي النحاس إلى مولى أنامله
وكان يلزمننا لولا التعذُّر أن
لكن بعدي عن جدواه أصفرني
وسوف أظفر من أخلاط نائله
فليسط الآن عذراً لست أسأله
فقد جرى الماء في عودي بدولته
وأقبلت نحويَّ الآمال آتيةً
تهدي النضار إلى العافين متتهبا
يكون إهداؤنا من عين ما وهبا
من كل خيرٍ فصار الصفر لي نشبا^(٢)
بالكيمياء فيضحى صفرنا ذهباً^(٣)
في قابل إن أنسل من خدمة سببا
وكان من قبله مستيساً حطبا
من بعدما أزمعت من ساحتي هرباً^(٤)

وكتب في يوم نيروز وقد أهدي بطيخة كافور [من الكامل]:

أسعد وزير الملك بالنيروز ما
وافى فأنجز وعد عام أول
تهدي إليك به هدايا كلها
فتمدَّ كفاً نحوها نشأت على
سجعت مطوقة على أعوادها
بميامن ستكر من ميعادها
من راحتك حقيقة استمدادها
إرفاد أيدي الناس لا استرفادها^(٥)

(١) النضار: الذهب.

(٢) أصفرني: أخلاني، والصفر: النحاس والنشب: كل ما يملك الانسان.

(٣) أظفر: أفوز، وأخلاط نائله: مختلف عطايه.

(٤) أزمعت: صممت وقررت وعزمت.

(٥) الإرفاد: الاعطاء، والاسترفاد: الاستعطاء.

عاداتها إعطاء ما قد أعطيت
ولقد طلبت فلم أجد شيئاً سوى
وبديع أبياتٍ إذا هي أنشدتُ
فالصباح من تلك ابيضاض أديمها
ولو أنني مكنت من عيني التي
لسكبت كافوري بشحم بياضها
أكرمُ بعادتها وبالمعتادها
كافورة لم آلُ في إعدادها^(١)
نفقت بضاعتها على نقّادها
والليل من هذي اعتكار مدادها
هي بعض حقك يا معيد رقادها
وكتبت أبياتي بذوب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود [من السريع] :

نل المنى في يومك الأجود
وارق كمرقى زحلٍ صاعداً
وفض كفيض المشتري بالندى
وزد على المريخ سطواً بمن
واطلع كما تطلع شمس الضحى
وخذ من الزهرة أفعالها
وضاء بالأقلام في جريها
وباه بالمنظر بدر الدجى
واسلم على الدهر ولا تخش من
ذا مهجة آمنة لللاذي
مستنجحاً بالطالع الأسعد
إلى المعالي أشرف المصعد
إذا اعتلى في برجه الأبعد
عاداك من ذي نخوة أصيد^(٢)
كاسفةً للهندس الأسود^(٣)
في عيشك المقتبل الأرغد
عطارد الكاتب ذا السؤدد
وأفضله في بهجته وازدد
مكروهه الرائح والمعتدي
ما أمته مهجة الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية [من الكامل] :

قرمُ علتَه ملابس العلياء
فعلا على النظراء والأكفاء

(١) لم آل : لم أقصر .

(٢) الأصيد : السيد والملك .

(٣) الحهندس : الظلام الشديد السواد .

أهدت إليَّ سرورها مثل الذي أهدي مساءتها الى الأعداء
ومن العجائب أنني هنأته وأنا المهناً فيه بالنعماء
لا زال يفترع المراتب صاعداً حتى يجوز محلّة الجوزاء^(١)

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستار [من
الخفيف] :

صحَّ أنَّ الوزير بدرٌ منير إذ توارى كما توارى البدورُ
غاب لا غاب ثم عاد كما كان على الأفق طالعاً يستير
لا تسلني عن الوزير فقد نبئتُ بالوصف أنه سابور^(٢)
لا خلا منه صدر دستٍ إذا ما قرَّ فيه تقرُّ منه الصدور^(٣)

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل] :

قد كنت طلقت الوزارة بعدما زلّت بها قدم وساء صنيعها
فعدت لغيرك تستحيل ضرورة كيما يحلّ إلى ذراك رجوعها
فالآن آلت ثم آلت حلقةً أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها^(٤)

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجث] :

يا جامعاً لخلالٍ قبيحةٍ ليس تحصى

يفترع : يمتلك .

(٢) سابور : ملك ، معرب شاه بور .

(٣) اللدست : البيت .

(٤) آلت حلقةً : أقسمت قسمًا وضجيعها : راقدٌ معها .

نقصت من كل فضلٍ فقد تكاملت نقصاً
لو أن للجهل شخصاً لكنت للجهل شخصاً

وقال [من الخفيف]:

أيها النابح الذي يتصدى بقيحٍ يقوله لجوابي
لا تؤمل أتي أقول لك احساً لست اسخو بها لكل الكلاب

وقال [من السريع]:

ياذا الذي صام عن الطعم ليتك قد صمت عن الظلم
هل ينفع الصوم امرأ ظالماً أحشأؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج]:

أبو الفضل إذا يحصل فيما بينا فضلُ
وما نؤثر أن يدخل في شطرنجنا بغل

وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل]:

يا من تعمّم فوق رأس فارغٍ بعمامةٍ مرويةٍ بيضاءٍ
حسنّت وقُبِحَ كلّ شيءٍ تحتها فكانها نورٌ على ظلماءٍ
لما بدا فيها أطلّت تعجبي من شرّ شيءٍ في أجلّ إناءٍ
لو أنني مكنت ممّا أشتهي وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها في رأس حرٍّ من ذوي العلياء

وقال [من الطويل]:

ألا قل لأهل الدولة النذلة التي ثوى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أمّ وجهها فنحن لها أرضٌ وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظّ منها فأنه قليلٌ على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث] :

وراكبِ فوق طرفٍ	كأنه فوق طرفي ^(١)
له قذالٌ عريض	يجلُّ عن كل وصف ^(٢)
يذوب شوقاً إليه	نعلي وخفي وكفي

وقال [من مخلع البسيط] :

قرنُ ابن هارون قد تمادى	علوه فالغيور غيره
فكاشفته البظراء جهراً	بفسقها حين قلَّ خير ^(٣)
خلت به للنكاح يوماً	فقام حرَّها ونام أيره ^(٤)

وقال [من الكامل] :

ييدي اللواط مغالطاً وعجانه	أبدأ لأعراد الوري مستهدف ^(٥)
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا	لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال [من الرجز المشطور] :

يا رب علجٍ أعلج	مثل البعير أهوج ^(٦)
ذي فيشة عظيمة	إن دخلت لم تخرج ^(٧)
رأيته مطَّلعاً	من خلف باب مرتج
وتحتته دنيّة	تذهب طوراً وتجي

(١) الطرف : الحصان الجيد .

(٢) القذال : القفا ، موضع الصفع .

(٣) البظراء : الطويلة البظر .

(٤) الحرّ : بضع المرأة .

(٥) العجان : الإست . الأعراد : جمع عرد ، ويعني به القضيبي عند الإنسان .

(٦) العلج : الكافر .

(٧) الفيشة : رأس الذكر .

فقلت : فاضي أيدج ؟ فقال : قاضي أيدج

وقال في رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعن من سكر الحداثة ما صحا دفعنا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له همةً لكنّها في حتاره فما يطلب العلياء إلا لينكحاً^(١)
فلو أن ما قاسى من الأير دبره يقاسيه من سير المعلم أفلحا

وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] :

قل للشريف المتمي	للغرّ من سرواته
آبائه وجدوده	والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه	وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في	أخلافه وصفاته
لا تجرّين من الفخا	ر إلى مدى لم تاته
شاد الألى لك منصباً	قوّضت من شرفاته ^(٢)
وأبوك متصل به	فعققتهم ببتّاته ^(٣)
إنّ الشريف النفس ليـ	ست تلك من فعلاته
والعود ليس بأصله	لكنه بنباته
والماء يفسد إن خلط	ت أجاجه بفراته ^(٤)
وأحق من نكّسته	بالصفع من درجاته
من مجده من غيره	وسفاله من ذاته

(١) الحنار : يعني الإست ، وهو الإطار المحيط بالغربال أو المنخل أو نحوهما .

(٢) قوّضت : هدمت وخربت .

(٣) بتّه : قطعه .

(٤) الأجاج : المالح ، والفرات : العذب .

وقال في هجاء أبخر [من البسيط] :

إنني بليت بقرنان يسارني سيّان عندي مجشّاه ومفسّاه^(١)
القبر نكهته ، والسّم ريقته والموت عشرته ، والبخر نجواه^(٢)
وفي المعنى [من مجزوء الرمل] :

في أبي الفضل من النقص ضروب وصنوف
رجل في وعده خِلفٌ ، وفي فيه خلوف
قاذاً قاوضك القو ل فقد فاض كنيف^(٣)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

لم تر العين أبخراً كابن نصرٍ ولا ترى
مدخل الخبز منه أخبث من مخرج الخرى

وقال [من الكامل] :

قد أبصرت عيني العجائب كلّها ما أبصرت مثل ابن نصرٍ أبخر
ما شم نكهته أمرؤ متعطّر إلا استحال مخاطه منها خرى

وقال [من الكامل] :

نطق ابن نصرٍ فاستطارت جيفةً في الخافقين لتن فيه الفاسد
فكأن أهل الأرض كلّهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد

وقوله [من الخفيف] :

يا ابن نصرٍ ته كيف ما شئتَ بالبخرة إذ بلغتكَ حالاً شريفه

(١) القرنان : الديوث المشارك في قرينته لزوجته ، المجش : ما يتجشأ منه ، وهو فمه .

(٢) البخر : الرائحة الكريهة من الفم .

(٣) الكنيف : المرحاض .

لك في الناس مثلٌ معجزة الخضرِ ، وإن كنتُ منه بش الخليفة
لا يَشْمُون حين تجتاز طياً ويشمون حين تجتاز جيفة
وقال [من مجزوء الرجز] :

ما مرَّ بي في عُمري مثلُ سرارِ القنطري
مكَّته من أذني فبال فيها وخرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من
شخص عرض به [من مجزوء الرمل] :

نَبَّ هذا التيس نباً وعلى الغلمان هباً^(١)
كلّما نادى غزلاً منهم للنيك لبي
ما رأينا قبل هذا رشاً طاع كلبا
ليس فيهم صغيرٍ وكبيرٍ يتأبى
وغدَّتْ دار أبي الفضل ل لهذا التيس زربا
وهو يزداد على ذا ك به ضناً وعجبا
يا أبا الفضل استمع نصـح امرئ يصفيك حباً
سرحُ غلمانك للسرحان قد أصبح نهبا^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره في الشعر

قال [من الوافر] :

أحبُّ الشعر يتدع ابتداءً وأكره منه مبتدلاً مشاعاً

(١) نَبَّ : صاح .

(٢) السَّرح : الأنعام التي تسرح للمرعى والسرحان : الذئب .

ولي رأيٌ غيورٌ في المعاني فما آتي بها إلا افتراعا
وقدماً كانت الأبيكار أحظى من العون التي انتهت شعاعاً^(١)
وقال [من الخفيف] :

رب شعرٍ أطاله طول معنا ه وإن قلَّ لفظه حين يروي
وطويل فيه الكلام كثير فاذا ما استعدته كان لغوا^(٢)
عرض البحر وهو ماءٌ أجاجٌ وقليل المياه تلقاه حلوا
وقال [من الطويل] :

لقد شان شأن الشعر قومٌ كلامهم إذا نظموا شعراً من الثلج أبردُ
فياربَ إن لم تهدم لصوابه فأضلُّلهم عن وزن ما لم يجودوا
وقال من قصيدة في صاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحك لاستجـررت من كلِّ نعمةٍ لك هجوا
فتأمل وانظر إليه إذا ما طبق الخافقين حضراً وبدوا^(٣)
كيف تحدو به عفاتك حدواً ثم تشدو به قيانك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيامٍ تعدّ عليّ عدداً وحظّي من رغائبها يفوتُ
يظنّ الناس لي فيها ثراءً وحسبي من ظنون الناس قوت

(١) العون : المرأة صارت وخادمة مساعدة .

(٢) اللغو : الكلام الذي لا طائل وراءه .

(٣) الحضير : سكان المدن ، والبدو : سكان الصحارى .

كأنني من تخاصمهم مكينٌ وحالي من خصاصتها تموت
ولم آل اجتهداً واحتفالاً ولكن أعيت الحيل البخوت
إذا رام الكريم شكاةً بثٌ فغايته التحمل والسكوت

وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

كفاني علاءٌ حين أفخر أنني أضاف إلى عبد العزيز وأنسبُ
حتته عليّ الحانيات فصرت في كفالته كالابن وهو له أب
فها أنا كالأولاد والفرع أشمطٌ وها هو كالآباء والفرع غيبٌ^(١)
ومنها :

عمتم جميع الناس حسناً لمحسنٍ وعفواً لذي جرمٍ فغيثوا واخصبوا
فما بال إبراهيم إذ ليس قبله ولكي عراقي غداً وهو مجذب
مجلّهم في حلبة أرسلوا وسكّيتهم في رتبة حين رتبوا
ومالك يا عيني البصيرة غمضت جفونك عني حين أبكي وأنذب
وكيف استطبت العيش في ظلّ نعمةٍ غلامك عنها بالعراء يعذب
أتضرب صفحاً وادع الجأش ساكناً وجنبي على رمضائه يتضرب^(٢)
متى لم يكن ترياق جاهك ضامناً نجاتي إذا دبّت إلى الحال عقرب^(٣)
ومالي إذا لم أسق رياً من الحيا ولم ترومني غلة الروح أخصب
ولكنه التقويم إن كان طعمه أمر فعقباه الحميدة تعذب
ومن ذا الذي أهلتموه لنكبةٍ تقومه إلاّ العذيق المرجب^(٤)

(١) الأشمط : الذي خالط بياض شعره سواده . والغيب : الأسود المظلم .

(٢) الرمضاء : شدة الحرّ ، ويتضرب : يتقلب .

(٣) الترياق : دواء السم .

(٤) العذيق : اللبق الماهر والمرجب : المعظم .

إذا منصلٌ بالغتَمُ في صفالِهِ
ولم تشحذوا حدِيه حيفاً وإنمّا
تجرّعت هذا الشرّي كالأرّيِ عالماً
ويا سوء حالي لو جريت لديكمُ
فصبراً على بؤسي قليلُ بقاؤها
لئن غمّني التائب فيكم وساءني
وعلمي باستحكام حقي لديكمُ
وإنك للحرّ الذي ليّ عنده

وقال [من الطويل] :

صديقُ لكم يشكو إليكم جفاكمُ
تناسيتموه وهو للعهد ذاكرُ
يقول لكم والوجد بين ضلوعه
أكابرنا عطقاً علينا فإننا
وفي قلبه داء من الشوق قاتل
وللغيب مأمونٌ وللجبل واصل
مقيمٌ وقد جمّت عليه البلابل^(١)
بنا ظمأً برّحُ وأنتم مناهل^(٢)

وقال [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضا سراً ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد
كي يسرّ الصديق بالعفو عني مثل ما سرّ بالنكير الأعادي

* * *

(١) الشرى : الحنظل ، أي الشراب المرّ . والأري : العمل .

(٢) جمّت : كثرت وتراحت والبلابل : الهموم .

(٣) برّح : مؤلم .

ما أخرج من شعره في الشكوى والحبس

قال [من البسيط]:

قد كنت أعجب من مالي وكثرته
حتى انثنت وهي كالغضبي تلاحظني
فاستيقنت أنها كانت على غلط
الضَّب والنون قد يُرجى التقاؤهما
وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
شزراً فلم تبق لي شيئاً من النشب^(١)
فاستدركته وأفضت بي الى الحرب^(٢)
وليس يرجى آلتقاء اللَّب والذهب^(٣)

وقال أيضاً [من الوافر]:

كأنّ الدهر من صبري مغيظٌ
يحاول أن تلين له قناتي
ألاقي كلّ معضلة نأدٍ
وأعتنق العظيمة إن عرتني
وبين جوارحي قلب كريم
تلوح نواجذي والكأس شربي
ف فوق السرّ لي جهراً ضحوكٌ
سأثبت إن يصادمني زماني
وأرقب ما تجيء به الليالي
فليس تغبّي منه الخطوب^(٤)
ويأبى ذلك العود الصليب
بوجه لا يغيّره القطوب^(٥)
كأنّ قد زارني منها حبيب
تَعَجَّبُ من تماسكه القلوب
وأشربها كأنّي مستطيب^(٦)
وتحت الجهر لي سرٌّ كئيب
بركنيه كما ثبت النجيب
ففي أثنائه الفرج القريب

(١) شزراً غاضبةً .

(٢) الحرب : الهلاك .

(٣) النون : الحوت من السمك والضَّب : حيوان معروف يشبه الهر .

(٤) تغبّي : تزورني .

(٥) النأد : الشديدة الوقع .

(٦) النواجذ : الأضراس ، وهي أربعة .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قاسيت من دهري سفيهاً	ما إن رأيت له شبيها
ثبتت نصال سهامه	في ثغرة لي تتحيتها
فكأنني	بمقاتلي إذ أتقيها

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن بدء من الموت للفتى	فأروحه الأوحى الذي هو أسرع ^(١)
وما طال عمر قط إلا تطاولت	بصاحبه روعات ما يتوقع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به	فمحصوله خوف وعقباه مصرع

وقال [من الطويل] :

إذا جمعت بين امرأين صناعة	وأحييت أن تدري الذي هو أحق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت	به لهما الأرزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع	وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وقال [من المنسرح] :

عهدي بشعري وكله غزل	يضحك عنه السرور والجدل
أيام همي بحبة بهم القلب	عن النائبات مشتغل
فالآن شعري في كل داهية	نيرانها في الضلوع تشتعل
أخرج من نكبة وأدخل في	أخرى فنحسي بهن متصل
كأنها سنة مؤكدة	لابد من ان تقيهما الدول
فالعيش مر كأنه صبر	والموت حلو كأنه عسل

(١) الأوحى : الأسرع .

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف] :

ليس لي منجدٌ على ما أقاسي من كروبي سوى العليم السميع
دفترى مؤنسي وفكري سميري ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطني فريضي ودواتي عيني ودرجي ربيعي
أتعاطى شجاعةً أدعيها في القوافي لقلبي المصدوع
بمقالٍ أعزَّ من ليث غابٍ وفعالٍ أذلَّ من يربوع^(١)
كلما هُرَّ في جوارى هُرَّ كاد يقضي إلى فؤادي المروع^(٢)
وإذا اجتاز في السطوح فمن قبل قبوع الجرذان منه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبتُ أليك السُّوءَ من محبسٍ ضنَّكَ وعينٌ عدويّ رحمةً منه لي تبكي
وقد ملكتني كفٌّ فطٌّ مسلطٌ قليل التقي ضارٌّ على الفتك والافك
صليت بنار الهم فازددت صفوة كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل] :

نفسي فداؤك غير معتدٍّ بها إذ قد مللت حياتها وبقاءها
ولو أنّ لي مالا سواها لم أكن أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرت فلم أجد إلا التي قد آن لي أن أستطيل ذمها^(٣)
فإذا شكرت لمن فداك فإنني لك شاكرٌ أن قد قبلت فداها
وكأنني المفديُّ حين أرحتني من ناثباتٍ ما أطيق لقاءها

(١) اليربوع : حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين ، وطويل الرجلين والذنب .

(٢) هُرَّ : صَوَّت .

(٣) صفرت : خليت . والذماء : بقية الروح وقوة القلب .

وكتب وهو في الحبس الى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل] :

أيها السيد قد كنت إلى الوصل تسارعُ
وتراعيانا ببرّ موالٍ متتابع
فلماذا قد تسربلت لنا سربال قاطع
نحن كالنسرَيْن في الصّحبة لكنّي واقع^(١)
وعلى الطائر ان يغشى أخاه ويطالع^(٢)

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله
رقعة هذه نسختها :

لقد قوي دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعزب
نحسي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن
لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع
ذلك [من البسيط] :

دخلت حاكم حكّام الزمان على صنيعه لك رهن الحبس ممتحن
أخنتُ عليه خطوبُ جارٍ جائرها حتى توفاه طول الهمّ والحزن^(٣)
فعاش من كلماتٍ منك كنّ له كالروح عائدة منه إلى البدن
وقال في مستخر مال كان يرفق به حال مصادرتة ويتشكر منه في تلك الحال
[من الكامل] :

لله درّ أبي محمد الذي ضمنّت إساءته بنا إحسانا
طويت جوانحه على خيريّة مكتومة تبدو لنا أحيانا

(١) النسرين : مثني نسر ، والواقع : اسير : أو الذي لا يستطيع التحليق .

(٢) يغشى : يؤم داره ويتفقّد أحواله .

(٣) أخنت : حلت .

حَرَ تكلف غير ما في طبعه
عكس النفاق لنا فأخفى باطناً
وله خلال العسف رفقٌ ربما
مستخرجٌ للمال مضطراً إلى اسـ
متلطفٌ في فقرنا ولو أنه
يتطرق الأستار لا عن نيّةٍ
متوعّر الجنبات في استخراجهِ
فتراه في ديوانهِ مستأسداً
رجل يؤدّبنا ونحن مشايخُ
عدنا وقد شبننا إلى حال الصبا
نهواه علماً أنه خير لنا
عجاً له إذ هذِهِ آثارُهُ
فالله يحفظه علينا راضياً

وقال أيضاً في الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرءُ بدٌّ من الردى
وأصعبه ما جاءه وهو رائعُ
فإن أك شرّ العيشتين أعيشها
وسيان يوماً شقوةً وسعادهُ

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل] :

توجّهت نحو المشهد العلم الفرد
نزور أمير المؤمنين فياله
على اليمن والتوفيق والطائر السعد
ويالك من مجدٍ مسيخٍ على مجد

(١) العسف : الظلم .

(٢) الغبّ : الذي يزور يوماً ويترك آخر .

فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً
مددت إلى كوفانٍ عارضٍ نعمةً
وتابعت أهليها ندىً بمثوبةٍ
أمولاي مولاك الذي أنت ربّه
وهذي يدي مُدَّتْ إليك بقصةً
أتاني شتاءٌ ليس عندي دثاره
فلو أن يرد الجلد عاد إلى الحشا
أزيمت لنفسي علّتها فأعرضتُ
وداويتُ داءِي النَّقْضِينَ ذا بذا
ولكني أستبطن الحرَّ كربةً
وكم تثبت الحوباء في شبح به
أليّات وقع لو تكون يذبل
فلولا رجاء ملء أرجاء أضلعي
وأن نسيم الانعطاف تهب لي
قضيت بإحداهن نجبي حسة
وهبني قد حملتها فأطقتها
فمن لي بصبرٍ عن جبينك لامعاً
براني برِيَّ القدح شوق مبرحُ

ولا تحتها مثلُ الزور إلى اللحد
بصوتٍ بلا يرقٍ يروع بلا رعد^(١)
فرحت إلى فوزٍ وراحوا إلى رفد^(٢)
إليك على جور النوائب تستعدي
أعيذك فيها من إباءٍ ومن ردّ
سوى لوعةٍ في الصدر مشبوبة الوقْد^(٣)
وفار الحشا الحران مني على الجلد
عن البثّ والشكوى إلى الشكر والحمد
أعدّل إفراطاً من الضّد بالضد
وأستظهر الضرّ الشديد من البرد
جروح دوامٍ من مناحسة النكد^(٤)
تضعضع ركناه تضعضع منهّد^(٥)
وعلم يقين بالرعاية والعهد
هبوب نسيم النرجس الغضين والورد
ولو كان لي قلب من الحجر الصلد
إطاقة صلب العود مصطبر جلد
إذا شيم ما بين السّماطين من بعد^(٦)
إليه ووجد جلّ عن صفة الوجد^(٧)

(١) العارض : الغيم المطر .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) المشبوبة : المستعرة .

(٤) الحوباء : النفس أو الروح .

(٥) يذبل : إسم جبل .

(٦) شيم : أبصر ونظر إليه والسّماطين : الصّفين ، والجنانين .

(٧) براني : أنحلني .

إذا أبصرت عيناى خذا معفراً
 وإن سمعت أذنائى عنك محدثاً
 فذكراك جهري حين يطرق زائري
 فلا تبعدننى عنك من أجل عثرو
 ولو كنت تنفى كل من جاء مخطئاً
 ومن زل يوماً زلة فاستقالها
 ولي عند مولانا وديعة حرمة
 فإن عشت كانت عدتي وذخيرتي
 توالى سني أربع ومدامعي
 أحوم إلى رؤياك كما أنالها
 فيا أيها المولى الذي اشتاق عبده
 فإن كان لم يبلغ إلى رتبة الرضا
 ومر أمرك العالي بتغيير حاله
 لعلك ترضى عودة بعد بدأة
 فقد يجبر العظم الكسير وربما
 وقال [من الطويل] :

لديك نقلت الترب منه إلى خدي
 لهجت بتكرير الحديث الذي يُبدي
 ونجواك سري حين أخلو بها وحدي
 فإن جياذ الخيل تعثر إذ تخدي^(١)
 إذا لعممت الناس بالنقى والطردي
 فذاك حقيق بالهداية والرشدي
 وشكر أياديه وديعته عندي
 وإن لم أعش فهي التراث لمن بعدي
 لها أربع كالسلك سل من العقد
 حيام العطاش الناظرات إلى الورد^(٢)
 إليه أما تشاق يوماً إلى العبد ؟
 فبلغه فيما قبلها رتبة الوعد
 وتخفيف ما يلقي من البؤس والجهد
 فيغدو بوجه أبيض بعد مسود
 تزايد بعد الجبر شدة مشد

* * *

وواصلت كالوراق قارورة الحبر
 يحدث عما مرّ في سالف الدهر
 وطوراً يكون الموت مني على ذكر

هجرت دواتي بعد تصريف حلّها
 وعاشت من دون الأخلاء دفترها
 فطوراً يسليني التعلل بالمنى

(١) تخدي : تسير بسرعة وتعثر : تزل .

(٢) الورد : منهل الماء .

ما أخرج من شعره في الحكمة

قال [من مجزوء الرمل] :

جملةُ الإنسان جيفةٌ وهيلاهُ سخيْفه^(١)
فلماذا ليتَ شعري قيلَ للنفس شريفه ؟
إِغما ذلك فيه صنعة الله اللطيفه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل] :

أتهاب في العزمات ظلماً ربما وقيت عنه
وأمامك الموت الذي أيقنت أن لا بدّ منه
هذي سبيل الخائب الكأبي الزناد فلا تكنه^(٢)
الدهر خوآن ولكن كم سعيذر لم يخنه !
وشقيّ جدّ قد تحرّز بالتصوّف لم يصنه
فاحذر مراراً أن يخون مرة لك فأتمنه
واستبرّ لحظك بالتقلب في المطالب وامتحنه
وابسط رجاءً قد قبضت وثق بربك واستعنه

وقال أيضاً [من الطويل] :

ألا أيها الإنسان لأنك آيساً من الدهر ان تصفو عليك مشاربه
فإنّ له حتماً من الشر واجباً وحتماً من الخير الهني عواقبه
وإن تلق من حتميّه ما كنت تبتغي فأولى بك الحتم الذي أنت طالبه
ستكسب ما ترجو ولو كنت كارهاً ككسيك ما تحشى وأنت مجانبه

(١) الهويلي : في الفلسفة ، المادة الأولى ، تنفعل وتحمل الصورة فتولّد الموجودات .

(٢) الكأبي الزناد : الذي لا يستعر ، كناية الحظ السيء .

وقال [من الخفيف] :

قد تحابى الجواد نائبة الدهر وفيها على البخيل وقاحة
كم رأينا من نعمة قادها البخل وأخرى تذود عنها السباحه
ربما ضررها التشدد والضبط فأضحت من أصلها مجتاحه
فهى محمية إذا نيل منها وإذا عز نيلها مستباحه
وخصوم الشحيح يسعون فيما غص من طرفه وهاض جناحه^(١)
وبنات القلوب تصغي إلى من كان أسخى نفساً وأطلق راحه

* * *

ما اخرج من شعره في الشيب والكبر وذكر آخر أمره

قال [من الوافر] :

يقول الناس لي في الشيب عن يزيد به جلال المرء ضعفا
ولولا أنه ذلٌ وهون لما احتكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط] :

كفاك من ذلتي للشيب حين بدا أني توليت نتفي لحيتي بيدي

وقال [من المتقارب] :

لقد أخلقت جدتي الحادثات ومن عاش في ريبها يخلق^(٢)
وبدكنني صلعاً شاملاً من الشعر الفاحم الأغسق^(٣)
وقد كنت أصلع من عارضي فقد صرت أصلع من مفرقي

(١) الشحيح : البخيل . وهاض جناحه : جعله ضعيفاً .

(٢) أخلقت : أبلت ، وجدتي : فتوتي وشبابي .

(٣) الأغسق : الأسود .

وقال [من المنسرح] :

لما دهشتي السنون بالصُّلحِ وقل مالي وضاق متسعي
حاسبته عن لمتي مزيتها حسابَ شيخٍ للحزم متبع^(١)
قلت له اقنع عن قسط نابتها بالربّع ممّا به عملت معي
واعمل على أنها مزارعةٌ شكوت فيها شكاةً متّضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف منّي خراج مزدرع^(٢)

وقال [من مجزوء الكامل] :

وجعُ المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الأذى
جعلَ الذي استحسنته واليأس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير سب في أواخره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي [من الخفيف] :

أَقَدَدْنَا زَمَانَةً وزمان عائقٌ من قضاء حق الشريف^(٣)
فاقتصرنا فيما نؤدي من الفر ض على الكتُب والرسول الحصيف^(٤)
والفتى ذو الشبَاب يسطف في التقصير عذر الشيخ العليل الضعيف
وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته ، وسوء أثر السن عليه ، وحاجته إلى
الجلوس في المحفة إذا أراد التصرف في حوائجه . وذلك في رجب سنة أربع
وثمانين وثلاثمائة [من الطويل] :

إذا ما تعدّت بي وسارت محفةً لها أرجلٌ يسعى بها رجلان^(٥)

(١) اللّمة : الشعر الذي يعلو الرأس .

(٢) الخراج : الضريبة واحطط : خفّف عني .

(٣) الزمانة : المرض الطويل .

(٤) الحصيف : العاقل .

(٥) المحفة : مركب كالهودج ، أو ما يشبه السرير يحمل عليه المسافر والمريض .

وما كنت من فرسانها غير أنها
 نزلت إليها عن سرة حصان
 فقد حملت مني ابن تسعين سالكاً
 كما حمل المهد الصبي وقبلها
 ولي بعدها أخرى تسمى جنازة
 تسير على أقدام أربعة إلى
 وإني على غيث الردي في جوانبي
 وإن لم يدع إلا فؤاداً مروّعا
 تلوم تحت الحجب ينفث حكمة
 لأعلم أني ميت عاق دفنه
 وإن فماً للأرض غرثان حائماً
 به شره عم الوري بفجائع
 غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع
 فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا
 إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله
 إلى ذات يوم لا ترى الأرض وارثاً
 ألا أبلغنا فرعاً نمته عروقه
 محمداً المحمود من آل أحمد

وفت لي لما خانت القدمان
 بحكم مشي أو فراش حصان^(١)
 سبيلاً عليها يسلك الثقلان
 ذعرت ليوث الغيل بالنزوان^(٢)
 جنيبة يوم للمنية داني
 ديار البلى معدودهن ثماني
 وما كف من خطوي ويطش بناني
 به غير باق من أذى الخفقان
 إلى أذن تصغي لنطق لسان
 ذماء قليل في غد هو فاني^(٣)
 يراصد من أكلي حضور أوان^(٤)
 تركن فلاناً ثاكلاً لفلان
 فما تلتقي يوماً له الشفتان^(٥)
 وما دون ذاك الحدّ رد عنان
 تلا أولاً منه بمهلك ثاني
 سوى الله من إنس يراه وجان
 إلى كلّ سام للمفاخر باني^(٦)
 أبا كلّ بكر في العلا وعوان^(٧)

(١) فراس حصان : فراش زوجة عفيفة .

(٢) الغيل : الغاب ، والنزوان : الوثب .

(٣) الذماء : بقية الروح .

(٤) الغرثان : الجائع .

(٥) الفاغر : الفاتح ، والطوى : الجوع .

(٦) الفرع : الأصل .

(٧) العوان : المرأة التي ليست بكراً .

أبا حسن قطعْتَ أحشاء حاسد
 يراك بحيث النجم تصدع قلبه
 جرى جاهداً والعفو منك يفوته
 وأنت سماء في النؤابة صاعداً
 أقيك الرد إنني تنبّهت من كرى
 فأثبتُ شخصاً دانياً كان خافياً
 هو الأجل المحتوم لي جد جدّه
 له نذرٌ قد آذنتني بهجمةٍ
 ولا بدّ منه مهلاً أو معاجلاً
 هنالك فاحفظ في بنيّ أذمتي
 فإني أعتدّ المودة منك لي
 ذخرت لهم منك السجايا وإنّها
 وفاءٌ ومدّ للجنّاح عليهم
 وحرمة أسلافٍ كرامٍ حقوقها
 وحظك منها حسب شأنك إنّه
 وقد ضمن الله الجزاء المحسن
 وهذا قريضي وهو همٌ بعثته
 فكنت كمن جارى جواداً بمفرق
 فإن لثمتني بالغبار سوابقاً

طواها على البغضاء والشنآن
 بحدّ لسان أو بحدّ سنان
 فكان هجيناً طالباً لهجان^(١)
 وذاك حضيضٌ في القرارة عاني^(٢)
 وسهوّ على طول المدى اعتوراني^(٣)
 على البعد حتى صار نصب عياني
 وكان يريني غفلة المتواني
 له لست منها آخذاً بأمان
 سيأتي فلا يشيه عنيّ ثاني
 وذدّ عنهم روعات كل زمان
 حساماً به يقضون في الحدثان
 لأنفع مما يذخر الأبوان
 وضناً بهم عن مس كل هوان^(٤)
 ديون على الخلين يصطحبان
 تعاظم قدراً أن يقاس بشأن
 وحسبك من وافرٍ وفّى بضمان
 إلى همّةٍ عذراء ذات بيان
 قوائمه مشكولة بحران^(٥)
 قوافيه من لفظٍ وحسن معاني

(١) الهجين : المتولد بين عربي وأمة .

(٢) النؤابة : أعلى الرأس ، والحضيض : الأسفل .

(٣) اعتوراني : لازماني وداخلاني .

(٤) ضناً : حفظاً ومنعاً .

(٥) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذي تربط به الدابة .

فلا عار إن قصّرتُ دون مبرّر
وعذري إليه خاطرٌ كلُّ بعدما
كذا الدهر إمّا عاد ينقض ما بنى
وإن أخرتني اليوم سنٌ تقدّمتُ
ليالي طارت بي عقابٌ بلاعتي
أبائيل جابت دون إدراك غايتي
شأن الناس قبلي سعيه وشأني
ثوى وهو ماضي الشفرتين يمانى^(١)
وإمّا بنى ما ينقض الملوان^(٢)
فقد أسلفتني حوز كلّ رهان
وبذّت بغائنا ما استطاع يراني^(٣)
على أنّها لم تألُ في الطيران^(٤)

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظماني إلى من لو أراد سقاني
ولو كان عندي معسراً لعذرته
رمى مقلتي واسترجع السهم دامياً
أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى
أبيت فلم أستسق من كان غلّتي
فإن أسرّ فالعلياء همّي وإن أقم
وإن أمض أترك كلّ حيّ من العدى
أكرر في الإخوان عينا صحيحةً
فلولا أبو إسحاق قل تشبّهي
هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله
إخاءٌ تساوي فيه ودّاً وألفةً
ودّني على من لو يشاء قضاني
ولكنّه وهو المليّ لواني
غزالٌ بنجلاوين تتضلان^(٥)
على بدني داء الضنى وشجاني
ولم أسترش من كان قبل براني^(٦)
فإني على بكر المكارم باني
يقول ألاّ الله نفسُ فلان
على أعين مرضى من الشنآن
بخلّ وضربي عنده بجران
بشيمة لا وانٍ ولا متواني
رديع صفاء لا رضيع لبان

(١) كلّ : ضعف .

(٢) الملوان : الليل والنهار .

(٣) بذّت : فاقت وتقدّمت والبغات : طائرٌ ضعيف .

(٤) أبائيل : يقال طيراً أبائيل : أي متجمّعة يتبع بعضها بعضاً ، قطعاً خلف قطع .

(٥) النجلاوين : العينين الواسعتين وتتضلان : أي تتبارى في رمي السهام .

(٦) الغلّة : الظمأ ، ولم أسترش : أطلب الريش كناية عن المال ، وبراني : أنحلني .

تمازج قلبانا تمازج إخوة
 وربّ قريبٍ بالعداوة ساخطُ
 وغيرك ينبو عنه طرفي مجانِباً
 لئن رام قبضاً سن بناتك حادث
 وإن بزّ من ذاك الجناح مطاره
 وإن أقعدتْكَ النَّائِبَات فطالما
 وإن هدمت منك الخطوب بمرّها
 مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظرُ
 وموسومةً مقطوعة العقل لم تزل
 وما زلّ منك الرأي والحزم والحجى
 ولو أن لي يوماً على الدهر إمرةً
 خلعت على عطفك برد شبيتي
 وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي
 وناب طويلاً عنك في كلّ عارضٍ
 على أنه ما انفلّ من كان دونه
 وما كلّ من لم يعط نهضاً بعاجزٍ
 وإنك ما استرعت مني سوى فتىً
 حفيّ إذا ما ضيع المرء قوله
 من الله أستهدي بقاءك وأن ترى
 وأسأله أن لا تزال مخلداً

وكلّ طلوبي غاية أخوان
 وربّ بعيدٍ بالمودّة داني
 وإن كان مني الأقرب المتداني
 لقد عاضنا منك انبساط جنان
 قربّ مقالٍ منك ذي طيران
 سرى موقراً من مجدك الملوان
 فثمّ لسانٌ للمناقب باني
 وما سمعت من سامعٍ أذنان
 شواردُ قد بالغن في الجولان
 فتأسى إذا ما زلت القدمان
 وكانت لي العدوى على الحدثان^(١)
 جواداً بعمري واقتبال زماني
 وإن فلّ من غربي وغضّ عناني^(٢)
 وخط بخطوٍ أخمصي وبناني
 حميم يرامي عن يدٍ ولسان
 ولا كلّ ليثٍ خادرٍ بجبان^(٣)
 صبورٍ على رعي المودّة حاني
 وفي إذا ما خوّن العضدان
 محلاً لأيام العلا بمكان
 بملقى سماعٍ بيننا وعيان

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) الغرب : السهم ، وفلّ : قطع .

(٣) الخادر : المسترخي .

إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى مآرب قلبي كلها ورعاني
وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته
اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر شعره [من الطويل] :

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن إلى ذاك ينحو من كناك أبا الحسن
فوحدها للاختصار إشارة إلى جملة تفصيلها لك مرتنه
تخولتها في خلقه وخليقه وإن لم تكن أنت الخلق بها فمن^(١)
وما هي إلا كنية لك إرثها وإن مسها من غير أربابها الدرن
ولو أن في تحريمها لي قدرة لما أصبحت في غير بيتك تمتن
ألست لها بعد الموصي وآله وأنتم اناس فيكم المجد قد قطن
ولكن هذا الدهر جار عليكم وبالغ حتى في الكنى لكم محن
يجاذبكم علياءكم كل حاسد به مرض بين الحيازم قد كمن^(٢)
فيجري إلى غاياتكم طالباً لها على غير منهاج وأنتم على السنن
مناقبكم حق بدت بيناته ودعواه أضغاث يراهن في الوسن^(٣)
لكم في الثريا خطّة وهو في الثرى فيا بعدها من أن يلزهما قرن^(٤)
وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى وتفترق الأعيان في فهم من فطن
وبين وسمات الوجوه تشابه فكن فاصلاً بين التهيج والسمن
وإن جلدة الوجه الوسيم تغضنت فلا تحسبن تلك الغضون بها عكن^(٥)
توقلتُم في كل هضبة سودد فأوفيت واستعليت منها على القنن^(٦)

(١) الخلق : الجديد .

(٢) الحيازم : الصدور ، وكمن : استتر .

(٣) الأضغاث : الأحلام ، والوسن : النوم والنعاس .

(٤) يلزهما : يجمعها ، وقرن : سلك .

(٥) تغضنت : تجمعت ، والعكن : السمنة في الجسد .

(٦) توقلتُم : صعدتم ، والقنن : القمم .

تقسّم هذا الفضل بين طوائف
غداً لك كالأبغاض إذ أنت كلهم
تراهم إذا غابوا عن المنزل الذي
وإن غبت عنهم ظاعناً بأن فقرهم
وإما يباريك المباري بهيئة
ففي درعك الإنسان تمت صفاته
كتبت إلى ابن الموسوي رسالةً
بأنّي مذ بايعتني الودّ جاعلاً
فإن رمت من صادقٍ غير ماذقٍ
إذا اغتربت منك الموالاة عند من
صفت مثل ما تصفو المدام من القذى
ولم لا وأنت الماجد السيّد الذي
أقيك الردي ليس القلا عنك مقعدي
وغادرني حلف المضاجع راهناً
فإن تنأمنك الدار فالذكر ما نأى
وإن طال عهد الإلتقاء فدونه
وأيسر حرٍ يلزم النازح الفتى

وقال الشريف يجيئه عن هذه القصيدة ، وجعل الجواب على رويها
دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم

(١) الدخل : سوء النية ، والدخن : الحقد وغيره .

(٢) الماذق : المخادع الكاذب .

(٣) القلى : البغض ، والزمانة : المرض المزمن .

(٤) جنن : حفظٌ وستر .

(٥) الدآلف : السائر بالحمل الثقيل واليفن : المسنّ ، والشيخ الكبير .

بزعمه إلا مختلا [من البسيط] :

غداً لدارهم^(١) واليوم للظعن^(٢)
بين الخليطين من شامٍ ومن يمن
أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن^(٣)
أنّ المطايا مطايا مضمري شجن
نواظرٌ بمجاري دمعها الهتن^(٤)
عن حنوق قلبٍ سليم السرّ والعلن^(٥)
منا العلائق، مجرى الماء في الغصن
تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن^(٦)
نيل المحمر أطراف القنا اللدن
فما عدلت إلى الأقلام عن جبن
كالقائل القولة الغراء عن لسن
ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
فزاد مابك في غيظي على الزمن
مثل القذى مانعاً عيني من الوسن
ما يوثق النفس في سرٍّ وفي علن
وحزت من نظمها دراً بلا ثمن
قود الجواد بلا جبلٍ ولا رسن
إلى الضمير حداء الركب بالبدن

دع من دموعك بعد البين للدمن
هل وقفةً بلوى خبتٍ مؤلفةً
عجنا على الربع أنضاء محرمةً
موسومةً بالهوى تدري برؤيتها
ثم اثنتينا على بأسٍ وقد شرقت
من ملبغٍ لي أبا إسحاق مالكةً
جرى الوداد له مني ، وإن بعدت
لقد توامق قلبانا كأنهما
مسودّ قضبَ الأقلام نال بها
إن لم تكن تورد الأرماع موردها
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه
قد كنت قبلك من دهري على حنقٍ
أنت الكرى مؤنساً عيني ، وبعضهم
قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً
أنطت من حسنها ماءً بلا نضبٍ
فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً
أنشدتها فحدا سمعي غرابتها

(١) الدّمن : الآثار والطلول والظعن : الرحيل .

(٢) عجنا : ملنا .

(٣) الهتن : المتتابع .

(٤) المالكة : الرسالة .

(٥) توامق : من الومق : وهو الحب والعشق .

كانت تقاعس لو ما كنت قائدها تقاعس البازل المحبوب في شطن^(١)
تستوقف الركب إن مرّت معارضه يهدي عقيلتها العذراء من لمن

* * *

ذكر وفاة أبي إسحاق وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة
وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية . فرثاه ابو الحسن بهذه القصيدة الفريدة
التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر . وعلو محله في كرم العهد ، وقد كتبها
كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقها ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من
الكامل] :

أعلّمت من حمّلوا على الأعواد	أرأيت كيف خبا ضياء النّادي ؟
جبل هوى لو خرّ في البحر اغتدى	من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى	أنّ الثرى يعلو على الأطواد ^(٢)
بعداً ليومك في الزمان فإنه	أقذى العيون وفّت في الأعضاء ^(٣)
لا ينفد الدمع الذي يسكي به	إن القلوب له من الأمداد
كيف انمحي ذاك الجنب وعظّلت	تلك الفجاء وضلّ ذاك الهادي
طاحت بتلك المكرمات طوائح	وعدت على ذاك الجلال عوادي ^(٤)
قالوا أطاع وقيد في شطن الردى	أيدي المنون ملكت اي قياد ^(٥)
من مصعب لو لم يقده إلهه	لقضائه ما كان بالمنقاد
هذا أبو إسحاق يغلق رهنه	هل ذائد أو مانع أو فادي ^(٦)

(١) البازل : الفتى من الإبل والشطن : الحبل الطويل ، أو الحبل مطلقا .

(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل .

(٣) فّت : الإضعاف والتوهين .

(٤) طاحت : قضت ، والعوادي : المصائب .

(٥) القياد : جبل تقاد به ، والشطن : الحبال .

(٦) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات .

لو كانت تُفدى لافتدتك فوارسٌ
 وإذا تألق بارق لوقعةٍ
 سلّوا الدروع من العياب وأقبلوا
 لكن رماك مجبن الشجعان عن
 كالليث يهون بالتراب ويمتلي
 والدهر تدخل نافذات سهامه
 ألقي الجران على عنطنط حمير
 أعزّز عليّ بأن أراك وقد خلت
 أعزّز عليّ بأن أراك بمنزل
 أعزّز عليّ بأن يفارق ناظري
 في عصبة جنبوا إلى آجالهم
 ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم
 ركب أناخوا لا يرجى منهم
 كرموا النزول فأنزلتهم وقعة
 فتهافتوا عن رجل كلّ مذلّ
 بادون في صور الجميع وإنهم
 مما يطيل الهم أن أمامنا
 عمري لقد أغمدت منك مهنداً

مطروا بعارض كل يوم طراد^(١)
 والخيّل تفحص بالرجال بداد^(٢)
 يتحدثون على القنا المياد^(٣)
 إقدامهم ومضعع الأنجاد^(٤)
 غيظاً على الأضغان والأحقاد
 مأوى الصّلال ومربض الأسد
 فمضى ومدّ يداً لأحمر عاد^(٥)
 من جانبك مجالس العواد
 متشابه الأمجاد والأوغاد
 لمعان ذاك الكوكب الوقاد
 والدهر يعجلهم عن الإرواد^(٦)
 من غير أطناب ولا أعماد
 قصد لانتهم ولا إنجاد^(٧)
 للدهر نازلة بكل مقاد
 وتطارحوا عن سرج كل جواد
 متفردون تفرد الأحاد
 طول الطريق وقلة الأزواد
 في الترب كان ممزق الأغمداد

(١) مطروا : كثروا .

(٢) البداد : الدعوة للمبارزة .

(٣) العياب : الصدور والقلوب .

(٤) يعني بالذي رماه هنا « الموت » .

(٥) الجران : باطن عنق الجمل أو الفرس والعنطنط : الطويل .

(٦) جنبوا : مالوا . والإرواد : الإكتحال .

(٧) أناخوا : حلّوا ، والانتهم : قصد تهامة والإنجاد : قصد نجد .

قد كنت أهوى أن أشاطرَكَ الردى
ولقد كبا طرف الرقاد بناظري
ثكلتْكَ أرضٌ لم تلدْ لك ثانياً
مَنْ للبلاغة والفصاحة إنْ هَمَى
من للملوك يحزّ في أعناقها
من للممالك لا تزال تلمّها
من للمحافل يستزلّ رماحها
من للممارق تسترقّ قلوبها
وصحائفُ فيها الأرقام كُمنٌ
تدمي طوابعها إذا استعرضتها
حمرٌ على نظر العدو كأنها
يقدمن إقدام الجيوش. وباطلٌ
فقرٌ بها تمسي الملوك فقيرةً
وتكون سوطاً للحرّون إذا ونى
نزقي وتلدغ في القلوب، وإن تشا
أما الدموع عليك غير بخيلة
سوّدت ما بين الفضاء وناظري
ريّ الخدود من المدامع شاهد
ما كنت أخشى أن تضنّ بلفظةٍ

لكن أراد الله غير مرادي
منذ افتقدت فلاناً لرقادي^(١)
أتى ومثلك معوز الميلاد
ذاك الغمام وعبّ ذاك الوادي^(٢)
بظباً من القول البليغ حداد
سدّاد ثغري ضائعٍ وسداد
ويردّ رعلتها بغير جلاّد^(٣)
بزلازل الإبراق والإرعاد^(٤)
مرهوبة الإصدار والإيراد
من شدّة التحذير والإبعاد
بدمٍ تخطّ بهنّ لا بمداد
أن يهزمن هزائم الأجناد
أبدأ إلى مبدأ لها ومعاد
وعناق عنق الجامح المتماذي^(٥)
حط النجوم بها من الإبعاد
والقلب بالسلوان غير جواد
وغسلت من عينيّ كلّ سواد
أن القلوب من الغليل صوادي
لتقوم بعدك لى مقام الزاد

(١) كبا : سقط . فلاناً : دعاء على العائر يعني « لا أنعشه الله » .

(٢) العبّ : ارتفاع الماء ، وهى الغمام : أمطر .

(٣) الرعلة : الجماعة التي تتقدم غيرها .

(٤) المارق : المخارج والكوى التي تنفذ منها الرّيح .

(٥) الحرّون : المعاند .

ماذا الذي منع الفتيق هديره
ماذا الذي حبس الجواد عن المدى
ماذا الذي منع الهمام بوثة
قل للنوائب عددي أيامه
حَمال ألوية العلاء بنجدة
قَلَصْتُ أَظْلَّةَ كُلِّ فَضْلٍ بعده
فقضي لسانك إذ ذوت ثمراته
وقضى جنانك مذخبت وقداته
بقيت أعيجانٌ يضل تبعها
ياليت أني ما اقتنيتك صاحباً
من لم يسف إلى التناسل نفسه
برد القلوب بمن تحب بقاءه
ليس الفجائع بالذخائر مثلها
ويقول من لم يدر كنهك إنهم
هيهات أدرج بين برديك الردي
لا تطلبني يا نفس خلاً بعده
فقدت ملاءمة الشكول لفقده
ما مطعم الدنيا بحلٍ بعده

من بعد صولته على الأذواد^(١)
من بعد سبقتة إلى الآماد
وعدا على دمه وكان العادي
لغنى عن التعديد بالتعداد
كالسيف يغني عن مناط نجاد
وأمر مشربها على الوراد^(٢)
أن لا دوام لنضرة الأعواد
أن لا بقاء لقدح كل زناد^(٣)
ومضت هواد للرجال هوادي^(٤)
كم قنية جلبت أسى لفوادي
كُفِيَ الأسي بتفاقد الأولاد^(٥)
مما يجر حرارة الأكباد
يا ماجد الأعيان والأفراد
نقصوا به عدداً من الأعداد^(٦)
رجل الرجال وأوحد الأحاد
فلمثله أعياء على المقتاد
وبقيت بين تباين الأضداد
أبدأ ولا ماء الحيا بيراد

(١) الفتيق : الفحل من الإبل .

(٢) قلصت : أي تقلصت وصغرت .

(٣) خبت : انطفأت .

(٤) أعيجان : من العوج ، وهو الالتواء وعدم الاستقامة .

(٥) يسف : يركن إلى الشهوة .

(٦) الكنه : المعنى .

الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن
 إن لا تكن من أسرتي وعشيرتي
 أو لا تكن عالي الأصول فقد وفي
 لادرّ دري إن مطلقك ذمة
 إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن
 ليس التنافس بيننا بمعاود
 ضاقت علي الأرض بعدك كلها
 لك في الحشا قبر وإن لم تأوه
 سلّوا من الأبراد جسمك فانشئ
 كم من طويل العمر بعد وفاته
 ما مات من جعل الزمان لسانه
 فاذهب كما ذهب الربيع وإثره
 لا تبعدن وأين قربك بعدها
 صفح الثرى عن حرّ وجهك إنّه
 وتماسكت تلك البنان فطالما
 وسقاك فضلك إنه أروى حياً
 جدت على أن لا نبات بأرضه

شرفي مناسبة ولا ميلادي
 فلأنت أعلقهم يداً بودادي
 عظم الجدود بسؤدد الأجداد
 في باطن متغيّب أو بادي
 حياً إذا ما كنت بالمزداد
 أبداً وليس زماننا بمعاد
 وتركت أضيقتها عليّ بلادي
 ومن الدموع روائح وغوادي
 جسمي يسلّ عليك في الأبراد
 بالذكر يصحب حاضراً أو بادي
 يتلو مناقب عود وبوادي
 باقي بكلّ مهابط ونجاد
 إن المنايا غاية الإبعاد
 مغرى بطي محاسن الأمجاد^(١)
 عبث الردي بأنامل الأجواد
 من رائح متعرّض أو غادي^(٢)
 وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنية من أرض كرخايا فقال [من الطويل] :

أعلم قبر بالجنية أننا	أقمنا به نبغي الندى والمعاليا ؟
عطفنا فحيّنا مساعيه إنها	عظام المساعي لا العظام البواليا

(١) مغري : مولع .

(٢) الحيا : المطر .

مررنا به فاستوقفننا رسومه^(١) كما استوقف الروض الظباء الجوازي^(٢)
وما لاح ذاك الترب حتى تخيلت^(٣) من الدمع أو شال^(٤) ملأ^(٥) المآفيا^(٦)
نزلنا إليه عن ظهور جياننا نكف^(٧) بالأيدي الدموع الجواريا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق عن الوجد إقلاعا عذرنا البواكيا
أقول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعاً من المجد ذاويا
ألموا عليه عاقرين فإتنا إذا لم نجد عقراً عقرنا القوافيا
وحطوا به رحل المكارم والعللا وكبوا الجفان عنده والمقاريا^(٨)
فلو أنصفوا شقوا عليه ضمائراً وجزوا رقاباً بالظبا لا نواصيا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما تكون على سوم الغرام غواليا^(٩)
ألا أيها القبر الذي ضم لحده قضياً على هام النوائب ماضيا^(١٠)
هل ابن هلال منذ أودى كعهدي هلالاً على ضوء المطامع باقيا
وتلك البنان المورقات من الندى نواضب ماء أم بواق كما هيا؟
فإن نيل من ذاك اللسان مضاه مجيب الدواعي حائداً أو مدافعاً
وما كنت أبى طول لبث بقبره فان به عضواً من المجد باليا
صفائح تستسقي الدموع روائحاً هناك مريم لا يجيب الداعيا^(١١)
ترى الكلم الغرآن من بعد موته لو أني إذا استعديته كان عاديا
على جانبيها والغمام غواديا نوافر ممن رامهن نوائيا^(١٢)

(١) الجوازي : من جاز الشيء : أي قطعه وبار فيه .

(٢) الأوشل : من الوشل وهو الماء القليل .

(٣) الجفان : القصع التي يوضع بها الطعام والمقاريا : من القرى ، أي الطعام .

(٤) السوم : المفاصلة في الشراء .

(٥) القضيب : السيف .

(٦) مرم : مقيم وماكث .

(٧) نوافر : شوارد ، ونوائياً : مبتعدة .

هو الخاضب الأعلام نال بها علأ
 معيدُ ضرابٍ باللسان لوأنه
 مرير القوى نال المعالي واثبأ
 مضى لم يمانع عنه قلب مشيع
 ولا المسندوه بالأكف إلى الحشى
 ولا ردّ في صدر المنون براحة
 خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه
 أرحت علينا ثلّة الوجد ترتعى
 ولولاك كان الصبر منا سجية
 رضيت بحكم الدهر فيك ضرورة
 وطاوعت من رام انتزاعك من يدي
 تطامنتُ كيما يعبر الخطب جانبي
 ملأت بمجياك البلاد مساعياً
 كما عمّ عالي ذكرك الخلق كلّه
 رثيتك كي أسلوك فازددت لوعة
 وأعلم أن ليس البكاء بنافع

تقاصر عنها الخاضبون العوالي^(١)
 بيوم وغىّ فلّ الجراز اليمانيا^(٢)
 إذا غيره نال المعالي حابيا^(٣)
 إذا همّ لم يرجع عن الهمّ نائيا^(٤)
 على جزعٍ والمفرشوه التراقيا
 يرد بها سمر القنا والمواضيا
 وأصبح تعروه النوائب واديا
 ضمائرنا أيامها واللياليا
 ترائاً ورثناه الجدود الأواليا
 ومن ذا الذي يغذو بما ساء راضيا
 ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
 فألقي على ظهري وجرّ زماميا
 ويملاً مثواك البلاد مناعيا
 كذاك أقمت العالمين نواعيا
 لأن المراثي لا تسد المرازيا
 عليك ولكّني أمّني الأمانيا

(١) أي هو الذي نال بالقلم ما لم ينله غيره بالسيوف .

(٢) الجراز : السيوف القاطعة ، واليهانيا : المنسوبة الى اليمن .

(٣) مرير القوى : شديدها .

(٤) همّ : قصد وأراد .

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

١١٦ - أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفسان المنطق ، وأفراد الكرم الكبار ، الحسان الآثار ، والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين في الآداب والكتابة ، والبراعة والكفاية ، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه ، وخواص ندمائه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده .

وأنا أورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض ، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضد الدولة كلاكما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظره

فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد بك ذؤابته . وتوقل في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمر المؤمنين ، فإنهما جتتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعد الله لأمر المؤمنين بطاعته وليه المنصور، وصفيه المبرور . وعضد الدولة ايده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدته ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن هماته راحة الحمام [من الطويل] :

مضاميره أَعَيْتْ عَلَى من يرومها وكلُّ مدى عن غايتيه قصيرُ
فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت .

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهم الليل فادرعوه مقتادين
بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم .

ومن كتاب عنه في عود الطائع إلى بغداد والتقاءه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامثلناه وتقبلناه ، وتلقانا من عوائد كرمه ، ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه ، وعواطف إنحائه ، ورعاية ما كنفنا يمينه ، وشايعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة ، وسيد الأنام ، والمستنزل بوجهه درر الغمام ، فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته ، وأوسعنا من جميل لقياءه ، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف في النفس والعقب ، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا في الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، في مواقع الحاظه ، وموارد ألفاظه ، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لا مورد بعدها في جلال ، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال . واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولاً ، ونور الدين والدنيا مرقوباً .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله ، والنجح الذي قرب

الله عليه مناله . والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التي اضطربت بمالكيتها فقرت لديه .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر علة نابته من الحمى .
ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى ، بعقب دواء تناوله ، واتصال ذلك بمليلة أزعجته ، وحمى نابته . فتصرفت في الأفكار ، وملكني الإشفاق ، وخلص إلى قلبي - من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه - ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمة الصبر ، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ أكثر الأمر ، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والايلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم ، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة في ثروة العدد ، والبقية الحسنى في الأخوة الولد ، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاء ، في إخوان الصفاء الذين سيدي أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائق سبق أفاضلهم .

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب ، ولفظته المهارب . وأقلقته عن مجاثمة المكاييد والكتائب ، وتطوح إلى بلاد الشام ، يتنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه .

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من أطفاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً

في البر ، وافيأً بالحق . إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً ، لا أعدمه الله شمية الفضل ، ولا أخلاني فيه من كلام العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر في مخاطبة سيدي ان فلاناً ورد علي ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لا استمرار العزائم في قصد نواحي العراق ، لإعادة ما نضب بها من ماء السياسة ، ومال في جنباتها من رواق الأمر والنهي ، بضعف المنن ، وانتكاث المرر . وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدماً بعون الله كتائب الرعب مستصحباً مفاتيح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من ان تصاب له ثغرة ، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة .

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه . استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم .

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنشاً ، فحسبتي وقد تأملت عنوانه - مغلو طأبي ، أو معنياً به غيري ، إعظاماً لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي اعدتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألفاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها . ويعرف عتقها في المنظر ، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا .

* * *

ما اخرج من إخوانياته

كتب الى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي - فيما أعايته من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه - حال امرئ هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكراً . ويتلذذ تحييراً . ويناجي النفس تمثلاً ، ويراقب المنى تعللاً . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبي السارة ، وأقول [من الطويل] :

أقول وقلبي في ذراك مخيمٌ	وجسمي جنبٌ للصبا والجنائب ^(١)
يجاذب نحو الصاحب الشوق مقودي	وقد جاذبتني عنه أيدي الشواذب ^(٢)
سقي الله ذاك العهد عهداً من الحيا	وتلك السجايا الغرغرة السحائب
تذكرت أيامي بقربك والمنى	يقابلني بالعز من كل جانب
وفي ربك الدنيا تزف محاسناً	وتفتّر منك عن ثايا مناقب
وقد لحظت عينا من شخصك العلا	ومن فرعك الفينان أعلى المناسب
ومن لفظك الدر المصون ، ومن حيا	محيّاك ما لم تجرّه كف خاطب
وأخلاقك الغر التي لو تجسّمت	لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عبّرة	كما أسلمت عقدا انامل كاعب
سلام على تلك المكارم والعلا	تحية خل عن جنابك غائب
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى	وبالمزن لم تبلل لهاة لشارب ^(٣)
وإنني وإن روعت بالبين شائمٌ	طوال عتبي من طلاع العواقب

(١) الجنب : المبعد ، والغريب . والجنائب : من الجنابة وهي النجاسة ، أو هي الريح التي تهب جنوباً .

(٢) الشواذب : الشاذب : المتخّي عن وطنه .

(٣) يكابد : يعاني ، والمزن : المطر . واللهة : اللّحمة المشرقة على الخلق في أقصى سقف الفم .

وما أنا بالناس صنائعك التي كتبتَ عليّ الرقّ ضربة لازب^(١)
ابتدأت أطل الله بقاء مولاي صاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثراً ،
فمال طبعي إلى النظم ، وأملئ خاطري على يدي منه ما كتبت ، ونعم المعرب عن
الضمير مضمار القريض ، وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني ، واثقاً بما
عنده لي ، وأنا أسترعيه غيبه ، واستغطيه عيبه ، وكنت كتبت إلى حضرته من أول
منزل أو ثانيه بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي ، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم
صبري ، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة
كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة ،
وحرمة الوفاة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ،
لاختلاف العادة على ، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ،
فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل احد عليها ، إن شاء الله
تعالى .

ومن كتاب له إليه :

قد كان ورد لمولانا صاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتابٌ لو أن الليل يرمي بمثله	لألقت يداً في حجرته ذكاء ^(٢)
تهادى بأبكار المعاني وعونها	وأعيان لفظ ما لهنّ كفاء
شوارد لولا أنهنّ أوالف	ضرائر إلا أنهنّ سواء
لبسنا بها نعمى وألبست الربا	خمائل روض جادهنّ سماء
بنان ابن عبادة تعلين نوءه	وما صوبه إلا حياً وحياء ^(٣)

(١) ضربة لازب : أي ضربة لازم .

(٢) ذكاء : الشمس .

(٣) النوء : المطر ، والنجم . والصوب : المطر والعطاء .

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام . لا زالت أياديه قلائد الأعناق ، ومرامية مضامير السباق . ولا انفكت عين الله حامية له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وقف مولانا على ما كتبت به معرضاً بخدمته ، ومجلياً عن نيته ، فصدقه وحققه ، وقال أدام الله سلطانه : إن لسان أثره في الفصاحة كلسان قلمه . يتجاريان كفرسي رهان . وناهيك بالأول اشتهاراً ووضوحاً ، وبالثاني غوراً وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، ونتجز عدات الفضل عنه ، وحسبنا ما أفادتاه التجارب فيه كافلاً بالسعادة ، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليداً وناشئاً . وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن أيقانا ، والضمان عياناً ، والتقدير بياناً ، والاستدلال برهاناً ، ونرجو أن الله بحسن الامتاع به ، والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأمانى فيه .

ومن كتاب :

وقفت على الأبيات التي أتحنني بها سيدي ، وتكلفت لجوابها ، على ظلع في خاطري لطول السفار ، واتصال حالي بالحل والترحال ، ومولاي يأخذ العفو ويرضى بالميسور ، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله ما دمننا في ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل .

ومن كتاب له إلى الصاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها ، وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم .

وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل لحومهم ، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بكاف الناس ، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في

الإنسان ألد من كفه وبنانه ، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختلسوه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت ، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم ، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عبثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة ، معتصمين بذمة الجماعة ، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيره بقدر الفرس . ما عهد أطف ولا أظرف منه ، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين .

ومن كتاب له إلى ذي الكفائتين أبي الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشفراً من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق ، ومسامرة الأفكار . إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر ، ووعورة تلك المسالك ، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته ، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته ، فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جملة تقر بها العيون ، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرح حال الاستقرار ، واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه ، من غير فكر في عوادي الأسفار ، وعواقب الحل والترحال ، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير ، ومناصبه الهجير . وأنا الآن أعود لعادتي في خدمته ، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته .

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة ، وتلتقي طرق الخطابة ، وتترأى أشخاص البيان ، وتتمایل اعطاف الحسن والإحسان . وقرأت لفظاً جلياً ، حوى معنى

خفيا ، وكلاما قريبا ، رمى غرضا بعيداً وفصولاً متباعدة ، كساها الائتلاف صور
المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة
الأول منها على الثاني ، وتعلق العجز بالهادي ، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات
قربى موصولة ، تتعاطف عيونها ، وتتصنف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه ، وكرم في جنسه ، فهو جوهر
الفضل والألفاظ اعراض ، وعنصر الأدب والمعاني أغراض . وفهمته فهم من
قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم ، واكتنفه العجز فسلم وسلم ،
وأعيتة العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعتزف بالقصور عن مفترض
الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاي بما قرب الى جناه ، وبعد على مداه ، من محاسن لفظه
ونظمه ، ومبارة التي ما زال يؤثرني فيها بالرغائب ، ويصفيني منها بالعقائل . فوقفت
منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتباط ، واستبصار في موضع الفضيلة . وشكر
لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة ، ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام
في انحرافها ومكاره أحداثها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعدت عليها
لاستعدادها ، وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها
دون آماله ، وقدحها في أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهراناخ
على مولاي بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبته عن القصيدة وإن كنت
اعملت فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الحل والرحل ، وعلى مولاي المعول في
ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبي فيه [من الطويل] :

وقيتَ أبا إسحاق من حافظٍ عهداً وراعٍ لمن يمني بفرقه ودّاً

عليه المعالي فاستقلّ بها مجداً
سواءٌ فلا ذمّاً منحّت ولا حمداً
يكن صبحه ليلاً ومسعاه كذاً
لأوفاهم عهداً وأصفاهم عقداً
وأنظّمهم في جيد مائثرة عقداً
عليه تساقينا على ظملي برداً
فنحن معاً والدار نازحةً جداً^(١)
ولما تكن في نيل إحسانه الفرداً
لسيّان من أجدى عليه ومن أكدي
يجرّعه سمّاً ويّسدي له شهداً
حمى الملك المدعو للدولة العضداً

ومنفردي بالمكرّمات تألّقت
بلوت أخلاء الزمان وكلّهم
ومن يبيغ صفو الودّ من كلّ صاحب
سواك أبا إسحاق إنك والندي
وأبعدهم في كل مكرمة مدى
تلاقت بنا الآداب في خير منسب
وألفن أرواح الصناعة بيننا
ضلالاً لدهر أنت من حسناته
لعمري إنه الدهر العثور وإنه
يميل على ذي الفضل للجهل ضلّةً
على أنه سلّم لمن حلّ بالحمى

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها [من البسط] :

واستودعّني مطايا الحلّ والرّحل
ما في الضّمائر من غشٍّ ومن دغل^(٢)
كرّمان من خولٍ عنها ومن فشل
ولصّها البطل وأهلها الهمل^(٣)
وكم نصبت على الأنصاب من مثل

ما للنوى وقفت دمعي على الطلل
ترمي بطرفك في أطرافها فترى
أريتنا النقص في رأي الأولى وضعوا
بمائها الوشل مع تمرها الدقل
وكم تركت بها للناس من مثل

(١) النازحة : البعيدة .

(٢) لعمري : دعاء على العاثر « أي لا أنعشه الله » وأكدي : ضنّ وبخل .

(٣) الدغل : الالساد .

(٤) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر والبيت ليس بشيء .

ونحن نفديك بالأرواح والمقل
إلا إذا ثبتت في موضع الزل
بين الخلائق كالإسلام في الملل
باليمن والعز والتأييد والجدل
في ظل عز مدى الأيام متصل

يفدي مقامك فيه الخلق قاطبة
وليس يثبت في فرع العلا قدم
خلائق هذبتهن العلا فعدت
اسعد بوافد نيروز تقابله
واستأنف العيش مسروراً بجدته

ومن قصيدة قال في آخرها [من الوافر] :

وتعجب كل مستمع ثناكا
وتطرب من أحبك أو قلاكاً^(١)
فدى لك من يقصر عن مداكا
وكل الناس زور ما خلاكا

وهاك تهز عطفها اختيلاً
تسير بها الرواة بكل أرض
نظيرة تربها لفظاً ومعنى
وكل الشعر زور ما خلاه

ومن أخرى فيه [من البسيط] :

وعاد شمل العلا والمجد ملتثما
لما غدا ببغاة الحق مدعماً
وشد من عقده ما كان منفصماً
إلى ذري أمد نال السهى شمماً^(٢)
فيها ، وكل بما قد قلته علماً

الله أكبر والإسلام قد سلماً
وظل ملك بني الغباس معتلياً
بأل بويه أعلى الله رأيته
سادوا الملوك وشادوا المجد وابندروا
هم قلادة عز أنت واسطة

ومنها في وصف السيوف [من البسيط] :

وحدها صافح الأعناق والقمما
حتى إذا اختلفت ضرباً بكين دما

بيض تصافح بالأيدي مقابضها
ضحكن من خلل الأغناد مصلته

(١) القل : البغض .

(٢) السهى : نجم في السماء .

حَتَّى كَأَنكُمَا نَازِعَتُمَا رَحِمَا
أَطَاقَ لَاخْتَرَقَ الْقِيَعَانَ وَالْأَكْمَا
أَسَدٍ نَقْلُنَ عَلَى أَكْنَافِهَا أَجْمَا^(١)
عَدْلًا وَأَجْلِيَتْ عَنْهُ الظَّلَمَ وَالظَّلْمَا
مَدَى مِنَ الْعِزِّ لَمْ تَرْفَعْ لَهُ عِلْمَا
أُولَى وَأَثْبِتَ مِنْهُمْ فِي الْعِلَا قَدَمَا
يَأْبَى الصَّالَ وَكَنتَ الْبَازِلَ الْقَطْمَا^(٢)

حَنَّتْ خِرَاسَانُ شَوْقًا إِذْ حَنَّتْ لَهَا
وَاهْتَزَّ مِنْبَرُهَا يَهْفُو إِلَيْكَ ، وَلَوْ
رَفَعْتَ رَايَاتِكَ اللَّاتِي خَفَقْنَ عَلَى
لَا تَنْتَحِي بِلَدًا إِلَّا أَفْضَتْ بِهِ
سَامَتُكَ أَبْنَاءَ سَامَانَ فَمَا بَلَّغُوا
وَنَاضِلُوكَ عَنِ الْعُلَا فَكَنْتَ بِهَا
وَصَاوِلُوكَ فَكَانُوا فِي الْوَعَى نَقْدَا

ومن عضدية في وصف مجلس [من الطويل] :

بَاقْطَارُهُ وَالنَّدَّ وَالنَّوْرَ وَالْخُمْرُ
بِسَاطِعِ نَشْرِ مَا يَقَاسُ بِهِ نَشْرُ
مَحَاجِرِهَا بَيْضُ وَأَحْدَاقُهَا صَفَرُ
ثَوَاكِلِ عِبْرِي مَا يَنْهَنُّهَا الرِّجْرُ
وَكَانَ عَلَى قَطْعِ الرُّؤُوسِ لَهَا بَشْرُ
تَفَاخَرَتْ الدُّنْيَا وَكَانَ لَهُ الْفَخْرُ
فَهَذَا هُوَ الْفَالُ الْمُحَقَّقُ لَا الرِّجْرُ

فِيَا مَجْلِسًا عَزَّ الْخِلَافَةُ مُحَدَّقُ
وَقَدْ أَرَجَتْ أَرْجَاؤُهُ وَتَعَطَّرَتْ
وَفَتَّحَ فِيهِ النَّرْجِسُ الْغَضُّ أَعْيُنًا
كَانَ الشَّمْعُ الْمَشْعَلَاتُ خِلَالَهُ
إِذَا قَطَعْتَ مِنْهَا الرُّؤُوسَ تَضَاحَكَتْ
أَلَا يَا أَمِيرَ الْمَشْرِقِينَ وَمَنْ بِهِ
وَلَمْ تَخْلُقِ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ فَانْتَظِرْ

وقال من سدقية [من المنسرح] :

كَأَنَّمَا سَدَّ دُونِي الطَّرْقُ
مِنْ نَارِ قَلْبِي اسْتَعَارَهَا السَّدْقُ^(٣)
حَائِرَةً تَنْمَحِي وَتَنْمَحَقُ

مَا لِي لِمَا بِي مِنَ الْهَوَى رَمَقُ
كَأَنَّ نَارَ الْأَمِيرِ سَاطِعَةٌ
فِي لَيْلَةٍ بَاتَتْ النُّجُومُ بِهَا

(١) الأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الصيال : الموائبة والقتال ، والبازل : الجمل في سبته التاسعة ، والقطم : التشهي للضراب .

(٣) السلق : ليلة الوقود .

ونخرط الليل في النهار فما يؤنس إلاّ الصباح والشفق
بكلّ منشورة ذوائبها محمّرة من شواظها الأفق^(١)

وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره [من الهزج]:

شربنا ذهباً يجري بشاطيء فضّة تجري
وما زلنا على السكر نداوي السكر بالسكر^(٢)
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحر منصّباً إلى بحر
كجدوي عضد الدو لة في نائله الغمر^(٣)

* * *

١١٧ - أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة
الدبلوماسية ، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين برسم المطيع لله ، ويتصرف بالعراق في
جلائل الأعمال ، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال ، وكان آخذاً بطرفي النظم
والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي [من الكامل]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوقٌ يفوت الوصف أيسر حده
وبحسب فرط الأنس كان بقربه قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنّني مما أحبّ ممكّنٌ لم أعدُ إغذاذاً أسير لقصده^(٤)
ووصلت آصال السرى بغدوها وقرئت إرقال المطيّ بوخده^(٥)

(١) الشواظ : لهبٌ لادخان معه .

(٢) السكر : بالكسر - بناء من صخرٍ وحجاره .

(٣) الغمر : الكثير .

(٤) الإغذاذ : الإسراع في السير .

(٥) الإرقال والوخد : ضربان من سير الابل والمطي : جمع مطيّة ، وهي الدابة .

ولئن عدمت سعادتي بـلقائه فلقد أقمت على رعاية عهده
 وشكرت سالف برّه وأشعت محكم ودّه وقضيت واجب حمده
 وعلمت أني إن طلبت مشاكلاً لعلاه لم تظفر يداي بنده
 فقصرت إخلاصي عليه ممسكا بإخائه محظى بمطلع سعده
 من ذا يقاس إليه في آدابه أو علمه أو هزله أو جدّه
 والمكرّمات بأسرها في حزبه والصالحات جميعها من عنده
 بجميل شاهده سالم غيبه وكريم صحبته وخالص وده
 أفديه من حرّ حليف مناقب لولا تكامل فضله لم أفده
 لم تجر أمجاد الرجال إلى مدى للسبق إلا حاز نيل أمدّه
 وكأنّ أضواء المحاسن كلّها مقدوحةً نيرانها من زنده
 فالله يبقيه ويرغد عيشه ويعزّه ويعيدنا من فقدّه

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل] :

روحي فداؤك والورى من بعده جرّدت سيف صيابتني من غمديه
 عين الإمام وكفّه اليمني وحده حسامه الماضي ووسطى عقده
 كلف بيذل المال يحسب غنمه في عزمه ونموّه في حصده
 وجه يجول البشر فيه برونق ماء السّماح يفيض من إفرنده^(١)
 متنقّبٌ بحيائه فكأنما شقّ الربيع شقيقه في خده
 ومقابلٌ من فارس في دوحه أوفت على قحطانه ومعدّه
 هو شدّ من أزر المكارم والعلّا حدثاً ولم يبلغ أوان أشده^(٢)
 يفديه من نوب الزمان معاشر أحرارهم لا يلحقون بعبده
 أبدت مقابحهم محاسن فعله والضّدّ يظهر حسنّه في ضده

(١) الإفرند والفرند سواء : وهما ماء السيف ورونقه .

(٢) الأزر : القوة والمساعدة . والحدث : اليفع .

ما كنت أعرف قدر ما خولته
جاءت ألوكته إليّ كأنها
ففتحت حين فتحتها عن روضة
فقرأتها عوداً على بدءٍ كما
يا جنة الخلد التي أنا نازلٌ
لو أستطيع ركبت متن الريح أو
وهو الزمان فإن يساعد صرفه

حتى بليت بقربه من بعده
وصل الحبيب اعتضته من صده^(١)
متفتحٌ حوذانها في ورده^(٢)
عاد الموليّ في قراءة عهده
ما بين كوثرها وطوبى خلده
أسريت نحو ذراك مسرى وفده
فجده يسعى الفتى لا كده

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت
[من المنسرح]:

خرجت من عندكم فأدركني
غمامة كالعمامة انتلفت
تنالها كفّ من يزوالها
يختطف الأرض وقع صبيها
فوقعه والكساء يدفعه
كأتما كلّ قطرة وقعت
لو أن ما ذاب منه يجمد لم
فيها من الرعد كالدياب والـ
واشتعل البرق في جوانبها

سحابة ذات منظرٍ صلفٍ
فوق رؤوس المشاة في السّدْف^(٣)
تقول للمرء ويك لا تقف
مثل اختطاف المخالب العقف^(٤)
وقع سهام الأتراك في الهدف
عليه درٌ بدا من الصّدْف
يصلح لغير العقود والشّنْف^(٥)
إذا ما ضربن في شرف^(٦)
مثل السيوف انتضين من غلف

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) الحوذان : نبات .

(٣) السدف : الظلم .

(٤) الصيّب : المطر ، والعقف : المعقوفة .

(٥) الشّنْف : الحلي والأقراط .

(٦) الديابادب : الصياح والضجة .

قد جمعت حالتين في طلقٍ صوت عذولٍ ودمع ذي لهف
لو كان كلّي لسان ذي نصرٍ بوصفه واحتشدتُ لم أصف
وكتب إلى الصاحب يشكو إليه علة النقرش وعلو السن ، فقال [من
المتقارب] :

إلى الله أشكو ضنى شفتيّ وكم قبلة من ضنى قد شفاني
وسقماً ألحّ فما لي بما أحاط برجلي منه يدان
تراني وقد كنت ثبت الجنان إذا الليل جنّ سلب الجنان
أقطع آناه بالأنين وأرقب للصبح وقت الأذان
أنقل في موضع موضع فحيث حللت نبا بي مكاني
أوئل روحاً فيأتي النهار بأضعاف ما بتّ فيه أعاني
أقول أقيل فلا استطيع من ألمٍ ملحفٍ غير واني^(١)
فمن ليلة أروناية ويوم بما ساءني أروناي
أرجي تقضّي ما أشكّيه من مرضٍ بتقضّي الزمان
وإني قد جرت حدّ الكهول وناهزت ما عمّر الوالدان
وجرمت ستين شمسيّة فسدتّ عليّ طريق الأمان
وأوهت عراي ، وهدت قواي ، وليس لما يهدم الدهر باني
وإن كان لا يهتدي صرّفه إلى أجل منسأ غير داني^(٢)
وكنت على ثقة أنه إذا شاء أبرأني من براني
فيامن له الخلق والأمر من بعافية منك تشفي ضماني
وجدّ لي نأي أجلّ أو دنا بعفو وسعت به كل جاني

(١) الملحف : ملحٍ ومتجدّد .

(٢) أروناي : نسبة الى الأرونان ، وهو الصعب من الأيام ، والشديد في كل شيء .

(٣) المنسأ : المؤخّر .

وهبني لأحمد والمصطفى ن من آله أهل بيت الجنان
همُ عدّتي وبهم أتقي الـ عقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه صاحب مجيئاً [من المتقارب] :

عناي من الهمّ ما قد عناي	فأعطيت صرف الليالي عناي
ألفتُ الدموع وعفّت الهجوع	فعيناي عيان نضّاختان ^(١)
لسقم الحُ على سيّد	بد قد غفرت ذنوب الزّمان
أحاط برجليه جوراً عليه	وأني ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال	وأرض بساطهما النيران
وهلاً تجاوزه قاصداً	إلى عصبة عصبت بالهوان
إذا ما سعى لطلاب العلا	فكلُّ أوانٍ همّ في توان
وسوف توافيه كفّ الشفاء	بما أنشأت باسمه من أمان
وتفقاً فيه عيون الزمان	عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه	وقد قصروا عنه ألفي قران
أتنتي بالأمس أبياته	تعلّل روعي بزّوح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب	وظل الأمان ونيل الأماني
وعهد الصّبى ونسيم الصّبّا	وصفو الدّنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسّمت	لكانت عقود نحور الغواني
فياليت عمري في عمره	يزاد ولو أنه - حقبتان
فيامهجة قدمت دونه	بغانية عند ذكر الغواني
أجيب عن الشعر مسترسلاً	بطبع شجاع وقلب جبان
فلولا سكوني إلى فضله	قبضت بناني بقبضي لساني

* * *

(١) عفت : ملّيت وتركت ونضّاختان : دامتان فائرتان .

١١٨ - أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب المجد ، المترقلين في درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل . وعين القول الفصل .

فصل - كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خلّيت عنان انسى في رياض مباره ، فترعت جاذبيته لاجع الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم ، ولا يتعاضمه الصفع عن الجرائر .

فصل - علقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعينه من سوء مقبّل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتلف المخايل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملي على مساجلته . فقد عرضني للتكشف ، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلّمني ثوب التجمل .

فصل - أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران محل أخطاه النوء . وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل - وصل كتاب مولاي [من الطويل] :

فكم فرحة أدّى وكم غلة جلا وكم بهجة أولى وكم غمة سلّى
وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفسية . ويدبّر حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي

المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل]:

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقصٌ ويهيج ذو ودٍّ ويكمد حاسدٌ
فصل - وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منفي الشواغل ، فارغ
الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الأسار ، سليم الأفكار . فكيف بي مع كلال
الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهاق القريحة ، واستعجام الطبيعة ، والمعول على
النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع الى العقيدة ، وهي بالولاء
المجض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال ، كما لا مجال للعتذر وراء
هذا الخلال .

فصل - مراتع أهل الفضل موبئة . ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة ،
إلا في محل الشيخ الخصيب ، وفنائ المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه
موقوفة ، وأعنة الورد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة ، والمنهل
العذب كثير الزحام .

فصل - إن كان أوداؤه في فضله مستهمين ، وأولياؤه في إحسانه فوضى
مشاركين . فلي بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه . لا أسبق إلى جمامها ،
ولا أنازع ثني زمامها ، فعلى حسب ذلك تصرفي وتجملي من أقسام ما يحدث عنده
ويعرض له ، هذا . وقد بلغني من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعيادة ، وإطالته عنده
الإقامة ومعه المفاوضة ، ما أمكن في نفسي ، وقوى ثقتي وأنسى ، فإنه لم يكن إلا
سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الرتبة . فالله الذي قرن لمولاي
تيسير ما قد قاسى العظيم المجد الذي لا يوازي ، وعميم الفخر الذي لا يسامي ، ودل
بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل - قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ،

ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة . واعتاض من تراحم المواكب تلازم المآثم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى صاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح] :

إذا الغيوم أرجفن بأسقها وحفَّ أرجاءها بوارقها^(١)
وغيَّت للثرى كئائبها وانتضيت وسطها عقائقها
وجلجل الرعد بينها فحكى خفقَ طولٍ ألحَّ خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها واختلفت عبرةً حمالقها^(٢)
وقيل طوبى لبلدٍ نتجت بحقَّ أكنافها فوارقها^(٣)
أية نعماء لا تجلَّ بها وأيَّ بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم السقم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياء هزةً ونديَّ وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محمَّلةً أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها وزان ريحانها شقائقها^(٤)
هبت رخاء مريضة فشفت مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ تدمي وعينٍ تجري سوابقها
إني وإن غالب الهوى جلَّدي صبراً لصادي الأحشاء خافقها
ذكرى لأيماننا التي غفلت عنها العوادي ونام رامقها^(٥)

(١) أرجفن : حركن ، والباسق : العالي .

(٢) الحمالق : العيون .

(٣) الفوارق : جمع فارقة ، وهي الناقة يأخذها المخاض .

(٤) الحوذان : نبات .

(٥) الرامق : المتطلع .

إذ النوى لا تروعنا وإذ ال أيام مأمونةً بوائقها^(١)
والله لو أن ما أكابده بهضب رضوى خرت شواهدقا

هذه أطال الله بقاء مولاي نتائج أريحية ، أثارها مخاطبات مولاي التي هي
انقع لغلتي من برد الشراب ، وأعذب إليّ من برد الشباب . فجاش الصدر بما أبرأ
إليه من عهده ، وأسكنه ظل أمانه وذمته ، ليسبل عليه ستر مودته ويتأمل بعين
محبه . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبال مولاي
علي ، وتتابع بره في مخاطباته لدي . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور ، وكل جناية
بهذا الإحسان معمر .

فأجاب صاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من المنسرح] :

بدت عذارى مدّت سُرّادقها	وأقسم الحسنُ لا يفارقها
كواعبُ أخرسَتْ دمالجها	عنا وقد أنطقت مناطقها ^(٢)
خرائبُ حقّها وصائفُها	تشي بأبدانها قراطقها ^(٣)
صينت عن العطر أن يطيبها	إلا الذي حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها	ومايني قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا	وشقّ عن أرضها شقائقها
وأعشت الناظرين حليتها	وشاق أحداقهم حدائقها ^(٤)
أم أشرقت فقرة بدائعها	حديقة زانها طرائقها ^(٥)
أتى بها بالكمال ناسجها	وزائها بالجمال ناسقها

(١) البوائق : المصائب والشدائد .

(٢) المناطق : من النطق ، أو جمع منطقة وهي ما يشدّ بها الوسط .

(٣) الخروبة : الحسناء في بياض وسمن وطراوة والقراطق ضرب من الثياب .

(٤) أعشت : أضعفت

(٥) الفقرة : نبات .

لله حلف العلا أبو حسن وقد جرت للعلا سوابقها
 فحاز خصل الرهان عن كذب وفرجتُ عنده مضايقتها
 لله تلك الألفاظ حاملةً غرَّ معانٍ تُعْيِي دقائقها
 يكاد إعجازها يشككها في سورٍ أنها توافقها
 أهدي سلاماً حكى السلامة من أسقام سوء يخاف طارقها^(١)
 كأته دارنا ولم يرها ناعبها للنوى وناعقها
 كأنها غفلة الرقيب وقد مكنتُ من نظرة أسارقها
 أهديت منه مالو تحمّله الـ أيام لم يستقل عاتقها^(٢)
 تحدو به صبوة ركائبها راتكة لا يميل سائقها^(٣)
 خذها وقد أحصدت وثائقها وألحقت بالسهي سواحقها
 ناشدتك الله حين تنشدها وخلة لا يخيل صادقها
 إلّا تعمّدت رفع رايتها ليملاً الخافقين خافقها
 نعم وعش في النعيم ما طلعت شمس نهارٍ وذُرَّ شارقها^(٤)

هذه أطال الله بقاء مولاي أبيات علقتها والروية لم تعلقها ، واعتنقت فيها
 والفكرة لم تعتنقها ، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها ، بل
 علماً بأنني وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من
 ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف ان يتقصاها . والبعد عن الإطناب ان
 يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري ، والقصور
 يتبخر بين أقبالي وإدباري . إلى أن فكرت أن فضيلة المولى يشتمل عبده
 ويخيم ، وإن تصرفت عنده ، فثاب الى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً

(١) الطارق : النازل ليلاً.

(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق.

(٣) رتك البعير : قارب بين الخطأ.

(٤) ذرَّ شارقها : ظهرت أشعتها .

رجوت ان يحظى بطائل القبول ، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول ، هذا
ولا عار على من سبقه سباق الزمان ، المستولي على قصب الرهان .

* * *

ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله [من الطويل] :

وإني وإن قصرت عن غير بغضةٍ	لراعٍ لأسباب المودة حافِظُ
وما زال يدعوني إلى الصّدِّ ما أرى	وآبي فتثنيني إليك الحفائِظُ
وأنتظر العقبى وأغضي على القذى	ألاين طوراً في الهوى وأغالِظُ
وأستمطر الإقبال بالودِّ منكمُ	وأصبر حتى أوجعتني المغايطُ
وجربت ما يسلي المحب عن الهوى	وأقصرت والتجريب للمرء واعِظُ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

١١٩ - القاضي التنوخي أبو القاسم علي

ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن التميم ، وكان كما قرأته في فصل للمصاحب : إن أردت فإني سبحة ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك . أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو أثرت فإني نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً ، فأكرم مثواه ، وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد ، حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبى الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدون ربحانة الندماء ، وتاريخ الظرفاء . ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسير أشعاره ، ناظمة حاشيتي البر والبحر ، وناحيتي الشرق والغرب .

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسима ، في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانة ، ويختصه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل] :

هل على من لامه مدغمٌ لاضطرار الشعر في ميم نسيمٍ

فوقع تحته : نعم ولم لا ؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ،
ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة ، والتبسط في القصف
والخلاعة . وهم ابن قريعة ، وابن معروف ، والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم
إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبى ، فإذا تكامل الأنس وطاب
المجلس ولد السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار ، وتقلبوا في
أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من
ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها
حتى تشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وعليهم
المصبغات ومخانق البرم^(١) والمنثور ، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم
عنى السرى بقوله [من المنسرح] :

مجالسٌ ترقصُ القضاة بها إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحبٌ يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشِّم
تخضب بالراح شيبة عبثاً أناملُ مثل حمرة العنم^(٢)
حتى تخال العيون شيبته شيبة فعلاًنَ ضرَّجتْ بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة
وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف
الليل والنجوم بقوله [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ قطعته بصدود وفراقٍ ما كان فيه وداعُ

(١) البرم : نوع من الثياب .

(٢) العنم : شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ .

موحشٍ كالثقلِ تقذى به العين وتأبى حديثه الأسماع
 وكأنَّ النجوم بين دجاء سننٌ لاح بينهن ابتداء^(١)
 مشرقاتٌ كأنهن حجاجٌ تقطع الخصم والظلام انقطاع
 وكان السماء خيمة وشيٍ وكأنَّ الجوزاء فيها شرع
 كان ليلاً فصيرتهُ نهراً كتبٌ تكبتُ العدى ورقاع^(٢)
 وقوله [من السريع]:

كأئما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة
 منصرف بالليل عن دعوى قد أسرجوا قدامه شمع^(٣)

وقوله (وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه) [من الرجز]:
 وجاء لاجاء الدجى كأنه من طلعة الواشي ووجه المرتقب
 وفعل الظلام بالضياء ما يفعل الحرف بأبناء الأدب
 وقوله [من الطويل]:

كانَّ النجوم الزهر في غلس الدجى سنا أوجه العافين في سنة الرد^(٤)
 وقد أبطأت خيل الصباح كأنها بخيلٌ تباطا حين سيل عن الرد^(٥)
 وقوله أيضاً [من الطويل]:

وليلة مشتاقٍ كأنَّ نجومها قد اغتصبتُ عين الكرى وهي نومٌ
 كأنَّ عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم^(٦)

(١) السنن : الشرائع والابتداع : من البدعة التي ليست من الشريعة .

(٢) تكتبهن : تحيرهن فلا يدرون جوابا .

(٣) أسرجوا : أوقدوا وأشعلوا وأناروا .

(٤) سنة الرد : سنة الدخل والريع ، أي السنة المخصصة .

(٥) الرد : العطاء .

(٦) شخصت : نظرت وتطلعت .

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجَرَ ضَاحِكٌ يَلُوحُ وَيَخْفِي أَسْوَدٌ يَتَسَمَّ

وَقَالَ فِي غُورِ الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّبَاحِ [مِنْ الْبَسِيطِ]:

عَهْدِي بِهَا وَضِيَاءُ الصَّبْحِ يَطْفِئُهَا كَالسُّرْجِ تَطْفَأُ أَوْ كَالْأَعْيُنِ الْعُورِ
أَعْجَبَ بِهِ حِينَ وَافَى وَهِيَ نِيرَةٌ فَظُلٌّ يَطْمَسُ مِنْهَا النُّورَ بِالنُّورِ

وَقَالَ مِنْ سَائِرِ الْأَوْصَافِ وَالتَّشْبِيهَاتِ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ]:

بَاتَ يَسْقِينِي وَيَشْرَبُ ذَهَباً لِلْهِمِّ مَذْهَبٌ
شَادَنُ يَحْمِلُ مَاءً فِيهِ نَارٌ تَتْلَهَبُ
وَرْدَةٌ ضَاحِكَةٌ عَنْ أَقْحَوَانٍ حِينَ يَقْطُبُ
لَوْ أَدْرِنَاهَا عَلَى مَيْتٍ لَكَانَ الْمَيْتُ يَطْرِبُ
لَيْتَ شَعْرِي أَسْرُوراً أَمْ مَدَاماً بَتُّ أَشْرَبُ
صَبٌّ فِي الْكَاسَاتِ مِنْهَا كَالشَّهَابِ الْمَتَصَوِّبِ^(١)
فَرَأَيْتُ الرِّيحَ شَرْقاً وَرَأَيْتُ الْهِمَّ مَغْرِبَ
عُصْنُ فَوْقَ كُثَيْبٍ وَنَهَارٌ تَحْتَ غَيْهَبٍ
لَكَ مِنْهُ مَطْرَبٌ يَرْضِيكَ إِنْ شِئْتَ وَمَضْرَبُ
جَنَّةٍ عَذَّبْتَ فِيهَا بَتَجَنُّ وَتَجَنَّبُ^(٢)
هَلْ رَأَيْتُمْ أَحَداً قَبْلِي بِالْجَنَّةِ عَذَّبَ؟
بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مِنْ بَعِيدٍ حِينَ تَقْرُبُ
لِي قَلْبٌ كَيْفَ مَا قَلَّبَهُ اللَّهُ يَقْلِبُ.
وَجَفَوْنَ يَغْضَبُ الْغَمُّضُ عَلَيْهَا حِينَ يَغْضَبُ
رَبٌّ لَيْلٍ كَتَجْنِيكَ مَقِيمٌ لَيْسَ يَذْهَبُ

(١) المتصوّب: الهابط والمنطلق.

(٢) التجنّب: الهجر.

قد قطعناه بعزمٍ كالحرّيق المتلهّب
وكأنّ البرق لما لاح فيه يتنصّب
كاتبٌ من فوق فرع السّغيم بالعقيان يكتب
وكأنّ الرعد حادٍ أو منادٍ أو مثوّب
ونجومُ الليل وقفٌ كلالٍ لم تثقب
وبدّ البدر كسيفٍ في يد الجوزاء مُذهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدحٍ من نهارٍ
هواءٌ ولكنّه ساكنٌ وماءٌ ولكنّه غير جاري
إذا ما تأملتُها وهي فيه تأملتُ نوراً محيطاً بنارٍ
وما كان في الحق أن يجمعا لبعد التداني وفرط النّفّار^(١)
ولكن تجانس معناهما السّبيطان فاتفقا في الجوار
كانّ المدير لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرّع ثوباً من الياسمين له فرد كمٍ من الجلنار^(٢)

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل] :

لم أنس دجلة والدجى متصوّبٌ والبدر في أفق السماء معرّبٌ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنّه فيها طرازٌ مُذهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] :

ورياضٍ حاكت لهنّ الثريا حلاً كان غزلها للرعود
نثر الغيث درّ دمعٍ عليها فتحلت بمثل درّ العقود

(١) فرط النّفّار : كثرتّه .

(٢) تدرّع : أي لبس .

أفحوانٌ معانقٌ لشقيقٍ
وعيونٌ من نرجس تترأى
وكانَ الشقيق حين تبدي
وكانَ الندى عليها دموعٌ

كثغور تعصّ ورد الخدود
كعيونٍ موصولة التسهيد
ظلمة الصدع في خدود الغيد
في جفونٍ مفجوعةٍ بفقيد

وقال في البرد [من البسيط] :

وليلةٌ ترك البرد البلاد بها
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصرأ
فنحن منه ولم نخرسُ ذوو خرسٍ

كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوجٌ
وإن تقلّ فقلّ لي فيه تثليج^(١)
ونحن منه ولم نفلج مفاليج^(٢)

وقال فيه أيضاً [من البسيط] :

أما ترى البرد قد وافتُ عساكره
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها
فانهضُ بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا

وعسكر الحركيف انصاع منطلقا
قد ألبست حبكاً أو غُثِّيت ورقاً^(٣)
في العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
برداً فصرنا كقلب الصّبّ إذ عشقا^(٤)

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ،
ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحبّ إليّ بنهرٍ معقلٍ الذي
عذبٌ إذا ما عبّ فيه ناهلٌ

فيه لقلبي من همومي معقلٌ^(٥)
فكأنّه في ريق حبٍّ ينهلٌ^(٦)

(١) الخصر : البارذ .

(٢) الفلج : من الفالج الذي يصاب به المرء وهو نوعٌ من الشلل .

(٣) الضريب : الصقيع ، والصنف .

(٤) الصّبّ : العاشق ، وسلا : نسي وتصبّر .

(٥) المعقل : من العقال وهو السجن والتقييد .

(٦) عبّ الماء : شربه بشوق .

متسلسلٌ وكأنته لصفائه
 وإذا الرياح جريْن فوق متونه
 وكأنّ دجلة إذ يغطّط موجها
 وكأنها ياقوتةٌ أو أعينَ
 عذبتُ فما تدري أماءُ ماؤها
 ولها بمدّ بعد جزرٍ ذاهبٍ
 وإذا نظرت إلى الأبلّة خلّتها
 كم منزلٍ في نهرها آلى والسرو
 وكأنما تلك القصور عرائسُ
 غنّت قيان الطير في أرجائها
 وتعانقت تلك الغصون فأذكرت
 ربع الربيع به فحاكت كفه
 فمدبّجٌ وموشحٌ ومدنرٌ
 فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا

دمعٌ بخديّ كاعبٍ يتسلسل
 فكأنه درعٌ جلاها صيقل
 مللٌ يُعظّم خيفةً ويبجل^(١)
 زرقٌ تلائم بينها وتوصل
 عند المذاقة أم رحيقٌ سلسل
 جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
 من جنة الفردوس حين تخيل^(٢)
 ر بأنه في غيره لا ينزل
 والروض فيه حليٌّ خود ترفل
 هزجاً يقل له الثقيل الأول
 يوم الوداع وغيرهم يترحل
 حلاً بها عقد الهموم تحلل^(٣)
 ومعمّدٌ ومحبرٌ ومُهلهل
 خدّاً يعضّضُ مرةً ويقبل

وكتب إلى الوزير المهلي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالآمن بعد تخوفٍ
 أكبّ على الآفاق إكباب مطرقٍ
 ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً
 غدا البرُّ بحرأً زاخراً وانثنى الضّحى

له في الشرى فعل الشفاء بمدنف^(٤)
 يفكر أو كالنادم المتلهّف
 فراح عليها كالغراب المرفرف
 بظلمته في ثوب ليلٍ مسجّف^(٥)

(١) يغطط : يموج ويضطرب .

(٢) الأبلّة : الشجر الثمر الذي تسقيه المياه وخلّتها : حسبّتها .

(٣) حاكت : نسجت .

(٤) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

(٥) السجفة : شدة الظلام .

يعبّس عن برقٍ به متبسّمٍ عبوس تحيل في تبسّم معنف
تحاول منه الشمس في الجوّ مخرجاً كما حاول المغلوب تجريد مرهف^(١)

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر]:

تحاول فتق غيمٍ وهو يأبى كعنينٍ يريد نكاح بكرٍ^(٢)

رجع :

فاترع ماءً وارد حوضه أسلسال ماءٍ أم سلافة قرقف^(٣)
أتى رحمةً للناس غيري فإنه عليّ عذابٌ ماله من تكشّف
سحابٌ عداني عن سحابٍ وعارض منعت به من عارضٍ متكفّف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو [من الخفيف]:

لست أدري ماذا أذمّ وأشكو من سماءٍ تعوقني عن سماءٍ
غير أنني أدعو على تيك بالشكّل وأدعو لهذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل]:

أتت رقعةً القاضي الجليل فكشّفتُ وساوس محزون الفؤاد ملهّفٍ
فأهدت نظاماً من قريضٍ كأنه نظام لآلٍ أو كوشيٍ مَقُوفٍ^(٤)
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما تكامل في مُهديهِ كلُّ التظرفِ
حوى منتهى الحسنى بأول خاطرٍ يكلفه في الشعر ترك التكلفِ

(١) المرهف : الماضي من السيوف .

(٢) العنين : العاجز في فحولته .

(٣) أترع : أشرب ، والقرقف : من أساء الخمر .

(٤) النظام : العقد ، والقريض : الشعر والمَقُوف : المزين والمنمّق .

قال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل] :

وقصيدة ألفاظها في النظم كالدرّ النثير
جاءت إليّ كأنها التوفيق في كلّ الأمور
بأرقّ من شكوى وأحسن من حياة في سرور
لو قابلت أعمى لأضحى وهو ذو طرف بصير
فكانت أمل تحقّق بعد يأس في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدمه بشرى البشير
أو كالمنام لساهر أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنّف أو كالغني عند الفقير
وكأنما هي من وصا لـ أو شباب أو نشور^(١)
لفظ كاسر معاندي أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور^(٢)
ورد الخدود إذا انتقلت به على درّ الثغور
غرر غدت وكأنها من طلعة الطبيّ الغرير^(٣)
من كلّ معنى كالسلا مة أو كتيير العسير
كتبت بحبر كالنوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا صل أو كاعتاب الدهور
أهديتها ياخير من يختار في كرم وخير

وقال في ثوف كتاب [من مجزوء الكامل] :

وافى كتابك مثلما وافى لمفقود بشير

(١) النشور : البعث من جديد .

(٢) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة .

(٣) الغرير : الجميل ، والخلق الحسن .

وكأَنه الإقبال جا ء أو الشفاء أو النشور
كأَنه شرح الشبا ب وعيشه الغضّ النضير
وافى وعير الليل وا قفة الركائب لا تسير
فأضاء لي من كل فجٍ منه فجرٌ مستنير
وارتدّ طرف الدهر عني وهو مطروفٌ حسير^(١)
ورأيت أفلاك السرو ر بكلّ ما أهوى تدور
وفضّضته فكأَنه أثواب وشيٍ أو حبير^(٢)
خطٌ وقرطاسٌ كأَنهما السوالف والثغور
وكأَنه ليلٌ يلو ح خلاله صبحٌ منير
ما بين خطٍ كالحياء إذا استتبّ لها السرور
وبدائع تدع القلوب تكاد من طربٍ تطير
في كل معنى للغني يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأسٍ أسير^(٣)
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلمٍ وما أرسى ثبير^(٤)

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل] :

أسيرٌ وقلبي في هواك أسير وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرٌ
ولي أدمعٌ غزرٌ تفيض كأنها جداً فاض في العافين منك غزيرٌ^(٥)

(١) الحسير : المنكفيء الخائب .

(٢) الحبير : الناعم الجديد من الثياب .

(٣) الفكاك : التحرّر من القيد وغيره .

(٤) ذو سلم : اسم مكان ، وثبير : إسم جبل .

(٥) الجداء : العطاء .

وطرفُ طريفُ بالسَّهاد كأنه لهاك وجيش الجود فيه مغير.
رياضكمُ خضرُ يرفُ نباتها ونوءكم رطبُ السحاب مطير
وجوهُ أكباد المحبين رقةً ولكنها يوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل] :

كتبت وليلي بالسَّهاد نهار وصدري لوراد الهموم صداراً^(١)
ولي أدمعُ غزُرُ تفيض كأنها سحائب فاضت من يدك غزارُ
ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى تلهَّب منه في المدامع نار
رحلت وزادي لوعةً ومطيتي جوانح من حرَّ الفراق حرار
مسيرُ دعاه الناس سيراً توسعاً ومعنى أسمه إن حقَّقه إसार
إذا رمت أن أنسى الأسى ذكَّرتُ به ديارُ لها بين الضلوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحلي وهل لي على صرف الزمان خيار
وهذا كتابي والجفون كأنما تحكَّم في أشفاهنَّ شفاراً^(٢)

الغزل من شعره

قال [من الكامل] :

حَوْرُ بعينه أطال تحيَّري ترك الدموع كخدَّه المتعصفر
غصنُ تأوَّد فوق دعصٍ من نقا ليلُ تبلَّج عن نهارٍ مسفر^(٣)
كالشمس إلا أنه متنفَّسُ عن مسكةٍ متبسَّمٍ عن جوهر
وأطال من ليلي وقصَّر ليلة أني سهرت وأنه لم يسهر

(١) الصدار : ثوب بلا كَمَين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي .

(٢) الشَّفار : السيوف القاطعة ، أو كلَّ حدٍّ قاطع .

(٣) التأوَّد : الميل والانعطاف .

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبي وجهك لو أشبهه منك الضيعُ
أنت بدرُ ماله في فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضاك شبابٌ لا يليه مشيب
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ
وقال في أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم
من أين أستر وجدي وهو منتهكٌ
والشمس أعظم جرمٍ حازه الفلكُ
ما للتميم في فتك الهوى درك^(١)
وقال فيه [من الوافر] :

لبستُ نحافة الغصن النحيف
يحوريّ المحاسن والمعاني
له في كلّ عضوٍ دعصُ رملٍ
أعشق لا عشقت أخا نحولٍ
إذا لمسته كفى لم تلامس
وذبت سوى ذمائي في ضعيفٍ
وإنسيّ المخايل والأليف
ثقل الجسم ذو روحٍ خفيف
سوى أني أخو الخلق الظريف
سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده في ديوانه [من السريع] :

قلت لأصحابي وقد مرّ بي
بالله يا أهل ودادي قفوا
منتقباً بعد الضياء بالظلم^(٢)
كي تبصروا كيف تزول النعم

* * *

(١) التيمم : العاشق ، والدرك : من تدارك الشيء : تلافاه قبل وقوعه .

(٢) المنتقب : المستتر .

١٢٠ - ابنه أبو علي المحسن ابن القاضي [التنوخي]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه
وفضله ، والفرع المثل لأصله ، والنائب عنه في حياته . والقائم مقامه بعد
وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيّرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرضَ لم أصفه إلا بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وله كتاب الفرج بعد الشدة ، وناهيك بحسنه . وإمتاع فنه . وما جرى من
القال بيمينه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال . وأسرى من الخيال .

أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من
ديوان شعر أبيه ، وإن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته . واشتد
الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت اتفسح في
الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره . وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار
منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبي نصر المذكور
وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه ، وهو [من
الطويل] :

خرجنا لنستسقي بين دعائه وقد كاد هذب الغيم أن يبلغ الأرضا^(١)
فلما ابتدا يدعو تقشّعت السما فما تمّ إلا والغمام قد انفضّأ^(٢)

(١) بين الدعاء : خيره وبركته .

(٢) تقشّعت : أي انكشفت وزال الغمام عنها وانفضّ المجلس : تفرّق بعد عقده .

وأنشدني غيره له ، وأنا مرتاب به لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته ، [من الطويل] :

أقول لها والحيّ قد فطنوا بنا وما لي على أيدي المنون براح^(١)
لِما ساءني أن وحشتني سيوفهم وأنك لي دون الوشاح وشاح
ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل] :

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد
كانه نسج على منوال المتنبي حيث قال [من الطويل] :

على ذا مضي الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامق^(٢)
ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهئة بشهر رمضان [من الخفيف] :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك الآله ما تتقيهِ
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر — بل مثل ليلة القدر فيه
وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار المذهبِ أفسدتِ نسكَ أخي التقي المترهب^(٣)
نور الخمار ونور وجهك تحته عجباً لوجهك كيف لم يتلهّب
وجمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيهما من مذهب
فاذا بدتْ عينٌ لتسرق نظرةً قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

* * *

(١) البراح : المتسع من الأرض ، أو الظهور والبيان .

(٢) القالي : المغضض ، والوامق ، المحبّ .

(٣) النسك : التعبّد والزهادة .

وأما ابنه أو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره ، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى الكرخي . وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع .

* * *

١٢١ - ابن لنكك البصري ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه ، والمروع اليه في لطائف الأدب وظرائفه طول أيامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخذه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبي^(١) ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار أبي ريش اليمامي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادهما من الأدب بما شقي به ، وحصل أبو الحسن على ثلبيهما ، والتشفي بذهمهما ، والقعود تحت المثل السائر « أوسعتهم ذما وأودوا بالآل » وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها في شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره ، وما أشبه شعره في الملاحاة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس . وأقدر أنه في الجبال، كهو في العراق، وكان يقال في منصور الفقيه: إذا رمى بزوجه قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب ، وأبدع فيما صنع ، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح ، وبلغني ان صاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] :

شعر الظريف ابن لنكك مهذبٌ ومحككٌ^(٢)

(١) كناية عن الشهرة .

(٢) المحكك : المراجع والمتقن .

مَذْهَبٌ وَمَمْسَكٌ بِمَثَلِهِ يَتَمَسَّكَ

* * *

ما أخرج من شعره في الشكوى، وذم الزمان وأهله

قال [من مجزوء الرمل] :

يا زماناً ألبس الأحـرار ذلاً ومهانةً
لست عندي بزمانٍ إنما أنت زمانه^(١)
كيف نرجو منك خيراً والعلا فيك مهانه
أجنونٌ ما نراه منك يبدو أم مجانه^(٢)

وقال أيضاً [من الطويل] :

زمانٌ رأينا فيه كلَّ العجائب وأصبحتِ الأذنان فوق الذوائبِ
لو أنَّ على الأفلاك ما في نفوسنا تهافتتِ الأفلاك من كلِّ جانبِ

وقال أيضاً [من الوافر] :

عجائب في زمانك شاهدات علب خرف من الفلك المحيطِ
يرى متيقظاً ما لا يراه إذا ما نام آكل قنبيط
لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية .

وقال [من المنسرح] :

عجبت للدهر في تصرفه وكلَّ أفعال دهرنا عجبُ
يعاند الدهر كل ذي أدبٍ كأنما ناك أمه الأدبُ

(١) الزَّمانَة : المرض الزمن .

(٢) المجانة : من المجون، وهو العبث والتلهي .

وقال أيضاً [من الطويل] :

يقولون لي أصبحت في العلم واحداً
فقلت صدقتم أيها الناس إنني
وفي الشعر والآداب مالك ثاني
كذلك ولكن في حِرٍّ أم زمني

وقال أيضاً [من الوافر] :

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا
وقالوا قد لزمت البيت جداً
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم
زمانٌ عزٌّ فيه الجود حتى
وخلفني الزمان على علوج
فقلت لفقد فائدة الخروج
قروداً راكبين على السروج
تعالى الجود في أعلى البروج^(١)

وقال في المعنى [من البسيط] :

جار الزمان علينا في تصرفه
عندي من الدهر ما لو أن أسره
وأَيُّ دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
يلقي على الفلك الدوار لم يدرِ

وقال أيضاً [من الخفيف] :

نحن والله في زمانٍ غشوم
يصبح الناس فيه من سوء حالٍ
لو رأيناه في المنام فزغنا
حقاً من مات منهم أن يُهنّا

وقال أيضاً [من البسيط] :

لا مكث الله دنيانا فقيمتها
دنيا تأبّت على الأحرار عاصيةً
ليست تفي عند ذي عقل بقيراط^(٢)
وطاوعت كل صفعانٍ وضراطٍ

(١) عزّ : ندر .

(٢) لا مكث : لا أبقى ، والقراط يختلف وزنه حسب البلاد ، في مكة ربع سدس الدينار ، وفي العراق .
نصف عشر .

وقال [من الوافر]:

زمانٌ قد تفرَّغ للفضول يسودُّ كلُّ ذي حمقٍ جهولٌ
فإن أحببتم فيه ارتياحاً فكونوا جاهلين بلا عقولٍ
وقال أيضاً [من البسيط]:

إن أصبحت هممي في الأفق عاليةً فإن حظي بطن الأرض ملتصقٌ
كم يفعل الدهر بي ما لا أسرُّ به وكم يسيء زمانٌ جائرٌ حنقٌ
كم نفخة لي على الأيام من ضجرٍ تكاد من حرِّها الأيام تحترق
وقال أيضاً [من المنسرح]:

نحن من الدهر في أعاجيب فنسأل الله صبر أيوبٍ
أقفر الأرض من محاسنها فابكٍ عليها بكاء يعقوبٍ
وقال أيضاً [من الكامل]:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف بلا أكناف^(١)
بطيالسٍ وقلانسٍ محشوقٍ يتعاشرون بقلّة الإنصاف^(٢)
ما شئت من حللٍ وفره مراكبٍ أبواب دورهم بلا أجواف^(٣)
وقال أيضاً [من المنسرح]:

لا تخذعنك اللَّحى ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقرٍ
تراهم كالسحاب منتشراً وليس فيه لطالبٍ مطرٍ
في شجر السّرو منهم مثلٌ له رواءٌ وماله ثمر^(٤)

(١) في خلف: أي في قوم.

(٢) الطيالس: الثياب التي تستر الجسم جمع طيلسان.

(٣) الأفرة: الجميل، والنشيط الخفيف.

(٤) الرواء: المظهر.

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :
فعدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الأياء

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسعداً في ذا الزمان رأيت رأي مخزق
إنفاق علمٍ في زمان جهالةٍ ترجو ودهر عمى وسخفٍ مطبق
كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً تنل الرغائب في الزمان وتنق
أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا يتجملون بكل قاصر أحرق
لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ موه عليهم ما قدرت ومخرق^(١)

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لم يبق حرّ إليه يختلف بل كل ندلٍ عليه مختلف^(٢)
يا فلکاً دار بالندالة والجهل إلى كم تدور يا خرف
فعاقلٌ ما يبل أنملةً وجاهلٌ باليدين يغترف^(٣)

وقال أيضاً [من الطويل] :

لعتنم جميعاً من جوف لبلدة تكتفهم جهل ولؤم فأفرطاً
وإن زماناً أنتم رؤساؤه لأهل لأن يخرى عليه ويضرطاً^(٤)
أراكم تعينون اللثام وإنني أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا
وقال أيضاً :

عدنا في زماننا عن طريق المكارم

(١) المخزقة : التلاعب والاحتيال .

(٢) الندل : الخادم ، والوسخ .

(٣) يبل أنملة : كناية عن الكسب ، أي أن العاقل فقيرٌ معدم ، والجاهل يغترف المال اغترافاً .

(٤) لأهل : أي مستحقٌ وجدير .

من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي رياش

كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذا^(١) دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي [من الرجز] :

كأتما قمل أبي رياش ما بين صئبان قفاه الفاشي^(٢)
وذا وذا قد لجّ في انتفاش شهدانج بُدّدَ في حشّحاش^(٣)
وكان مع ذلك شرها على الطعام ، رجيم شيطان المعدة ، حوتي الالتقام ،
وثعبان الالتهام ، سيء في المواكلة ، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة الى
القصة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيا له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوماً الوزير المهلي الى طعامه ، فبينا هو يأكل معه إذ امتخط في
منديل الغمر ، وبزق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت
نواتها فأصاب وجه الوزير ، فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفي شره أبي رياش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحه وحسن
التعريض [من الوافر] :

يطير إلى الطعام أبو رياش مبادرةً ولو واره قبر^(٤)

(١) الهذّ : هنا سرعة القراءة .

(٢) الصئبان : بيض القمل والبراغيث .

(٣) الشهدانج : حبّ القنّب ينفع من الحمى والبرص .

(٤) واره : ستره وأخفاه .

أصابه من الحلواء صفرٌ ولكنَّ الأخادع منه حمرٌ^(١)

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي . قال : أنشدني صاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هاني أفسد الشعر ضلّةً وشعر أبي تمامكم هو أضيعُ
أبا الريش، يا صفعان ، صفعات واجبٌ ولكن مضى من كان في الله يصفح

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبو رياش بغى والبغي مهلكةٌ فشدّوا العين ترموه بآبدته^(٢)
عبدٌ ذليلٌ هجا للحين سيّدهُ تصحيف كنيته في صدغ والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أأبا رياش يا قبيح المنظر يا منكرأ يُنمى إلى مستنكر
تصحيف كنيته التي كنيتهَا في است التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئت أن أبا رياش قد حوى علم اللغات وفاق فيما يدعي
من مخبري عنه فإني سائلٌ من كان حنّكهُ بأثر الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

على القبح الفظيع أبو رياشٍ يعاشرنا بأخلاقٍ ملاح
يبيح أكفنا أبداً قفاه فنصفعه على جهة المزاح

(١) الأخادع : عروق في العنق .

(٢) الآبدة : الداهية ، والقافية الشاردة .

وقال فيه وقد وليّ عملاً بالبصرة [من الكامل] :

قل للموضيع أبي رياشٍ لا تبُلْ تِهْ كلّ تيهك بالولاية والعمل^(١)
ما ازددت حين وليتَ إلا خِسَةً كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

* * *

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته في أخباره ، ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد
البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيثام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك
يتولع به ويبدع في هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسي تقيك أبا الهيثام كلّ أذى إنني بكلّ الذي ترضاه لي راضي
ما بال جعسك مركوباً على ذكرى يا أكرم الناس من باقٍ ومن ماضي^(٢)
ما كان أيري فقيهاً إذ ظفرت به كيف ألبسته دنيّةً القاضي؟^(٣)

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

حوي يوماً أبو الهيثام أيري وذاك بمثله أبداً حريّ
فبرّسَ رأسه بالجعس حتى تنكّر منه لي خلقٌ وزيّ^(٤)
فقلت هديت لم برنست أيري فقال لأن أيرك قرمطي

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنت ابن كل البرايا لكن اقتصروا على اسم حمزة وصفيّاً غير تسميخ
كدار بطيخ تحوي كلّ فاكهة وما اسمها الدهر إلا دار بطيخ

(١) تِهْ : افتخر .

(٢) الجعس : الرجيع .

(٣) الدنيّة : الخسّة .

(٤) برنس : إي ألبسه البرنس ، وهو ثوب رأسه منه ملتصق به ، أو القلنسوة ، الطويلة .

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا من تطيّبَ وهو من حرق استه
فشل الصيَال وما عهدنا دبره
وأراه في الكتب الجليّة زاهداً
قبّلته ولثمت فاه مسلّماً
فدنا إليّ على المكان وقال لي
إن كنت تلثمني بحقٍ فاسقني
قلقٌ يكابد كلّ داءٍ معضلٍ
مذ كان يفشل عن صيَال الفيشل^(١)
لا يستجيد سوى كتاب المدخل
لثم الصديق فم الصديق المجمل
أفديك من متشوّقٍ متغزلٍ
بلسان بطنك في فمي من اسفل

وقال في الرملي الشاعر [من الوافر] :

لأمّ الشاعر الرمليّ صدغٌ
فرغت ولم تكن فرغتُ فرامتُ
فقلت لها فديتك لا تجوري
صبورٌ ما علمت على الدّبّاغ
إدامة نيكها حتى الفراغ
فليس على الرّسول سوى البلاغ

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

إن الرميّليّ بليدٌ خاطرةٌ
يشعر ما دامت له دفاتره
* فالشعراء كلّهم خواطره *

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الرمل] :

حلف الرمليّ فيما اقتص عني وحكاه
يدّعي يوم اصطلحنا أنني قبّلت فاه
لم أقبل فاهُ لكن قبّلت نعلي قفاه

(١) الصيَال : التواثب والقفز . والفيشل : الضخم الرأس يعني به الذكّر .

وقال في المبرمان النحوي [من الوافر] :

صداعٌ من كلامك يعترينا وما فيه لمستمع بيانُ
مكابرةٍ ومخرقةٍ وبهتٌ لقد أبرمتنا يا مبرمان^(١)

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل والشراب

قال [من الوافر] :

حبيبٌ جفوتي فرضٌ عليه مفريٌ في الهوى منه إليه
إذا لحظاته قتلتُ محباً تشحطُ منه في دم وجنتيه^(٢)

وقال أيضاً [من الوافر] :

أطمع أن تحبّ ولا جفونٌ مؤرقةٌ ولا قلبٌ جريحٌ
فأين هوىٌ تذوب به وتبلى أراك تظنُّ أنَّ الزمرريح^(٣)

وقال أيضاً [من الوافر] :

وروضٌ عبقيّ الوشى غضٌ يشاكل حين زخرف بالشقيق^(٤)
سماء زبرجدٍ خضراء فيها نجومٌ طالعاتٌ من عقيق
خليليّ اسقياني الراح صرفاً إذا وحريق قلبي بالرحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامي أشوب بريق من أهواه ريق

(١) البهت : الزور والكذب ، والبرم : القرف والملل .

(٢) تشحط : تحبط واضطرب .

(٣) الزمر : صوت المزمارة .

(٤) الشقيق : زهرٌ أحمر .

وقال أيضاً [من الخفيف]:

قد شربنا على شقائق روضٍ شربت عبرة السحاب السكوبِ
صبغتُ من دم القلوب فما تبصر إلاّ تعلّقت بالقلوب

وقال أيضاً [من المنسرح]:

أمرٌ غدٍ أنت منه في لبسٍ وأمسٍ قد فات فاله عن أمسٍ
وإنما العيش عيش وقتك ذا فبادر الشمس بآبنة الشمس

وقال أيضاً [من الوافر]:

أقول لصاحبي والراح روحٌ لجسم الكأس في كفّ النديمِ
وقد حبس الدجى عنا بواكٍ تسيل نفوسها فوق الجسومِ
ونحن من المسرة في سماءٍ فمن سارى الضياء ومن مقيمِ
شموعك والكؤوس مع الندامى نجومٌ في نجومٍ في نجومِ

وقال في قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر]:

فديتك لو علمت يبعث ما بي لما جرّعتني إلاّ بمسعط^(١)
فحسبك أن كرمأ في جوارى أمرٌ ببابه فأكاد أسقط

وله في مثل ذلك [من المجث]:

لو أنني مسعيٌّ شربت ما شئت حيناً
لكنني عهديٌّ فاعرف حديثي يقينا
قرأت عهداً كرمٍ فكان سكري سنيماً

(١) المسعط: الإنباء الذي يجعل فيه السعوط.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

أيها الشيخ الذي برّ	ز قدماً في السيادة
والذي أعطاه أهل الـ	أرض في السبق المقاده
وأقرّ الكلّ منهم	أنّه عين القلاده
أنا يكفيني من المشـ	روب ما يكفي جراحه
وحديثي طال فيه	مثل تفسير قتاده ^(١)
وهو إبرامٌ ونقضٌ	فاكفيني فيه الإِعادَه ^(٢)

* * *

ما أخرج من ملحه في سائر الفنون

قال [من الطويل] :

تولّى شبابٌ كنت فيه منعماً	تروح وتغدو دائم الفرحات
فلمست تلاقيه ولو سرت خلفه	كما سار ذو القرنين في الظلمات

وقال [من الطويل] :

فراقٌ أخلائي الذين عهدتهم	يوكلّ قلبي بالهموم اللّوازم
وما ذا أرجي من حياةٍ تكدرتْ	ولو قد صفتْ كانت كأضغاث حالم ^(٣)

وقال أيضاً [من الكامل] :

نكرتْ نحولي وهو من فرط الأسى	لفراق إخوانٍ عليّ كرام
وتعجّبت للشيب ، لا تتعجّبي	هذا غبارٌ وقائع الأيام

(١) قتادة : أحدرجال الحديث والمفسرين .

(٢) الإبرام : العقد ، والنقض : التحلل منه .

(٣) الأضغاث : الأوهام .

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

قالت كبرتَ وشبتَ قلت لها هذا غبار وقائع الدهر
وقال أيضاً [من الوافر] :

إذا خفق اللواء عليّ يوماً وقد حمل امرؤ القيس اللواء^(١)
رجوت الله لا أرجو سواه لعلّ الله يرحم من أساء
وقال أيضاً [من البسيط] :

إذا أخو الحُسن أضحى فعله سمجاً رأيت صورته من أقبح الصور^(٢)
وهبك كالشمس في حسنٍ ألم ترنا نفرٌ منها إذا مالت إلى الضرر
أخذه الصاحب فقال [من المتقارب] :

يقال تركت الذي حسنه يكاد يخجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمي إذا بسطت في المصيف الأذى
وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

نحن بالبصرة في لو نحن ما هبت شمال
نحن ما هبت جنوب فكأننا في كنيف
بين جنّاتٍ وريف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

ليس في البصرة حرٌّ لا ، ولا فيها جوادُ

(١) خفق : أي ظلّله وعلاه ، وخفقت الأعلام : ارتفعت وتحركت بالهواء .

(٢) السمج : المكروه المستقل .

إنما البصرة أنشا ب ونخل وسماد^(١)

* * *

١٢٢ - ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد ، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه [من السريع] :

وعصبة لما توسطتهم صارت علي الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس إذا زارهم لأنهم عار على آدم

بقوله [من السريع] :

لا تصلح الأرض ولا تستوي إلا بكم يا بقر العالم
من قال للحرث خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولم يائم
ما أنتم عار على آدم لأنكم غير بني آدم

وقال أيضاً [من السريع] :

وليلة أرقني طولها فبتها في حيرة الذاهل
كأنما اشتقت لإفراطها في طولها من أمل الجاهل

وقال أيضاً [من المنسرح] :

يا سفلاً أوقظوا بخستهم لكن عن الجود والندى ناموا
لا تكذبوا صح أنكم نعم عندكم للزمان أنعام^(٢)

* * *

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو الحطب وشجر القسي .

(٢) النعم : الحيوانات الداجنة .

١٢٣ - أبو عبد الله الحسين بن علي النمري

صاحب أبي رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر ، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوي القويم ، والنظم الطريف المليح .

فمما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفایتین أبي الفتح ، وكان ورد عليه الري فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها	بل آه من تذكاهنّ وآها ^(١)
فالى الحرينة فالجينة فالربى	مغنى الأوبة حبّذا مغناها ^(٢)
روضٌ كلفتُ بنوره وبنوره	وربى ألفت هواءها وهواها
أصبو إلى أترابها وترابها	ومهاة عيشي في ظلال مهاها
فيهنّ شمسٌ لا تروم عيوننا	حذر العيون سناءها وسناها
نمرية من دونها متمرّ	أخشى شباه تارةً وشباها ^(٤)
ماذا على النمر الكرام عشيرتي	لو ضمّ بين فتاتها وفتاها
فتيان صدق كالشموس تعودت	قنص النفوس ظباؤها وظباها
يا من لنفسٍ شطرها في بلدٍ	بذرى العراق وشرها بسواها
ظمئي إلى حوّ الشفاه ، وإنما	حوّ الشفاه سقامها وشفاهها ^(٥)
ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا	وقد ارتوى منها كما أرواها

(١) واهاً : كلمة تلهّف على مافات من الأيام الطيبة .

(٢) الحرينة والجريئة : موضعان .

(٣) المهاة الأولى : البلور الصافية ، والمهى الثانية : كناية عن النساء .

(٤) السّبا : اشتعال النار ، أو الحدّ القاطع .

(٥) حوّ الشفاه : أي تميل الى السّم والسود

وجلست في النادي الذي حاز الندى
 دارٌ عرفت معانقة الكرى
 عاتبت مكرمة الزمان فأعتبت
 ملكٌ أغرَّ وبركةٌ لجيةٌ
 يحبوك ذا المال الجزيل وهذه السماء
 روضٌ إذا جرت الرياح مريضةً
 وإذا تقابلت الندامى وسطه
 يتسلسل الماء الزلال خلاله
 تنسلُّ أو تنساب غير لواذعٍ
 وأخذت من أقماره وشموسه
 من أبيضٍ يققٍ وأصفرٍ فاقعٍ
 قد ضوعفت زنةً فزادت زينةً
 خيفت عليهن العيون فعوذت
 يا ابن العميد عميد دولته الذي
 ما أنت إلاَّ صحَّةٌ مكلوذةٌ
 فإذا مرضت ولا مرضت فإنه
 لم تنسِكَ الأمراض ذكر صنائعٍ
 فاسلم لدولتك التي وطَّدتها
 وله من قصيدة كتب بها إلي وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته.

(١) رقاها : صعودها .

(٢) البقق : الشديد البياض ، والفاقع : الذي لا يخالطه لون آخر ، ومعن : ماضٍ مسند لنون النسوة ،

ماع يبيع : أي سال .

(٣) وطَّدتها : أرسيت دعائم ملكها .

المشكورة في مهاداتي بطرائف الآداب التي تصلح لهذا الكتاب [من مجزوء
الكامل] :

سرت النجائب بالنجائب ترمي الكواكب بالكواكب^(١)
ترمي تجاهات المشا رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملك تحكّم في رغائبه الرغائب
ملك تبوّاً من علا ه في النواصي والذوائب
حيث السوابغ والسوا بق والنجائب والجنائب^(٢)
يهب المنعمة الكوا عب والمطهّمة السلاهب^(٣)

ومنها :

زرناك من أرض البصيرة شاحبين على شواحب^(٤)
نرد المناهل كالمجا هل والسباسب كالسيائب^(٥)
لاريّ دون الريّ والبحر العظامذي الغوارب^(٦)
بحرّ جواهره طوا فـ في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لا ولا اللجج الكواذب^(٧)
كم من طباء بالبصيرة في المقاصر والسباسب^(٨)
إنس ووحش يشتهن سوى الذوائب والحقائب

(١) النجائب : النوق ، والنجائب من القوم : السادة وقد جانس هنا جناساً تاماً .

(٢) السوابغ : الدروع .

(٣) المطهّمة : الخيول ، والسلاهب : الطويلة .

(٤) الشواحب : النوق الهزيلة .

(٥) السباسب : القفار .

(٦) القظامط : كثير الأمواج وغزير الماء .

(٧) الكواذب : التي تحدث الغمّ والكرب .

(٨) المقاصر : الأخبية .

أدم يقاسمن الأرا لك جناء والقضب الرطائب
 فلا نسها أغصانه تجلو به برد السحاب
 ولوحشها غضّ الجنى عبث المعازف والملاعب
 نصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب^(١)
 يا ربّ يومٍ لي كظلك أو كظنك أو يقارب
 رقت حواشيه وغضّت عين واشيه المراقب
 قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب^(٢)
 وتبرّجت لذاته للخاطبين وللخواب^(٣)
 نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
 وكسونني حلاً صقل من خواطري صقل القواضب^(٤)
 حلاً قديباج الخدود مطرّزات بالشوارب
 فلتشكرن رياضنا جدوى سحائبك الصوائب
 ولتنظمن لك القصا ند كالقلائد للكواعب^(٥)

* * *

١٢٤ - المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب ، له مصنفات كثيرة ، وهو صاحب ابن دريد والقائم
 مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء ، وفيه قيل [من مجزوء الكامل] :
 إن المفجع ويله شرُّ الأوائل والأواخر

(١) الخراعب : جمع خرعة ، وهي الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في أعلى الجبين .

(٣) تبرّجت : تزوّجت وأسفرت .

(٤) القواضب : السيوف القواطع .

(٥) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما تضعه الفتاة في عنقها من عقد أو حلّ والكواعب الفتيات النواهد .

ومن النوادر أنه يملئ على الناس النوادر

كأنه من قول أبي تمام [من الوافر]:

ومالك بالغريب يد ولكن تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل]:

ومن المظالم أن قعدت على المظالم يا فزارة

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر

الخوارزمي قال : قال لي اللحم : أنشدني المفجع لنفسه [من الخفيف]:

لي أيرأ أراحني الله منه صار همّي به عريضاً طويلاً

نام إذ زارني الحبيب عناداً ولعهدي به ينيك الرسولا

حسبت زورة عليّ لحيني فافترقنا وما شفيننا غليلاً

فقلت فيه [من الكامل]:

إنّ المفجع فالعنوه مؤثث نغلّ يدين ببغض أهل البيت^(١)

يهوي العلوق وإنّما يلقاهم بمؤخر حيّ وقُبِل ميت^(٢)

وأنشدني أبو الحسين الشهرزوري الحنظلي . قال : أنشدني المفجع

لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف]:

زفرا تعتادني عند ذكراك وذكراك ما يريم فؤادي

وسروري قد غاب عني مدغبت فهل كنتما على ميعاد

حاربتني الأيام فيك أبا سعد بسيف الهوى وسهم البعاد

(١) النغل : ابن الزنى .

(٢) العلوق : الأولاد .

ليس لي مفزع سوى عبراتٍ من جفونٍ مكحولةٍ بالسَّهادِ
في سهادي لطول أنسي بذكرِ كاعتيسُ عن الكرى والرقاد^(١)
وبحسبي من المصائب أني في بلادٍ وأنتم في بلاد

وأنشدني أبو نصر الروذبادي الطوسي للمفجع [من الهزج] :

ألا يا جامع البصر ة لاخرَبَكَ اللهُ
وسقى صحنك المزن من الغيث فرواه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليح فيك مرعاه
نصبا الفخّ بالعلم له فيك فصدناه
بقرآنٍ قرأناه وتفسيرٍ رويناه
وكم من طالبٍ للشعر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا م حتى لان مثناه
وحتى ثبت السرج عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر د كذبٌ ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلنا فما بالجدّ قلناه
ولو كان من البعض برياً حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب إليه تتلاقاه
فبالدرهم يستنز ل ما في الجو مأواه

ومن ملحّه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج
ونارنج وأراه أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ شيطانك في الظر ف لشيطانٌ مريد^(٢)

(١) الكرى : النعاس .

(٢) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

فلهذا أنت فيه تبتي ثم تعيدُ
قد أتتنا تحفة منك على الحسن تزيدُ
طبقُ فيه قدودٌ وخدودٌ ونهود

وقوله في غلام مغنٍ جدر فازداد حسناً [من السريع] :

يا قمراً جدرٌ حين استوى فزاده حسناً وزادت همومُ
كأنما غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

سيدي أنت إنَّ عبدك أمسى خافقاً قلبه خفوق الجناحِ
فاغتتم غفلة الرقيب وزره في رداءٍ من الدجى ووشاح

وقال ، ويروي لابن لنكك [من السريع] :

لنا سراجٌ نوره ظلمةٌ ليس له ظلٌ على الأرض
كأنه شخص الإمام الذي تبغي الهدى منه أولو الرفض^(١)

ومن ظريف قوله في الهجاء [من السريع] :

فسا على قومٍ فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال لا عدت فقالوا له من نتن فيه ذا كما كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى

حاطب ليل للمفجع البصري يقول [من الوافر] :

أداروها ولليل اعتكارُ فخلت الليل فاجأه النهارُ
فقلت لصاحبي والليل داجٍ ألاح الصبح أم بدت العقار

(١) أولو الرفض : أي الشيعة .

فقال هي العقار تداولوها مشعشةً يطير لها شرار
فلولا أنني أمتاح منها حلفت بأنها في الكأس نار^(١)

* * *

١٢٥ - نصر بن أحمد الخبز أرزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه ، ثم تذكرت
قرب عهده وتكلف ابن لنكك جمع ديوان شعره . فسنح لي أن أضمن هذا
الكتاب . لمعاقد علقت بحفظي منه ، والإعراض عن التصفح لباقي شعره وترك
الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملح ، وعلى ذكره . فقد بلغني من غير جهة
أنه كان أُمياً لا يكتب ولا يتهجى ، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة ،
فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ،
ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون
في ميله إليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته . وكان ابن
لنكك - على ارتفاع مقداره - يتتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوماً وعليه ثياب
بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه ، فانصرف وكتب إليه [من الوافر] :

لنصر في فؤادي فرط حبّ ينيف به على كلّ الصحاب^(٢)
أتيناه فبحرنا بخوراً من السّعف المدخن بالتهاب
فقمتم مبادراً وحسبت نصراً يريد بذاك طردي او ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين فقلت له إذا اتّسخت ثيابي

فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات ، أملى على من كتب له في.

(١) أمتاح : أغرف .

(٢) ينيف : يزيد .

ظهرها هذه الأبيات [من الوافر] :

منحت أبا الحسين صميم وديّ فداعبني بألفاظٍ عذابٍ
أتى وثيابه كالشيب لوناً فعُدّن له كريهان الشباب
وبغضٍ للشيب أعدّ عندي سواداً لونه لون الخضاب
فإن يكن التفزز فيه فخراً فلم يكنى الوصيُّ أبا تراب^(١)

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكردون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوارد أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالدين وغيرهم من المحسنين ، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان ، حتى تقشر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط] :

أظنّ دعوته في الشعر جائزةً له عليّ كما جازت على النسبِ

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي [من المنسرح] :

يقول تصرّأبي فقلت لهم عندي بهذا شهادة حسنة
نعم ولكنّ أمّه حملت من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل] :

خليليّ هل أبصرتما وسمعتما بأكرم من مولى تمشّى الى عبدٍ
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعدِ

(١) التفزز : فززته وبززته : إذا غررته وغلبته . والوصي : الإمام علي عليه السلام ، وقد كناه الرسول ﷺ بهذا اللقب فكان أحبّ الألقاب إليه .

فطوراً على تقبيل نرجس ناظرٍ وطوراً على تعضيض تفاحة الخدّ
وقوله [من مجزوء الرمل] :

من يكن يهواه للخلق فإني عبد خلقه
إن حسن الخلق أبهى للفتى من حسن خلقه

وقوله [من البسيط] :

قالوا عشقت صغيراً قلت أرتع في ربيع حسنٍ دعائي لافتتاح هوى
روض المحاسن حتى يدرك الثمر^(١) لما تفتّح منه النور والزهر^(٢)
وقوله [من المنسرح] :

وددت أني بكفه قلمٌ يأخذني مرةً ويلثمني
أو أنني مدّة على قلمي إن علقت منه شعرة بفمه

وقوله [من البسيط] :

قد قلت إذ خان صبري من كلفت به إن كان شاركني في حبه وقحٌ
ولم يكن عنه لي صبرٌ ولا جلدٌ^(٣) فالنهر يشرب منه الكلب والأسد
وقوله [من الكامل] :

لا تعشقن ابن الربيع فإنه وجه كعبادان ليس وراءه
عند التجرد آية الآيات لمحبّه شيء سوى الخشبات^(٤)

(١) أرتع : أمرع وأتنعّم .

(٢) النور : الأكمام من الزهر .

(٣) كلفت به : عشقته .

(٤) عبادان : جزيرة ، والخشبات : موضع وراءها .

وقوله [من الخفيف] :

تتجنّى عليّ ذنباً وتعتلّ بأنّ قد رأيت منّي ذلّة
لعن الله قرّبةً ليس فيها لفتى يطلب التعلّة علّه

وقوله [من الطويل] :

ألم يكفني ما نالني في هواكم إلى أن طفقتم بين لاءٍ وضاحك^(١)
شماّتكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار بل طنز مالك^(٢)

وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال : أنشدني
عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال : أنشدني نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه
[من الخفيف] :

شاقني الأهل لم تشقني الديار والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا
جيرةً فرقتهم غربة البيــــن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناسٍ رعوا لنا حين غابوا وأناسٍ جفوا وهم حضّار^(٣)
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ثم مالوا، وأنصفوا ثم جاروا^(٤)
لا تلمهم على التجنّي فلولم يتجنّوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه له من قصيدة [من البسيط] :

ورد الحدود ورمّان النهود وأغــــــصان القدود تصيد السّادة الصّيّدا^(٥)

(١) طفقتم : ظفرتم وجعلتم .

(٢) الطنز : السخريّة والاستهزاء .

(٣) رعوا المودة : وصلوها وحنّوا إليها .

(٤) أعرضوا : صدوا وأشاحوا .

(٥) الصيد : الكرام السادة .

شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والردف مرتدفاً والقَدَّ مقدوداً

* * *

١٢٦ - أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة
[من المتقارب] :

رأيت الهلال وقد أحدقته نجوم الثريا لكي تسبَّه
فشبهته وهو في إثرها وبينهما الزهرة المشرقة
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً فأتبع في إثره بندقه^(١)
وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف] :

قارن الزهرة الهلال، وكانا في افتراقٍ ما بين صدٍّ وهجرة
فاذا ما تقارنا قلت طوقٌ من لجينٍ قد علقت فيه درة
وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جمشته نشر الورد عليه ورقه^(٢)
وإذا مدت يدي طرته أفلتت مني وعادت حلقة^(٣)

* * *

١٢٧ - أبو الحسين الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدني أبو الحسين الظاهر
البصري لنفسه قوله [من البسيط] :

نفسي الفداء لمن جاءت تودعني يوم الفراق بقلب خائفٍ وجلٍ

(١) البندق : رصاص صغير كروي الشكل يستعمل في بعض القذائف للقتال والصيد .

(٢) جمشته : داعبته .

(٣) الطرة : الخصلة من الشعر التي تعلق الجبين .

(٤) الوجل : الخوف .

قد كنت فارقتُ روحي خوفَ فرقتها لكن حيت بطيب الضّم والقبل
وله من قصيدة في مفصود [من البسيط] :

كأنما دمه في الطست حين جرى صرفٌ من الراح في قعبٍ من الذهب^(١)
حتى إذا رجعت في كفه يده كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب
كانت كما قال في القرآن خالقنا واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله في وصف حية قتلها في بعض أسفاره [من الرجز] :

عرفت في الأسفار ما لم أعرف من كل موصوفٍ وما لم يوصفِ
آليت لا أنصف من لم ينصف ولا أفي دهري لخلٍّ لا يفي
سرت وصحبي وسط قاعٍ صفصف إذ أشرفت من فوق طودٍ مشرف^(٢)
رقشاء ترنو من قليبٍ أجوف تومي برأسٍ مثل رأس المجدف^(٣)
في ذنب مندمجٍ معقف حتى إذا أبصرتها لا تنكفي^(٤)
علوتها بحدٍّ سيفٍ مرهف فظل يجري دمها كالقرقف^(٥)

* أتلفتها لما أرادت تلفي *

(١) الصرف من الراح : الخمرة الصافية ، والقعب : الإناء .

(٢) الصفصف : المستوى المنخفض والطود : الجبل .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تنكفي : تراجع وتهرب .

(٥) المرهف : الحاد القاطع ، والقرقف : الخمرة .

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد
وسياق ملحمهم ولطائفهم

١٢٨ - ابن التمار الواسطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحه ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا ، وقد
بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد ، كقوله [من البسيط] :

أما ترى اليوم في أثوابه الجدد يحكيك يا غرة الأيام والأبد
فاشرب وسقّ الندامى من مشعشة كلون خدك لم تنقص ولم تزد
على غدير إذا هبّ النسيم به أبصرته من حبيك الريح كالزرد^(١)

وله [من الكامل] :

الخمير شمسٌ في غلالة لاذٍ تجري ومطلعها من الخرداذي^(٢)
فاشرب على طيب الزمان فيومنا يوم التذاذ قد أتى برذاذٍ
وانظر إلى لمع البروق كأنها يوم الضراب صفائحُ الفولاذ
وقوله عفا الله عنه [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنوبِ واجمع بكأسك شمل اللهو والطربِ

(١) الحيك : النسيج .

(٢) اللاذ : حرير أحمر صيني والخرداذي : الخمر .

أما ترى الليل قد ولّت عساكره مهزومةً وجيوش الصبح في الطلب
والبدر في الجانب الغربيّ تحسبه قد مدّ جسراً على الشطّين من ذهب

* * *

١٢٩ - أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه ، وديوان شعره ضالتي المنشودة ، ودرتي المفقودة ، ولا بأس من حصوله ، أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته في طول الليل [من البسيط] :

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا والليل أطوله كاللّمح بالبصر
فالآن ليليّ مذ غابوا فديتهم ليل الضّرير فصبحي غير منتظر
وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر] :

أراح الله نفسي من فؤاد أقام على اللّجاجة والخلاف^(١)
ومن مملوكة ملكة رقاها ذوي الألباب بالخدع اللّطاف
كان جوانحي شوقاً إليها بنات الماء ترقص في حقاف^(٢)

وأنشدني ميمون الواسطي ، قال : أنشدني سيدوك لنفسه [من الوافر] :

أظن بليّة دهمت فؤادي وأحسبها غزال بني سليم
والآ لم يغب فتعتريني مدلّة ضيمه من غير ضيم^(٣)

(١) اللّجاجة : الإلحاح .

(٢) الحقاف : جمع حقف ، وهو الموج من الرمل .

(٣) يغب : يتعد .

ولي عينٌ إذا فقدته صارت كعين الشمس ملبسةً بغيم
وأنشدني له أيضاً [من مخلع البسيط] :

أنت من القلب في السواد وموضع السرّ من فؤادي
يا ساكناً في سواد عيني وبين جفني والرقاد
لم تنأ لما نأيت عني ولا تباعدت بالبعد
وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

جنت صبحه الأضحى عليّ فأذهبتُ فؤادي فلا ضرّي ملكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحر ما لك مهدياً لنحري سهم النحر نبت عن الشرع^(١)
وله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

حذري عليك أشدّ من حذري على بصري وسمعي
إن كنت تنكر ما أقو ل فهاك سل سهري ودمعي

ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات [من المتقارب] :
جعلت فداءك قد زارني أخلاء أعظم أقدارهم
وعزمي أكون لهم ساقياً فكن بأبي أنت خمارهم

* * *

١٣٠ - أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا مما أنشدنيه
ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط] :

مشتاقاً طرقتُ في النوم مشتاقاً أهلاً بمن لم يخن في العهد ميثاقاً

(١) نبت : جاوزت وأعرضت .

أهلاً بمن ساق لي طيف الأحبة من
يا زائراً زار من قربٍ على بعد
الله يعلم لو أنني استطعت لقد
يا ليل عرجٍ على إلفين قد جعلاً
ضاق العناق وضمّ الشوق بينهما
وأنشدني له أيضاً [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار المشمشي
يا من غدا قلبي كنرجس طرفها
هذا الربيع بصحن خذك قد بدا
فمتى أبيت معانقاً لبهاره
وأنشدني له أيضاً [من الطويل] :

سقاني وحيّاني وبات معانقي
ويا ليلةً باتت سواعدنا بها
نبثٌ من الشكوى حديثاً كأنه
وأنشدني له [من الكامل] :

يا راحلاً ترك البكاء مباحاً
إن اخلفتني فيك أسباب المنى

أرض الأحبة ، بل أهلاً بمن شاقاً^(١)
آنست مستوحشاً لا ذقت ما ذاقاً
أفرشت ممشاك احداقاً وآماقاً^(٢)
عقد السواعد للأعناق أطواقاً
ضمّ القرينين أعناقاً فأعناقاً

كم ذا الدلال عدمت كلّ محرّشٍ^(٣)
في الحبّ لا صاحٍ ولا هو منتشي
لمقبّلٍ ومعضّضٍ ومخمّشٍ
ولورده المستأنس المستوحش^(٤)

فيا عطف معشوقٍ على ذلّ عاشقٍ
تدور على الأعناق دور المخانق
قلائد درّ في نحر العواتق^(٥)

مارحت أنت ، بل اضطباري راحاً
وغدوت لي سقماً وكنت صلاحاً

(١) شاق : أتعب .

(٢) الآماق : مجاري الدمع .

(٣) المحرّش : المفسد .

(٤) البهار : الضوء والبياض .

(٥) العواتق : الفتيات في أوّل نهادهن .

فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى وعهدت وجهك في الظلام صباحاً
وأنشدني له [من الكامل] :

ما الرأي عندك أيها البدر في عاشقٍ لك خانهُ الصبرُ
وقَعَ برأيك فوق قصّته يا مَنْ إليه النهي والأمر
لو أنّ حسناً زاد في عمرٍ لازددت عمراً بعده عمر

* * *

١٣١ - أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهي في ابن
بقية لما قتل وصلب ، وقد أثبتتها كما هي [من الوافر] :

علوّ في الحياة وفي الممات لحقّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نذاك أيام الصّلات^(١)
وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلّوا عليه خاشعين كأنهم وفودٌ وقوفٌ للسلام عليه
رجع :

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالاً كمدّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستابوا عن الأكفان ثوب السافيات^(٢)

(١) الصّلات : المنح والمطايا .

(٢) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غباراً .

لعظمك في النفوس تبيت ترعى
وتشعل عندك النيران ليلاً
ركبت مطيةً من قبل زيدٍ
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍ
ولم أر قبل جذعك قطُّ جذعاً
أسأت إلى النوائب فاستثارت
وكنت تجير من صرف الليالي
وصير دهرك الإحسان فيه
وكنت لمعشرٍ سعداً فلما
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي
أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط] :

لم يظلم الدهر أن توالى
كنتم تجيرون من يعادي
عاد :

ولو أنني قدرت على قيامي
ملأت الأرض من نظم القوافي
ولكنني أصبر عنك نفسي
ومالك تربةٌ فأقول تسقي
عليك تحيةً الرحمن ترى
بفرضك والحقوق الواجبات
ونحت بها خلاف النائحات
مخافة أن أعدّ من الجنة
لأنك نصب هطل الهاطلات
برحمتٍ غواٍ رائحات^(٣)

* * *

(١) الجذع : الأرومة .

(٢) الترات : جمع ترة وهي الثار .

(٣) تترى : أي متتابعة بعضها بعد بعض .

١٣٢ - أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين ، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله في خط العذار ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة [من الخفيف] :

لي حبيبٌ يزهى بحسنٍ عجيبٍ وبقدٍّ مثل القضيبي الرطيبِ
أحرقَت بالسواد فضّةً خديهِ فقد أحرقَت سواد القلوبِ

وقوله في وصف التمر [من المجث] :

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظارِ
مخازناً من عقيقٍ قد قمّت بنصار^(١)
كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشفّ مثل كؤوسٍ مملوءة من عقار^(٢)

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر] :

فصوص زبرجدٍ في غلف درّ بأقماعٍ حكتْ تقليم ظفرِ
وقد صاغ الإله ثياباً لها لونان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلوب بكلّ أرضٍ ونقلٍ ما يملّ لشرب خمر^(٣)

وله في الرمان [من الوافر] :

ورمان رقيق القشر يحكي ثديّ الغيد في أثواب لا ذ^(٤)
إذا قشّرتَه طلعت علينا فصوصٌ من عقيقٍ أو بخاذ^(٥)

* * *

(١) قمّت : زينت ، والقمع ، التصق بأسفل التمرة أو نحوها حول علاقتها .

(٢) يشفّ : يرقّ .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر من فستق وغيره .

(٤) اللاذ : الحرير الأحمر .

(٥) البخاذ : فارسية ، وهي من الجواهر التي لونها احمر .

١٣٣ - أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب

رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني أبو سليمان المنطقي
ببغداد ، قال : أنشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياسُ
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي . وسكان بغداد همُ الناسُ
وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيشٍ ولكنني عقدت من خيشي طاقين^(١)
دار إذا ما اشتد حرُّ بها أنشدت للصولي بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركي العيا دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك - يا أكرم الناس - مدثفا
طال خوفي عليك فا لحمد الله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر [من المجث] :

أبا سعيد أصخ لي يا سيدي ونديمي^(٢)
منيت أمس بأمرٍ من الأمور عظيمٍ
حصلت عند صديقٍ حرٌّ ظريفٍ كريمٍ

(١) الخيش : نسيج من الكتان الرديء .

(٢) أصخ لي : استمع وانتبه .

أسقي على شدة دسيسة فتفتي همومي^(١)
فكنت حين تغني لدي جنان النعيم
وإن نظرت إليها ففي العذاب الأليم
وإن شربت بصوت فالراح بالتسليم^(٢)
وإن شربت بلحظ فالمهل بالزقوم^(٣)
فكان سمعي بخير ومقلتي في الجحيم

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلده مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسسته وفي مثل حاله . وقد كان حضره قبل ذلك فحجب [من البسيط] :

إننا رأينا حجاباً منك قد عرضا فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحي ولا تغضب عليّ فما أبغي بقولي لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

قال : فاعتذر إليه الكوفي ، وقال له : حسبنا ، وقضى حوائجه .

* * *

١٣٤ - أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطايبه والمحاكاة ، وكان يخدم

(١) الدسيسة : المغنية .

(٢) التسليم : أي ترفع كؤوسها .

(٣) الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

مجلس المهلبى الوزير ، ويحكى شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هي ،
فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابى قد بلى به
حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها تسوء امراً مثلى بمثل أبى الورد
فياليتها اختارت نظيراً وأنها رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد^(١)
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ذليلاً ومقتول الضّرّامة الأسد
وفيه يقول السري حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق يسومني لأمثاله ذمّاً يسيرا ولا حمداً^(٢)
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه حسبت قفاه روضةً تنبت الورد
ولأبى الورد شعر لهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحير في مداراة لا يرى
دائباً يطلب وجهاً حسناً من بيت غيري
قلت نك يا أير من ير تع في خيرى وميري^(٣)
قال : لا أسطيع نيكاً لكسير وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيليّ يؤمّ الخبز أني رآه ولو رآه على يفاع^(٤)
ولا يروي من الأخبار إلّا أجبت ولو دعيت إلى كراع^(٥)

(١) الشنعاء : القبيحة ، والداهية : المصيبة .

(٢) يسومني : يكلفني ، وسامه الخسف : أذله .

(٣) المير : الخيرات من طعام وغيره .

(٤) الطفيلي : الحشري الذي يحضر المآذب دون دعوة واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) يشير الى الحديث « ولو أني دعيت إلى كراع لأجبت والكراع بضم الكاف : ما دون الكعب من قواعد الدواب .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءني يسألني ماذا لديك
قلت : عندي بحر خمرٍ حوله آجام نيك^(١)

وقوله [من الطويل] :

ولي صاحب أفسى البرية كلها يشكّكني فيه إذا ما تنفسا
تحوّلت الأنفاس منه إلى استه فما أحدٌ يدري تنفس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبي المظفر من أن يرى ظفراً فيظفر
لكن تطاول ظفّره فلذاك قيل أبو المظفر

(١) الأجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

١٣٥ - ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم . وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي ، وملكوا راق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار . وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الاحباب ، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها ، وأتحفني به وهو بغبار السفر ، وجعلني فيه ابا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبوب بدا لعين محبه ، وباكورة الأشعار ، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فص مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر ، ويجلسو النواظر ويصدق قوله ، وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم لليل عندي من نجوم جمعت الثمر منها في نظامي
عتاباً أو نسيباً أو مديحاً لخلٍ أو حبيبٍ أو همام

تفيد بها العقول نهىً وصحواً وقد فعلتُ بها فعل المدام
لها في حلبة الآداب ركضٌ إلى حبِّ القلوب بلا احتشام

وقوله [من البسيط]:

خذها إذا أنشدت [في القوم] من طربِ صدورِها علمتُ فيها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطريها^(١)

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

فات عبد العزيز سابقة القو ل وإنِّي لوصفه في لحاقِ
طلعتُ في القلوب ألفاظي الغرُّ طلوعَ النجوم في الآفاقِ

وقوله [من المنسرح]:

هذا الكلام الذي خصصت به أخصّ في الخالدات من أحدِ
قولُ هو الماء لذَّ مطعمه فكل قولٍ سواه كالزبدِ

* * *

ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]:

وبدر تمامٍ بتُّ ألثم رجله وأكبره عن أن أقبل خدّه
تعشّقت فيه كلّ شيءٍ يودّه من الجور حتى كدت أعشق صده^(٢)

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز]:

وشادن روعي في يديه تبيت تهمني قبلي عليه^(٣)

* يؤثرن رجله على خديّه *

(١) يطريها : يمدحها .

(٢) الصدّ : الحجر والامتناع .

(٣) تهمني : تسقط بغزارة .

والبيت الثاني فيه رائحة من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لما علمت	بأنّ لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورك ما سرّني	وما كنت يوماً عليه صبورا
لأنّي أرى كلّ ما ساءني	إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

وقال من أخرى [من الطويل] :

عجبت له يخفي سراه ، ووجهه	به تشرق الدنيا وبالشمس بعده ^(١)
ولا بدّ لي من جهلة في وصاله	فمن لي بخلّ أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضرب بحسن الشمس والقمر	فلم يدع فيهما للناس من وطر ^(٢)
نفسي فداؤك من بدرٍ على غصنٍ	تكاد تأكله عيناىٍ بالنظر
إذا تفكرتُ فيه عند رؤيته	صدقت قول الحلوليين في الصور ^(٣)

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها	فتعرف أشجاني بها حين تذكرُ
سوى أنها مسكية التّرب ريحها	ترفّ وتندي والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسه	أغرّ الثنايا واضح البشر أحور ^(٤)
فوالله ما أدري أكانت مدامة	من البدر تجني أم من الشمس تعصر ؟

(١) سراه : مسيره .

(٢) الوطر : الحاجة والمأرب .

(٣) الحلويون : أي الذين يقولون بحلول الإله في الناس ، وهم من المتصوفة .

(٤) الأحور : من الحور ، وهو شدة سواد العين مع شدة بياضها .

إذا صَبَّها جنح الظلام وعبَّها
ومن أخرى [من الكامل]:

دعهم وقلبي لا أريد رجوعه
لو يعلمون صلاح حالي بعدهم
ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنع سعدي من مطالبها
لله نعمة أوتارٍ ومسمعة
وقهوة كشعاع الشمس طالعة
يا لذة بيمين الدهر أدفعها
لو كان يعلم أنني عنك أخدعه
فلمست تمنع سعدي من تمنّيها
باتت تدل على شوقي أغانيها
أفريت بالمزج فيها ريق ساقها
في صدره وهو من أحشاي يدنيها
ثنى أنامله لي حين أنثيها

* * *

الشكوى وذم الزمان

قال [من البسيط]:

في كل يوم لنا في الدهر معركة
حظي من العيش أكل كلّه غصص
وقال [من الطويل]:

وكم من خليلٍ قد تمنّيت قربه
وما للفتى في حادث الدهر حيلة
فجربته حتى تمنّيت بعده
إذا نحسه في الأمر قابل سعده

(١) الفلق : الشجّ .

(٢) والشرق : مشرق بلقاء : أي غصّ به .

أرى همم المرء اكتئاباً وحسرةً عليه إذا لم يسعد الله جده^(١)
كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل] :

وأتعِب خلق الله من زاد همّه وقصّر عما تشتهي النفس وجده
وقال من قصيدة [من الكامل] :

ما بال طعم العيش عند معاشرٍ حلّوْ، وعند معاشرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الأغبياء فإنّه لا عيش إلّا عيش من لم يعلم
هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل] :

يأبى مقامي في مكان واحدٍ كفكفٌ قسيك يا فراق فإنّه
لم يبق في قلبي لسهمك موضعٌ
كأنه من قول المتنبي [من الوافر] :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فصرت إذا أصابتني سهامٌ
فؤادي في غشاءٍ من نبالٍ تكسّرت النّصال على النّصال
وقال [من الوافر] :

برمت من الحياة، وأيّ عيشٍ ولو أتى أعدّ ذنوب دهري
يكون لمن مطاعمه الخبال^(٢) ؟
لضاع القطر فيها والرمال^(٣)

(١) الجذّ : الحظّ .

(٢) برمت : مللت ، والخبال : الفساد ، .

(٣) القطر : يعني قطرات المطر .

وقال [من الوافر]:

سقامٌ ما يصاب له طبيبٌ وأيامٌ محاسنها عيوبٌ
ودهرٌ ليس يقبل من أديبٍ كما لا يقبل التأديب ذيبٌ
يحب على المصائب والرزايا فلا كان المحبّ ولا الحبيب

وقال [من الوافر]:

متى أرجو مسالمة الهموم وآمل صحة الجسم السقيم؟
وكرر الحادثات عليّ تجني جنايات القروف على الكلوم^(١)

وقال [من الطويل]:

طلاب المعالي للمنون صديق وطول الأمانى للنفوس عشيقٌ
تسربل ثياب الموت أو حلّل الغنى تعشّ ماجداً أو تعلقك علوق
وما الفقر إلاّ للمذلة صاحبٌ وما الناس إلاّ للغنيّ صديق
وأصغر عيبٍ في زمانك أنّه به العلم جهلٌ والعفاف فسوق
وكيف يسرّ الحر فيه بمطلبٍ وما فيه شيءٌ بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً فماذا إلى طول الحياة تتوق
ألا إنّ خوف الموت مرٌّ كطعمه وخوف الفتى سيفٌ عليه ذلوق^(٢)
وإنك لو تستشعر العيش في الردى تحلّيت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل]:

كيف السبيل إلى الغنى والبخل عند الناس فطنةٌ
خذ من زمانك كلّ شيءٍ لا يجرّ عليك منه

(١) الكلوم : الجراح .

(٢) ، الذلوق : القاطع .

ونبتُ بنا أرضَ العرا
غير الرحيل ، كفى البلا
ق فما مخناها بمحنة
د بنقلة الفضلاء هجته !

وقال رحمه الله [من الوافر] :

وتأخذ من جوانبنا الليالي
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ
أرى التشمير فيه كالتواني
ومن لبس التراب كمن علاه
وكيف يكذب مهجته حريصٌ
كما أخذ المساء من الصباح
يحسّ فيشتكي ألم الجراح
وحرمان العطية كالنجاح^(١)
فلا تخضعُك أنفاس الرياح
يرى الأرزاق في ضرب القداح^(٢)

وقال سامحه الله [من البسيط] :

أراحني الله من قلبٍ منيت به
أطلبُ لصدرك هماً بالمنى كلفاً
والمجد يطلب بالآفات طالبه
ما للزمان سوى أولاده درنٌ
يهوى القعود ويهوى أشرف الرتب
وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي^(٣)

* * *

الفخر والحماسة

قال [من الطويل] :

خليليّ قد لجّ الزمان ولجّ بي
وأَيّ فتى غنّيتما وسقيتما
مرادٌ ، وأحداث الزمان تعوقُ
فتىّ فيه نفث السحر ليس يحيق^(٤)

(١) التشمير : الجدة والعمل .

(٢) يكذب : يتعب .

(٣) الدرن : الوسخ ، أو الإيلاء والافناء .

(٤) يحيق : يؤثر .

فتى تطرب الألحان من شرف به ويسكر منه الخمر وهو مفيق

كأنه نسجه على منوال قول القائل [من المنسرح] :

ريحان ريحانه إذا ورد الـروض ، ومنه تأدب الأدب
تشربه الكأس ليس يشربها يطرب من حسن وجهه الطرب
وبعد قوله « فتى تطرب الألحان » قوله :

ولو شئت علّمت المكارم شيمتي ولكنتي بالمكرمات رفيق
أخاف عليها أن تجود بنفسها إذا ما أتاها في الزمان مضيق
وقال أيضاً [من الوافر] :

ومغرورٍ يحاول نيل عرضي يعاين في المكارم فيض كفي
فقلت له : الكواكب لا تنال ويزعم أنه ذهب النوال
ويعجب أن حوت الفضل طفلاً ألا لله ثم لي الكمال
أحمل ضعف جسمي ثقل نفسي ونفسي ليس تحملها الجبال
وأسمع كل قول غير قولي فأعلم أنه خطل محال^(١)
وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضينا وما ترضى السيوف القواضب فإياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم
نجاذبتها عن هامكم وتجاذب^(٢) ألا إن مغناطيسهن الذوائب
أقول لسعد والركاب مناخة أنت لأسباب المنية هائب
وهل خلق الله السرور فقال لا فقلت أثيرها أنت لي اليوم صاحب
وخل فضول الطيلسان فإئتما لباسك هذا للعلا لا يناسب

(١) الخطل : الفساد في الرأي .

(٢) القواضب : القواطع .

عمائم طلاب المعالي صوارمٌ
ولي عند أعناق الملوك مآربٌ
خلقنا باطرافِ القنا لظهورهم
أؤمل مأمولاً يغير صدورها
وله من قصيدة في صباه [من البسيط]:

وأثواب طلاب المعالي ثعالب
تقور سيوفي هنّ لي والكواثب^(١)
عيوناً لها وقع السيوف حواجب
فواخجلتا إنّي إلى المجد تائب

تضائل الدهرُ حتى ضاع في هممي
فلو يكون سواد الشعر في ذممي
فالعيش من نعيّ الموت من نقمي
والحزم والعزم في الأقوام من خلقي
لو يعلم الناس قدري في زمانهم
ما زلت اعطف أيامي وتمنّحي
حتى تخوفَ صرف الدهر بادرتي
أذمّ كلّ خليلٍ بات يحمّدي
وليس سؤلي يا قلبي سوى رهج.

واستفحل المجدُ حتى صار من شيمي
ما كان للشيب سلطانٌ على اللّم^(٢)
وحكمة الفلّك الدوّار من حكمي
كما الفصاحة في الأقوال من كلمي
صلّوا لوجهي واشتاقوا ثرى قدمي
نيلاً أدقّ من المعدوم في العدم
فرد كفّي وأوما أن يسدّ فمي^(٣)
أنا الذي ما له خلّ سوى الندم
تجوده من دم الفرسان بالديّم^(٤)

وقال [من الطويل]:

وعنّفني في موكب الموت معشرٌ
وإنّي لأدري أنّ في العجز راحةً
ولو طلب الناس المكارم كلّهم

وقالوا يهوى الجذب من هو في الخصب
وأعلم أن السهل أوطأ من الصعب
لكان الغنى كالفقير والعبد كالرّب

(١) الكواثب : الجموع ، والكثيب ، التلّ من الرمل .

(٢) اللّم : جمع لمة أي شعر الرأس .

(٣) أوما : أصله أوما بالهمز فسهل الهمزة بقلبها ألفا وهي بمعنى أشار .

(٤) الرّهج : الغبار .

ولكن أشخاص المعالي خفية
لقد زادني حرب الزمان تجارباً
ومن يك يعتاد الكروب فواده
وقال [من الكامل] :

وأنا البصير بكل علم غامض
والذل أثقل من جبال تهامة
وإذا رأيت مذلة فأنا العمي
عندي وأعذب منه سم الأرقم^(١)
وقال [من المتقارب] :

إذا استروح الغمر من همّة
وإني على شغفي بالمديح
وما ينقم الدهر شيئاً علي
هربت إلى الهم مستروحا
لست أسرّ بأن أمدحا
سوى أنفي منه أن أفرحا
وقال من قصيدة [من الطويل] :

وإني لأغضي الطرف عن كل منظر
وما ذاك من جهل به ، غير أنني
وقال من قصيدة [من الطويل] :

وآخذ عفو العيش لا أستكده
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكم
فرب جواد قيد الفقر جوده
لحي الله غنماً يستفاد مع الغرم^(٢)
ويستر عذمي شيمتي وتكرمي
ومبتسم تعبسه في التبسم

(١) الأرقم : الأفعى السامة .

(٢) الغمر : الجاهل .

(٣) أغضي : أطرق حياءً وأغض .

(٤) العيوف : التارك .

(٥) لحي : لمن ، والغنم : من الغنيمة ، والغرم : الذنب والإثم .

وله من أخرى [من الطويل] :

وهل ينفع الفتیان حسن جسامهم
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى
إذا كانت الأعراض غير حسان
فما كل مصقول الحديد يمانى^(١)

وله من أخرى [من البسيط] :

حتى م نقدم والأيام تغلبنا
يا أهل بابل عزمي قلبه فكري
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها
قالوا حنيفة شجعانٌ فقلت لهم
مالي أغير على دهري فأسلبه
إن لم تسلني المواضي عن جماجمهم
وغيرنا يغلب الأيام بالفشل
في النائبات وسيفي بعده عذلي
لكم وصال الغواني والصبابة لي
كل الشجاعة والإقدام في الدول
ويحجمون وفي أيديهم نفلي^(٢)
إذا تطايرن فالتقصير من قبلي

* * *

غرر في المدح وما يتصل به

قال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

يا أيها الدهر إن العي كالخطل
نواله جعل الأرزاق من قبلي
وما تمهل يوماً في ندى وردى
ما دهرنا غير سيف الدولة البطل
وعزه صير الأيام من خولي^(٣)
إلا قضيت للمح البرق بالكسل

ومنها في ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً
فصرت تأسرهم بالخوف والوهل^(٤)

(١) يمانى : السيف المنسوب إلى اليمن .

(٢) النفل : العطايا .

(٣) الخول : العبيد .

(٤) الوهل : الخوف والرعب .

من يزرع الضرب يحصد طاعة عجباً
 كانت سحابك فيهم كلّ بارقة
 فالיום سحبك فيهم كلّ بارقة
 حتى تمنى ملك الروم حظهم
 ومن يربّي العلا يأمن من الشكل^(١)
 حمراء تهطل بالأيدي على القل^(٢)
 غراء تهطل بالأموال والحلل
 وأنه معهم في الأسر لم يزل
 كأنه أخذه من قول أبي دهب الجمحي في قوله [من المنسرح] :

ما زلت في العفو للذنوب وإطـلاق لعانٍ بجرمه غلق
 حتى تمنى البراء أنهم عندك أمسوا في القدّ والحلق^(٣)
 ومنها في شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودكم
 قد جدت لي باللهي حتى ضجرت بها
 إن كنت ترغب في بذل النوال لنا
 لم يبق جودك لي شيئاً أومله
 وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
 وكدت من ضجرٍ أثني على البخل
 فاخلق لنا رغبةً ، أولاً فلا تنل
 تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
 وله أيضاً فيه [من الطويل] :

سيوفك أمضى في النفوس من الردى
 فتى يتحامى لذة النوم جفنه
 أطرفك شاكراً أم سهادك عاشق
 ومن سهرت في المكرمات جفونه
 وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
 كأن لذيذ النوم في جفنه قذى^(٤)
 يغار على عينيك من سنّة الكرى
 رعى طرفه في جوها أنجم العلا
 ولا تغمد العينان والقلب منتضى^(٥)
 فليس ينام القلب والجفن ساهراً

(١) الشكل : الفقد .

(٢) القل : يعني الرؤوس .

(٣) القدّ والحلق : أي في القيود والزرد ، يعني الأسر .

(٤) القذى : ما يقع في العين من أذى .

(٥) منتضى : انتضى سيفه : شهره وسلّه .

ومن قصيدة في المهلبى الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه إنَّ العيون لها من الأمداد^(١)
وتعوذوا بالله من أقلامه إن السيوف لها من الحساد

ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيرتُ المنى لمنحته كمال عليٍّ أو سلوت عن الحب
ترى الشمس أمّا والكواكب إخوةً وتنظر من بدر السماء إلى ترب^(٢)
غنيت عن الآمال حين رأيته فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفة وهل تطلب الأمطار إلّا من السحب

ومن أخرى [من الوافر] :

فدتك بدائع الألفاظ طراً وأبكار القوافي والمعاني^(٣)
نزلت من المكارم والمعالي بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي مواصلة بأيام التهاني

وله من أخرى في المهلبى الوزير [من الطويل] :

وتطرق أفتال الغيوب بصارمٍ من الرأي يخشى الغيب منه ويرهبُ
وتطعن في صدر الكتائب معلماً كأنك في صدر الدواوين تكتب^(٤)
ولست أرى كسب الدراهم نافعي إذا لم يكن لي في المكارم مكسب
ولي همّة لا تطلب المال للغنى ولكنها منك المودة تطلب

(١) الأمداد : الأعوان .

(٢) الترب : الرفيق من عمر واحد .

(٣) طراً : قاطبة .

(٤) المعلم : المكان الذي له خبرة في طعنه .

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شراباً [من الخفيف] :

أيّ يومٍ من صاعدي لم أرح فيه بخيلٍ كثيرةٍ الأسلابِ
من نوالٍ يسري بغير سؤالٍ وعطاءٍ يهملُ بغير طلابِ
جثته زائراً وقد ركب الأفلاك والنجم تحته في الترابِ
بمعانٍ سرقها من علاه فكأنّي قرأتها من كتابِ
وأشارت الحافظه بدنوي فكأنّي سمعت فصل الخطاب^(١)
ثم قبلت ظاهر الكفّ منه فكأنّي قبلت وجه السحابِ
يا جواداً أرواحنا من عطايا ه وأفهامنا مع الألبابِ
إن هذي الهموم تقدح فينا قدح كفيك في السّلام الصلاب^(٢)
فاسقنا صيّب المدام سقاك الله صوب الآمال والآرابِ
خندريساً كأنّها تتقي المزج بدرعٍ مسرودةٍ من حباب^(٣)
خجلت من جلالكم فأتتنا في رداءٍ مؤزّرٍ ونقابِ
تهب المال للفقير وتغزو شربها في عساكر الأطرابِ
سرقن حسن خلقها من سجايا ك وأخلاقك الكرام الرغابِ
إنّها في السحاب وبُئل وفي الريح نسيمٌ ونشوةٌ في الشراب^(٤)
خلق الله صاعداً يوم خلق الناس للكأس والندى والضرابِ
ما سؤال الدنيا له وهي في عيـنيه أدنى من ودّها الكذابِ
قد ظلمناه في السؤال لأنّا ما سألناه ردّ شرح الشباب^(٥)

(١) فصل الخطاب : الكلام الذي لا اعتراض عليه ولا جواب .

(٢) السّلام : بكسر السين : الحجارة .

(٣) الخندريس : يعني الخمر ، والمسرودة : المصنوعة والحجاب : ما يعلو الخمر من فقاع .

(٤) الوبل : المطر .

(٥) شرح الشباب : ما تقضى منه .

وقال من قصيدة لعضد الدولة [من المنسرح] :

يا عضد الدولة الذي قمعت دولته الدهر وهو جبار
أنت نهاراً والعالمون دجىً وأنت طرفٌ والناس أعيار^(١)
ليس لنا في المديح محمداً فعلك غيث والقول نوار
وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

سلمت على عثرات الزما ن يا عضد الدولة المنتخب
ولا زلت ترفع من دولة تواضعتَ فيها بهذا اللقب
قسمتَ زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين البدأ^(٢)
فيوماً تمر عفاة النسور ويوماً تمر عفاة الأدب^(٣)

وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار السدق [من الطويل] :

لعمري لقد أذكى الهمام بأرضه مشهراً يتابها الفجر صالياً^(٤)
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كل شتوة تغادر جيد الدهر أتلع حالياً^(٥)

وقال وقد كثر الإرجاف بعلّة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط] :

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألفي بمرتاع
تجلّد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رمقاً وحين يؤيس منك المؤيس الناعي^(٦)

(١) الطرف : بكسر فسكون - الفرس ، والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

(٢) الأدب : العمل والمثابرة .

(٣) تمر : من المير ، وهو الطعام وغيره .

(٤) أذكى : أوقد .

(٥) الجيد : العنق ، والأتلع : المتصب .

(٦) الرمق : بقية الروح .

وَأَسْأَلُ الرِّكْبَ هَلْ أَحْسَسْتُمْ فِزْعاً لَوْ كَانَ مِيتاً لَضَاعَتْ ثَلَاثَةُ الرَّاعِي
أَرْضِي وَأَقْنَعْ بِالْأَطْمَاعِ كَاذِبَةً فَمَا يَضُرُّكَ لَوْ أَبْقَيْتَ أَطْمَاعِي
قَدْ كَادَ يَعْرِفُ وَجْهَ الذِّلِّ فِي نَظْرِي وَيُظْهِرُ الْعَجْزَ وَالتَّقْصِيرَ فِي بَاعِي^(١)

* * *

غُرَرُ الْأَوْصَافِ

قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حملة عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل]:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَخْلَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَرَوَّاهُ مِنْ رَأْيِهِ
قَدْ جَاءَنِي الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ هَادِيَهُ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
أَوْلَايَةً وَلَيْتَنَا فَبَعَثْتَهُ
يَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مَحْجَلٍ مَاءَ الدِّيَاجِ قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
مَتْمَهلاً وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ مَتَبَرِّقِئاً وَالْبَدْرُ مِنْ أَكْفَائِهِ
مَا كَانَتْ النِّيرَانُ يَكْمُنُ حَرَّهَا لَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذِكَائِهِ
لَا تَعْلُقُ الْأَلْحَازُ فِي أُعْطَافِهِ إِلَّا إِذَا كَفَكَفَتْ مِنْ غُلَوَائِهِ^(٢)
لَا يَكْمُلُ الطَّرْفُ الْمَحَاسِنَ كُلِّهَا حَتَّى يَكُونَ الطَّرْفُ مِنْ أَسْرَائِهِ

وقال أيضاً في وصف هذا الفرس [من الوافر]:

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلَ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرْيَا^(٣)
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِياً وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا

(١) باعي : يعني الباع في الإنسان : الذراع والمعد.

(٢) السَّيِّبُ من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية .

(٣) غلوائه : يقصد شدته سرعته .

(٤) الأدهم : الأسود .

فلما خاف وشك الفت منه تشبّث بالقوائم والمحيا
وله في وصف سكين [من السريع] :

مرهفةً تعجز وصف اللسان للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حده تارة وتارةً تخلف حدّ السنان
ما أبصر الرءون من قبلها ماءً وناراً جمعا في مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال في ذم العراق [من الوافر] :

بلادٌ أنفس الاحرار فيها كضبّ القاع تروى بالنسيم
يجوز بها وينفق كل شيء سوى الآداب طرّاً والعلوم

وقال يصف كمة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالي ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهم دروعا فما معنى السوابغ في العياب^(١)

وقال يصف طيب الهواء [من الوافر] :

ألا يا حبذا طيب الغبوق وملبوسٌ من العيش الرقيق^(٢)
إذا ما الصبح أسفر نبّهتني جنوبٌ مسّها مسّ الشفيق^(٣)

(١) السوابغ : الدروع .

(٢) الغبوق : الخمر يشرب مساءً .

(٣) الجنوب : الريح تهبّ من الجنوب .

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسانٍ
(رجع) :

وفتيانٍ تهمهم همومٌ حديثهم ألدُّ من الرحيق^(١)
وقال [من الطويل] :

وكنـت إذا ما حاجة حال دونها نهارٌ وليلٌ ليس يعتذرانِ
حملت على حكم القضاء ملامها ولم ألزم الإخوان ذنب زماني
وقال من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلت نفقور يرقع جلده وفيه لأثار السلاح خروق^(٢)
يجرّ العوالي والسهام بجسمه كمحتطبٍ للحمل ليس يطيق
سرقه من قول عنتره [من المتقارب] :
وغادرن نضلة في معرئٍ يجرّ الأسنة كالمحتطبِ

وقال [من الطويل] :

ألا فاخش ما يرجى وجدك هابطٌ ولا تخش ما يخشى وجدك رافعٌ
فلا نافعٌ إلا مع النحس ضائرٌ ولا ضائرٌ إلا مع السعد نافعٌ
سرقه من قول يزيد بن محمد المهلب [من الكامل] :

وإذا جددتَ فكل شيءٍ نافعٍ وإذا حدثَ فكل شيءٍ ضائرٌ

(١) الرحيق : الخمر .

(٢) نفقور : اسم أمير من أمراء الروم .

وقال [من البسيط]:

سعى رجال فنالوا قدر سعيهم لم يأت رزقٌ بلا سعيٍ ولا طلبِ
حسن التأتّي مفاتيح الغنى ، وعلى قدر المطالب تلفى شدة التعب

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة [من المنسرح]:

أحسد قوماً عليك قد غلبوا وكلُّ من بادرَ المنى غلبا
وكنْتَ كالكرمٍ في تكرمِهِ تلتفُّ أوراقه بما قربا

وقال [من الوافر]:

وإني لا أزال ألوم نفسي على طول التجنّب والبعادِ
وما أعتاض بالأقوام منكمُ وهل يعتاض صدرٌ من فؤادٍ؟^(١)

وقال [من الوافر]:

وما استبطأت كَفْكَ في نوالٍ على عُدواءِ نأيٍ واقترابٍ^(٢)
ولو كان الحجاب لغير نفعٍ لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب ، وأحسبه بعد قول أبي تمام [من البسيط]:

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السَّماءَ لترجي حين تحتجبُ

وقال [من الكامل]:

مثل خلعت على الزمان رواءه عوز الدراهم آفة الأجوادِ

وقال [من الكامل]:

من لم يذق غصص التفرّق لم يمتُ الموت رمحٌ والفراق سنائهُ

(١) اعتاض : اكتفى واستبدل .

(٢) العدواء : المركب الذي لا يطمئن من قعد عليه ، أو الأرض الصلبة غير المطمئنة ، والنأي : البعد .

وقال [من الكامل] :

يهوي الشاء مبرّزٌ ومقصّرٌ حبّ الشاء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

نعللُ بالدواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواء ؟
ونختار الطيب وهل طيبٌ يؤخّر ما يقدمه القضاء ؟
وما أنفاسنا إلاّ حسابٌ وما حركاتنا إلاّ فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبي الفوارس [من المتقارب] :

أسرّ إليك مقال النصيح ولست إلى النصيح بالمفتقر
عليك إذا ضاغتكَ الرجال بضرب الرؤوس وطعن الثُغُر^(١)
ولا تحقرنْ عدواً رماك وإن كان في ساعديه قِصْرُ
فإنّ الحسام يحزّ الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع في الرُوع كيد الجبان كما لا يضرّ الشجاع الحذر
شبّ الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر^(٢)

* * *

١٣٦ - أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق ، قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق . وعلى ما أجرته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القلوب ، ومنى النفوس .

(١) ضاغتكَ : من الضغينة أي إضمار الحقد والبغض .

(٢) شبّ : فعل أمر من شاب أي مزج .

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد ، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة سنت وثلاثين وثلاثمائة ، ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب ، وأمه شاعرة ، وقال الشعر وهو ابن عشرين ، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله [من المنسرح] :

بدائع الحسن فيه مفترقة وأعين الناس فيه متفقه
سهام الحافظه مفوَّقة فكل من رام لحظه رشقه ^(١)
قد كتب الحسن فوق عارضه هذا مليح وحق من خلقه
وركب في صباه سمارية ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال [من الوافر] :

وميدان تجول به خيول تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طرِفاً له جسمٌ وليس له فؤاد ^(٢)
جرى فظننت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظرٌ وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرأة فقال [من المنسرح] :

رأيته والمرأة في يده كأنها شمسٌ على ملك
فقلت للصورة التي احتجبتُ من غير زهدٍ فينا ولا نُسك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا تخبرنا عنك غير مؤتفك ^(٣)
قال أنا البدر زرت بدركم وهذه قطعة من الفلك
قلت فإني أرى بها صداً فقال هذا بقية الحبك ^(٤)

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبي حين راهق ، فوجد بها

(١) المفوَّقة : يقال فوَّق السَّهم : أي أراشه وأمدّه .

(٢) الطرف : الجيد من الخيل .

(٣) المؤتفك : من الإفك ، وهو رمي الإنسان بحديث كذب .

(٤) الحبك : الحياكة والنسج ، وحبك الشيء بالشيء : جمعه .

أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج البيغاء، وأبا الحسين التلعفري، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له، فقال الخالدي: أنا أكفيكم أمره، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها، وحصل السلامي معهم، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته، والتفتيش على قدر بضاعته، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد، وقال: يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا؟ فقال السلامي ارتجالاً [من مجزوء الكامل]:

الله در الخالديّ الأوحديّ التّدب الخطير
أهدي لماء المزن عنـد جموده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتاب إليه عن حقّ الصّدور
بعثتْ إليه بعذره من خاطري أيدي السرور
لا تعذّلوه فإنّه أهدى الخدود إلى الثغور

فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه. وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل]:

يا شاعراً بسقوطه لم يشعر
لو كنت تعرف والداً تسمو به
تاه ابن بائعة الفسوق على الوري
وبلادة في الشعر تشهد أنّه
يحلّو بأفواه الأنامل صفعه
وقال فيه أيضاً [من الوافر]:

سما التلعفريُّ الى وصالي ونفس الكلب تكبر عن وصاله

(١) القذال: القفا، والأبخر: من رائحة فمه كريهه.

ينافي خلقه خلقي فتأبى فعالى أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني وصنعتة الخسيسة في قذاله
فان أشعرُ فما هو من رجالي وإن يصفعُ فما أنا من رجاله

ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال : صفها ، فارتجل [من الكامل] :

يا ربّ سابغةٍ حبتني نعمةً كافأتها بالسوء غير مفنّد^(١)
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبذلها لكلّ مهنّد

وورد حضرة صاحب بأصبهان واستمطر منه بنوء غزير ، وسرى في ضوء قمر

منير ، ولقيه بقصيدة منها [من الوافر] :

رُقى العذال أم خدعُ الرقيب سقتُ وردَ الخدود من القلوب
وأباهُ الصبابة أم بنوها يروضون الشبيبة للمشيب^(٢)
وقفنا موقف التوديع نوطي نجوم الدمع آفاق الغروب
تعجب من عناقٍ جرّ دمعاً وتقيلٍ يشيعُ بالنحيب
وقد ضاق العناق فلو فطنّا دخلنا في المخانق والجيوب^(٣)
ونحن أولاك نطلب من بعيدٍ لعزتنا وندرك من قريب
تبسّطنا على الأثام لمّا رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولعله امير شعره .

ولولا الصاحبُ اخترع القوافي لما سهل الخلاصُ من النسيب
ومن يثني الى ليثٍ هصورٍ لوحظته عن الرشاء الربيب^(٤)

(١) مفنّد: من التفنيد وهو الكذب .

(٢) يروضون : راض الشيء : ساسه وكبح حماحه .

(٣) المخانق : القلادة والعقد .

(٤) الليث المصور : الأسد المفترس ، والرشأ : ولد الغزال .

وكيف يمسّ حد السيف طوعاً وشبهنا فكنت أبا نواسٍ
ومن يك مثل عبّادِ أبوه أحرز الخائف الجاني، وكثر الـ
أمالك غير بأسك من عتادِ ترؤض مصاعب الأيام قهراً
وتبذل دون تاج الملك نفساً وجربت الملوك فما أصابت
فمن غصب الإمارة إذ حواها توارثها الكفاة وتقتضيها
تمائمكم مناطكم إذا ما دعيتم في المهود بها وعدت
ولو صدقتك جنّ الليل عني مع القرنين من قلم وطرسٍ
أشقّ الفكر عن لفظٍ بديعٍ قريب الكفّ من غصن رطيب
ولكن جلّ عن قدر الخصيب يعيش بين الأنام بلا ضريب
مقلّ المعفى ، وأخا الغريب^(١) ولا غير العظام من ركوب
وتحملها على عودٍ صليب متيّمه بتنفيس الكروب
لداء الملك غيرك من طيب فما تحوي الوزارة بالغصوب
مناسب معرقٍ فيها نسيب^(٢) جفت بحضور شبّان وشيب
لكم قبل التصدّر والركوب شغفت بفنّ إنسيّ عجيب
أو العبدین من طاسٍ وكوب^(٣) فيقدم بي على معنّى غريب

ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها [من الكامل] :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا زار الخيال فلا تزرني في الكرى
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى وهوأك علمني القريض فزاد في
هذي الزيارة لا تعدّ نوالا حاشا لحسنك أن يكون خيالا
حتى رأيتك في اللثام هلالا حبيك أني منه أكسب مالا

(١) الحرز : الأمان والملجأ ، والمعفى : الفقير .

(٢) المعرق : الأصيل في النسب .

(٣) الطرس : الكتاب ، والصحيقة .

هو منهضي نحو الأمير وهمّة حملت إليه صلاته آمالاً^(١)
 ووتيرة الشعراء في مدح وفي منح فتجمع مفخراً ونوالاً
 ضربوا لك الأمثال في أشعارهم لكنني بك أضرب الأمثال

ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة ، منها [من الرجز] :

يا راقداً لولا الخيال ما رقدت
 موشي أثواب الجمال بالغيد
 لو لم يفض ماء الشباب لا تقدر
 وصين ورد خده عمن ورد
 ذو بدعات لم تخلد في خلد
 فما تحل الوزراء ما عقد
 شتان ما بين الأسود والنقد
 أمنيته من كل خير مستعد
 حتى يقال لم يطل عمر لبد
 كل غلام منهم رب بلد
 وشم بروق سيفه إذا وقد
 كالروح لا تكمن إلا في جسد
 ينجده وهو عريق في النجد
 هل لك في عارية لا تسترد^(٢)
 وفر حظ جيده من الجيد
 قد استدار صدغه حتى انعقد
 إن أبا القاسم كالسيف الفرند^(٣)
 أغرّ ميمون به الملك اعتضد
 بجهدهم ما قاله وما اجتهد
 هل يستوى البحر الخضم والتمد^(٤)
 أن يسلم الصاحب لي طول الأبد
 فما أبو ألف رئيس معتمد^(٥)
 يا سعدة من والد بما ولد
 وانساب ماء المزن فيه واطرد
 يحمله عبل الشوى عبل الكبد^(٦)
 وإن جرى كانت له الريح مدد

(١) الصلات : العطايا .

(٢) العارية : الأمانة والقرض .

(٣) الفرند : السيف بالفارسية .

(٤) التمد : القليل من الماء .

(٥) لبد : من كنى النسر ، وهو يعمر طويلاً .

(٦) العبل : الضخم ، والشوء .

خاض الدماء وتحلى بالزبد كأنه إنسان عين في رمد^(١)
يا مجري الفكر إلى أقصى أمد اسمع فقد انجز حرماً وعد
عذار لم يقرع بها سمع أحد لو عرضت على أبي النجم سجد
وخل من عاندني وما اعتقد فليس للحاسد إلا ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذي الكفایتین ابی الفتح بن العمید وهو بالري قصيدة منها [من الكامل] :

عَبَرَ الجواد بي الفرات ودجلة وأتي نذاك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا عليُّ القهقري لم يستطع متقدماً فتأخراً
وأعيذها من أن يعارض مثلها بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها مهري سواك فكن لغيري جوهرها
ما ضرَّها إلا تواطؤ طيء فيها على نحت المعاني بحترا^(٢)
جَمَلٌ غدا عنها جميلٌ مفحماً وكثرن في تفصيلهن كثيراً^(٣)

وكان بحضرة صاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامي على منزلته ، فيتعرض له ويولع به . حتى ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلف أبـرد من تطرق الهموم فؤادة
لي شعر كالماء قلت أصاب الشيخ لكن لفظه براده
أنت شيخ المنجمين ولكن لست في حكمهم تنال السعادة
وطيب مجرب ماله بالـنجح في كل ما يجرب عاده

(١) إنسان العين : ناظرها .

(٢) بحترا : يعني البحري الشاعر العباسي المشهور .

(٣) جميل : يعني جميل بشئة ، وكثير : يعني كثير عزة ، وهما من شعراء الغزل والنسيب في العصر

الأموي .

مرّ يوماً إلى عليلٍ فقلنا قرّ عيناً فقد رزقت الشهادة^(١)

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن أثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فجهزه الصاحب إليها ، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته :

قد علم مولاي أطال الله بقاءه أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من صوغ طبعه ، وحلله التي يؤديها من نسج فكره . أقل من ذلك . وممن خبرته بالامتحان فأحمدته ، وقررت بالاختيار فاخترته . ابو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيدته الله تعالى ، وله بديهة قوية توفي على الروية ، ومذهب في الإجابة يهش السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله ، وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معهم بياض حاله . فجهزت منه أمير الشعر في موكبه ، وحليت فرس البلاغة بمركبه ، وكتابي هذا رائده الى القطر ، بل مشرعه إلى البحر . فإن رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه ، ويجعل ذلك ذرائع لإيجابه ، فعل إن شاء الله تعالى .

فلما وردها تكفل به أبو القاسم ، وأفضل عليه ، وأوصله إلى عضد الدولة ، حتى أنشده قصيدته التي منها [من الطويل] :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
فبشّرت آمالي بملك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول ، ودفع إليه مفتاح المأمول . واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه . وطحته الى العراق ، وتوفر حظه من صلاته وخلعه ، واللهم تفتح اللهم ، وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها ، وكان عضد الدولة يقول : إذا

(١) قرّ عيناً : هدأ وسكن .

رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك الي ، ووقف بين يدي .
ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي ، ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك
مرة وتنداعى أخرى حتى انتقل الى جوار ربه ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغزل

قال [من الوافر] :

مُنيتُ بمن إذا مُنيتُ أفضت منايَ إلى بنفسج عارضيه
وفاضت رحمةً لي حين ولّى مدامعُ كاتبِي وكاتبِيه

وقال أيضاً [من المتقارب] :

ومختصر الخصر من بعده هربت فألقيت في صدّه
وقابلني وجهه مقبلاً بحدّ الحسام وإفرنده
فما زلت أعصر من خدّه وأقطف من مجتنى ورده
أشمّ بنفسج أصداغه وزهراً تعصفر في خدّه
وأظما فأرشف من ريقه فياحرّ صدري من برده
وما للحاظ سوى وجهه وما للعناق سوى قدّه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى [من الطويل] :

وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا تعاتب حلوا اللفظ حلوا الشمائل
أدارت علينا من سلافٍ حديثها كؤوساً وغتّتنا بصوت الخلاخل

وقال من قصيدة شب فيها بسلام بدوي كان معه [من المتقارب] :

تعلّقتَه بدوي اللسا ن والوجه والزي ثبت الجنان^(١)

(١) ثبت الجنان : ثبت العقل وراجحه .

أعانق من قده صعدةً
أدار اللثام على ثغره
ومسك ذوائبه سائلٌ
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب
أحييه بالورد والياسمين
ويشتاق فينا عواء الذئاب
فيا بدويُّ سهامُ الجفون
فإن كان دينك رعيَ الذمام

تري اللحظ منها مكان السنان^(١)
فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
على آس ديباجه الخسرواني^(٢)
إذا هاجنا طرب الغطرفان^(٣)
فيصبو إلى الشّيح والأيهقان^(٤)
إذا هاجنا طرب العتران^(٥)
صر عن ضيوفك حول الجفان
فقل أنت من ذمتي في أمان

ومن قصيدة شبيب فيها بسلام عيار من الشطار [من المنسرح]:

يا مرهفاً في لحاظه مرهفاً
من أودع الورد وجنتيك ومن
ومال هذا الصدغ المشوش قد
أطلع أفق العجاج لي قمراً
يقطر ماء الجمال منه وير
ومسرف الحسن لا يلام إذا
عقّف كلابه وأرهفه

ومخطف القدّ سهمه مخطفٌ
نقش طرز العذار أو غلّف
عارض طرق التقبيل واستهدف
بين نجوم تجول أو تزحف^(٦)
تجّ إذا ارتج ردفه المردف
جار على عاشقيه أو أسرف^(٧)
فقلت يكفيك صدغك الأعقف^(٨)

(١) الصعدة : القناة المستوية .

(٢) الآس : الريحان ، نبات ذو ثمار كروية بيضاء وسوداء ، ورقه عطر.

(٣) الغطرفان : الغطريف السيد الشريف ، والسّخي السريّ ، والغطرفة : الخيلاء والتكبر .

(٤) الأيهقان : عشبٌ يطول وله وردة حمراء ، وورقه عريض ، ويؤكل .

(٥) العتران : الدّيك .

(٦) العجاج : الغبار والدخان .

(٧) أسرف : جاوز الحدّ .

(٨) الكلاب : حديدة عقفاء يعلّق، وأرهفه : جعله ماضياً عليها .

تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدك الأهيف
وما كفي على سوائفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضـل الكـم عجباً وفاضل المطرف^(١)
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ أشطر منّي فتىً إذا وقعت
إذا شربنا بنت الكروم فبالبيض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقيّ أو مراقبتي أني عزيزُ وأنت مستضعف^(٢)
نحرت حتى السماء واقعةً فوقي والأرض تحتنا تحسف
فقلت مهلاً فلست أول من أخطأ جهلاً من قبل أن يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على دياجتيه والبحر لا ينزف
عزمت أن أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف^(٣)
فافتّر عن لؤلؤ وأسفر عن ورد وقبّله فما استنكف^(٤)
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف
إلى رياض يغازل القطر ما دبّج من زهرها وما فوّف^(٥)

(١) العجب : التيه .

(٢) المقرّف : الوجه القبيح ، أو المرض الممرض .

(٣) توقّي : احتراسي .

(٤) الزبور : كتاب داود عليه السلام .

(٥) استنكف : اعترض وأشاح .

(٦) فوّف : زين وأبدع .

ما بين فتیان لذو عرفوا العيش فنالوا نعيمه الألف
 هذا يحيي وذا يغار وذا يلثم كرهاً وذاك يستعطف
 برد الثرى بردنا وقد زرّ السبد علينا دواجه المحصف^(١)
 وبيننا خمرتان من ريقة الكرم وريق أشهى من القرقف
 ولطف الله لي بمدرجة أمثالها عند مثلي تطف
 أنشدته شعر مكشّف فأتى يلثم تلك السطور والأحرف
 ومات سكرًا فمتّ من فرح وكاد ستر الغرام أن يكشف
 وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح]:

لما التحى أصبحت عمامته السوداء تجلي مخضرة الحبك
 وصار يختال أن يلين بخلق الخرز عن ردفه أو الفتك
 في كل يوم تراه مؤتزراً بالروض بين الحياض والبرك
 وما علمنا بأنه قمر حتى اكتسى قطعة من الفلك
 وقال من أرجوزة [من الرجز]:

وليلة كأنها على حذر	ممرها أسرع من لمح البصر
من قبلها لم أر ليلاً مختصر	ولا زماناً لم يبن من القصر
والليل لا يكرب إلا في غرر	إذا وفي أحبابنا فيه غدر
زار وما اسودّ الدجى ولا اعتكر	أبيض إلا المقلتين والشعر
أغر أوقاتي إذا زار غرر	فلم يكن إلا السلام والنظر ^(٢)
أو قبله خالستها على خطر	حتى انتضى الصبح حساماً مشتهر
وانفل من أهواه في جيش البكر	فبت محزوناً كأني لم أزر

* واحسرتنا لليلنا كيف انحسر *

(١) المحصف : المحكم ، أو المبعد .

(٢) زار غرر : أي على حين غفلة .

وقال [من المتقارب] :

عذارك جادت عليه الرياض بأجفانها وبآماقها
وطال غرام الغواني به فقد طرّزته بأحداقها

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمال في الأقطار كلّ بدرٍ مطرّزٌ بعذارٍ
قد أرانا عقارب الشعر من خدّ به تأوي مكامن الجلنار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفضّ الغزال جفون الغزل وقد فضح الكحل فيها الكحل^(١)
ولا وجني الورد في وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسرع الألحاح تخطف وردةً من خدّه إلا عثرن بخاله
مذ نقبوه وزرّفنوا أصداغه ختموا بغاليةٍ على أقاله^(٢)

وقال [من الرجز] :

تعرّض الشعر لعارضيّه وأطلق العشاق من يديه
كأن الصبا يهتزّ في عطفه والحسن تجري خيله إليه^(٣)
حتى إذا أبصر وجنتيه حجبنا بمثل حاجبيه
جاد عذاريه بعبرتيه كأنما يغسل من خديّه

* صحيفة قد كتبت عليه *

(١) يفض : يفت .

(٢) الزرّفين : حلقة للباب ، والغالية : وعاء الطيب .

(٣) عطفية : جانبه .

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل] :

عَلَقْتُ مَفْتَرَسَ الضَّرَاغِمِ فَارْساً	رَحِبَ الْمَدَى وَالصَّدْرَ وَالْمِيدَانَ
قَمَرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ تَشْهَدُ أَنَّهُ	الْخُودُ الْحَصَانُ عَلَى أَقْبَحِ حَصَانٍ ^(١)
الْبَدْرُ فِي ظِلِّ الْغَمَامَةِ وَالنَّقَا	فِي سَرْجِهِ وَالْغَصْنُ فِي الْخَفْتَانِ
أَلْفَتْ طَرَّتَهُ وَغَرَّتَهُ وَمَا	كَانَ الدَّجَى وَالصَّبْحُ يَأْتِلِفَانِ
وَرَمَى بِلِحْظِهِ الْقُلُوبَ وَسَهْمَهُ	فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَشَابَهَ السَّهْمَانِ
بَطْلٌ حَمَائِلُهُ كَعَارِضِهِ وَحَا	جِبَهُ الْأَزْجِ كَقَوْسِهِ الْمَرْنَانِ ^(٢)
حَيَّتَهُ فِدْنَا وَأَمْطَرَ رَاحَتِي	قَبْلاً فَلَيْتَ فَمَيَّ مَكَانَ بَنَانِي
وَخَدَعْتَهُ بِالْكَأْسِ حَتَّى ارْتَضَى لِي	وَدَرَأْتُ عَنِّي الْحَدَّ بِالْكَتْمَانِ ^(٣)
وَالْمَرْءَ مَا شَغَلْتَهُ فَرَصَةٌ لَذَّةٌ	نَاسِي الْعَوَاقِبَ آمِنَ الْحَدَثَانِ

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وَأَعْرَضَتْ إِذْ رَأَتْ فِي عَارِضِي دُرّاً	مَنْظُومَةً مَعَهَا الْأَحْزَانُ تَنْتَضِمُ
وَلِلصَّبَابَةِ قَوْمٌ لَا يَسْرَهُمْ	أَنْ يَلْبَسُوا الْوَشْيَ إِلَّا تَحْتَهُ سَقَمُ
أَشْتَاقُ أَهْلِي لَظْبِي بَيْنَ أَرْحَلِهِمْ	وَالْحُبُّ يُوَصِّلُ إِذْ لَا تُوَصِّلُ الرَّحِمُ

ومن أخرى [من البسيط] :

مَا ضَنَّ عَنْكَ بِمَوْجُودٍ وَلَا بَخْلًا	أَعَزَّ مَا عِنْدَهُ النَّفْسُ الَّتِي بَذَلَا
يُحْكِي الْمَطَايَا حَنِيناً وَالْهَجِيرَ جَوًى	وَالْمَزْنَ دُمْعاً وَأَطْلَالَ الدِّيَارِ بَلَى

(١) الخود الحصان : المرأة الجميلة العفيفة . والحصان الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر .

(٢) الأزج : الرقيق في الطول . والمرنان هنا : ذات الصوت ، ويقال على القوس ، تسمى بذلك الرنين صوتها .

(٣) درأت : منعت وتوقيت .

ومن أخرى [من البسيط]:

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع
صحيّته والصّبَا يغري الصبابة بي
أيام لا النوم في أجفاننا خلُسُ
وليلة لا ينال الفكر آخرها
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي
أحييتها ونديمي في الدحا أملُ
حتى تبسم إعجاباً بزيتته

لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمعُ
والوصل طفلٌ غريُّ والهوى يفع^(١)
ولا الزيارة من أحبابنا لمع
كأنما طرفاها الصبر والجزع
ورايتي اللهو واللذات لي شيع^(٢)
رحب الذرى وسميري خاطر صنع^(٣)
لفظٌ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل]:

رسولي إذا لم يغشهنّ رسول
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلُ
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا

صبأً وقبولٌ بل صبأً وقبولُ
وحدّ سوى حد الحسام صقيل
بنأيٍ ولكن المحبّ حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل]:

وما عشت من بعد الأجرة سلوةً
ولكنّني للنائبات حمول

ومن أخرى [من الخفيف]:

أنوارٌ وأين دار نُوار
ذات صدغٍ من البنفسج قدما

أظلم الناس في أشطّ الديار
ل على وجنة من الجلنار

(١) اليفع : الناشئ الحدث

(٢) شيع : أتباع.

(٣) الدحا : السعة ، والدفع ، والبسط .

ومن أخرى [من الوافر] :

وبغيرني بذكر الربع غيدُ به صيدٌ وحوور فيه عينُ
سَلَلْنَ من الحداق السود بيضاً فما ندري قيانُ أم قيون^(١)

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النارج [من الوافر] :

أَتَنَشِطُ للصُّبُوحِ أبا عليٍّ على حكم المنى ورضا الصديق^(٢)
بنهر للرياح عليه درع تَذَهَّبُ بالغروب وبالشروق
إذا اصْفَرَّتْ عليه الشمس صبَّتْ على أمواجه ماء الخلق^(٣)
وقفت به فكم خدٌ رقيقٍ يغازلني على قدٍ رشيق
وجمر شبٍّ في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق^(٤)
فذهُم الخيل في ميدان تبرٍ يصاغ لها كراتٌ من عقيق
فهل لك في ختام المسك فضتٌ نوافجه ومختوم الرحيق^(٥)

وكتب إليه في وصف الجلنار [من الوافر] :

أَحْنُ إلى لقاء أبي عليٍّ ويأبى أن يحنَّ إلى جوارِي
وقد جلبتُ علينا الراح حتى مللنا جلوة البيض العذاري
وصفَّرَ أوجهَ العذالِ يومَ وجوه شموسة تحكي اصفرارِي

(١) القيون : الحدادين والصناع .

(٢) الصُّبُوح : شرب الخمرة صباحاً .

(٣) الخلق : الطيب .

(٤) شبٍّ : اتَّقَد واضطرم .

(٥) النوافج : أوعية الطيب .

ونهرٌ تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار^(١)
كأن الماء أرض من لجين مغشاة صفائح من نضار
وأشجارٌ محملةٌ كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءً وهبن له نجوم الجلنار
فزرننا إن نار الراح تكفي السندامى خيفتي عارٍ ونارٍ
وقال في الدير الذي بقنطرة النوبندجان ، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر
ورموا البنادق [من الطويل] :

أقنطرة النوبندجان وديرها وحرور مهى لا تألف الحور غيرها
شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تشرطيرها
كتب يستهدي الشراب [من البسيط] :

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي وما شككت بأنني سوف أغتبق^(٢)
فقد كتبت إلى أن خانني قلبي وقد ترددت حتى ملّني الطرقُ
أنت امرؤٌ جوده غمرٌ ونائله همزٌ ووبل نداه مسبلٌ غدق^(٣)
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه منّي قريضٌ ومنك العرف والخلق
وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر] :

أظنّ اليوم يهطل بالمدام فإن الأفق محمرّ الغمام
وما عودت حمل الكأس إلّا على سكر الكروم او الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادي بالحسام

(١) النمير : العذب الزلال .

(٢) أغتبق : أشرب الخمرة مساءً .

(٣) غمرٌ : كثير ، وهمزٌ : متابع .

إذا طلعتْ شمسُ الراح فينا وهبنا كلَّ مسرجة اللجام
أبحر الجود في بحر الأمانى وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي وصيرَه الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميناً من الحجب المفضض في لجام^(١)
تحيينا بذكرك وانتقلنا بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي ونار الراح مشعلةً أمامي
جفون المزن مذ عدمت بوائك لرحمتنا وخذَّ الورد دامي
فأخِي بها فتىً أحلى مناه تقدّم من فداك إلى الحمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتا منها [من الكامل] :

يوماً لبست به الخلاعة حلّةً وسحبها فسحبت خير لباسٍ
في مجلسٍ زجل الغناء متوجّج الكاسات فيه مهذب الجلاس^(٢) لو أنها فظنت لشرب الكاس
والطير قد طربت بحسن غنائها أن لا تكون كغرة العباس
والشمس من حسد تغير لونها إما حضرت فأنت كلّ الناس
أنا لا أبالي من فقدت من الورى

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وظيفة من بنات الإنس في يدها ووجهها للصبا والحسن خاتام^(٣)
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن دررٍ لهنّ في ثغرها الفضّيّ أتوام^(٤)
وزارت الروض منها مقلتان لها وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبري صائغةً والماء للحبب الدريّ نظام

(١) الكميت : الحصان الذي يميل لونه الى الحمرة مع السواد .

(٢) الزجل : الذي يرفع صوته بالغناء والطرب .

(٣) الخاتام : لغة في الخاتم ، وقال الراجز . يا هال ذات الجورب المنشقّ أخذت خاتامي بغير حقّ .

(٤) الأتوام : جمع تومة وهي الكبيرة من اللؤلؤ .

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا كأننا في حجور الروض أيتام^(١)
هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة .

وقال من أخرى [من المتقارب] :

نفرغ أكياسنا في الكؤوس نبيع العقار ونشري العقارا^(٢)
حمدنا الهوى ونسينا الفراق ومن يشرب الخمر ينس الخمارا
ومن أخرى [من الخفيف] :

اشربا واسقيا فتىً يصحب الأيام نفساً كثيرة الأوطار^(٣)
والنفوس الكبار تأنف للسا دة أن يشربوا بغير الكبار
في جوار الصبا نحلّ بيوتاً عمرت بالغصون والأقمار
ونصلّي على أذان الطنابير ونصغي لنغمة الأوتار
بين قومٍ إمامهم ساجدٌ للكأس أو راکعٌ على المزمار
ومن أخرى [من الكامل] :

نسب الرياض إلى الغمام شريف	ومحلّها عند النسيم لطيفٌ
فاشرب وثقلْ وزن جامك إنّه	يومٌ على قلب الزمان خفيف ^(٤)
أو ما ترى طرز البروق وتوسّطتْ	أفقاً كأن المزن فيه شفوف
واليوم من خجل الشقيق مضرجٌ	خجلٌ، ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرسٌ والرياض سطوره	والزهر شكلٌ بينها وحروف
وكأنّما الدولاب ضلّ طريقه	فتراه ليس يزول وهو يطوف

(١) الحجور : جمع حجر وهو الحضن والمأوى .

(٢) العقار الأول : بفتح أوله هو المال الثابت كالدور، والعقار الثاني بضمّ أوله : وهو الخمر .

(٣) الأوطار : الحاجات .

(٤) الجام : الكأس من الفضة .

ومن أخرى [من الطويل] :

ولباسه حلى الشباب لعوبة بطرق الهوى عقادة للزمائم
غزال صريم في رجوم صوارم وبدر تمام في نجوم تمائم^(١)
وكان رقادي بين كأس وروضة فصار سهادي بين طرف وصارم
ولولا نسيب مطرب من قصائدي لما احتال طيف في زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل] :

أنسيم هل للصلح عندك موضع فيزور طيف أو تهب نسيم
والشيب دونك وهو موت مضمّر والهجر وهو تفرّق مكتوم
بينني وبين الراح مثل حبابها دمع على وجناتها منظوم

ومن أخرى [من الطويل] :

وقد خالط الفجر الظلام كما التقى على روضة خضراء وردّ وأدهم
وعهدي بها والليل ساق ووصلنا عقار وفوها الكأس أو كأسها فم
إلى أن بدرنا بالنجوم وغربها يفضّ عقود الدرّ والشرق ينظم^(٢)
ونبّهت فتيان الصبوح للذّة فلبّوا وما فيهم سوى الليل محرم
وفي كلّ كأس للندامى بقية تلوح كدينار يغطيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجّهاً إلى العراق، فقال له :
قل في الشعب، فقد سمعت ما قال المتنبّي، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط] :

(١) العريم : بفتح الصاد - القطعة العظيمة من الرمل .

(٢) بدرنا : أسرعنا وعجلنا .

اشرب على الشَّعب واحلل روضة أنفا
 إذ ألبس الهيف من أغصانه حلاًلاً
 وأثمرت حسن الأغصان ثمرةً
 والماء يثني على أعطافه أزرا
 والشمس تخرق من أشجارها طرفاً
 من قائلٍ نسجت درعاً مفضضةً
 ظلّت نزفٌ له الدنيا محاسنها
 من عارضٍ وكفا ، أو طائرٍ هتفا ،
 هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن ابا تمام قال [من

الطويل] :

يقول فيسمع ، ويمشي فيسرع ،
 ويضرب في ذات الإله فيوجع

رجع :

ولست أحصي حصى الياقوت فيه ولا
 يظنّ من وقفت فيه الشجون به
 تعسف الشوق فيه كلّ ذي شجنٍ
 فاحلل عرّى الهم واشربها مشعشةً
 ماذا يقول لك المدّاح ؟ قد نفدت
 لم يبق لي حيلةٌ إلاّ الدعاء فإنّ
 درأً أصادفه في مائه صدفا
 أنّ الصبابة شابت والهوى خرفا
 والشوق ألطفه ما كان معتسفاً^(١)
 رقّ النسيم مبارأةً لها وصفا
 فيك المعاني وبحر اللفظ قد نزفاً^(٢)
 يسمع ظللت عليه الدهر معتكفاً

(١) الشغف : الحبّ والميل .

(٢) الشئف : الحليّ تلبس في الأذان .

(٣) وكف : هطل .

(٤) العسف : الظلم والشجن : الحزن .

(٥) نزف : أي لم يبق منه شيء .

وقال من قصيدة سذقية في أبي الفوارس وأبي دلف [من البسيط] :

ما زلت أشتاق ناراً أوقدتُ لهما حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسودٍ من ذوائبها قد عطّ فيها قناع التبر واستلبا^(١)
قد كللتُ عنبراً بالمسك ممتزجاً وطوقت جلناراً واكتست ذهباً
فالنور يعلب في أطرافها مرحاً والخمر يرعد في أكفافها رهبا
وطار عنها شرارٌ لو جرى معه برقٌ دنا أو تلقى كوكبا لكبا^(٢)
لو كان وقت نثارٍ خلته درراً أو كان وقت انتصارٍ خلته شهبا^(٣)
والليل عريان فيه من ملابسه نشوان قد شقّ أثواب الدجى طربا
أقسمت بالطرف لو أشرفت حين خبتُ جعلت أنفـس أعضائي لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونلوالفجر يضحك بي الشر ق إلينا مبشراً بالصباح
والثريا كراية أو كجامٍ أو بنان أو طائر أو وشاح
وكان النجوم في يد ساقٍ تهاوى تهاوى الأقداح
وجمعنا بين اللواحظ والرا ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى طالعنا من الثغور الأقاح
زمن فات بين بهو وشربٍ وغناء وراحة وارتياح
معقلي نهر معقل فإن ارتحلت إلى منزل فدير نجاح ار مصروفة أو الملاح
وحياتي بما حوَّته إلى الخمِّ ن ويحكيهما نديمي وراحي^(٤)
مركبي مثل لمّتي أدهم جو

(١) عطّ : شقّ.

(٢) كبا : سقط وتعثر.

(٣) النثار : ما ينثر من الذهب .

(٤) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

مركبة السفينة والزورق وهما أسودان ، ولمته سوداء لأنه شاب ، ونديمه اسود
لأنه عربي ، ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود .

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضي ، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء
استتر به [من الكامل] :

ما زال بي مهر الشبيبة جامحاً	حتى حملت على المشيب الكابي ^(١)
فسمعت أقبح ما سمعت نداءها	ما بال هذا الأثيب المتصابي
إنني حلفت بربٍّ أشرف كعبةٍ	في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجررٍ	فضل الإزار مسحَّ سحب
وبمصرع الدنّ الجريح وحرمة الـ	وتر الفصيح وذمة المضرب
ومتى حلفت بمثلها متأولاً	فصدقت بالأزلام والأنصاب ^(٢)
وأنا دعيّ في البلاغة ملصق	في الشعر منسلخ عن الآداب
ويباع في الأكراد شعري إنّه	يغلو إذا ما بيع في الأعراب
لقد ارتقت تبغي أبا الحسن العلي	يطمحن منه إلى الأبيّ الأبي
الموسويّ الناصريّ أبوة	وخولة علوية الأنساب
في حيث أرثت النبوة نارها	فخبا لنور الحقّ كلُّ شهاب ^(٣)
لا أدعي لك ، إنما بك أدعي	أتني وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم قريشا رفعة	وأقرّ عين قصيها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم	متردددين إليك في الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم	وغدا وجودك أشرف الأنساب
ألسان هاشمٍ الذي بغروبه	تفري وناظر غالب الغلاب

(١) الجامح : الشرود ، والكابي : الذي يحدّ من نزوة الشباب وجهوحه ، وكبا الفرس سقط .

(٢) الأزلام والأنصاب : ما كان يعبد في الجاهلية .

(٣) خبا : ضعف وانطفأ .

أشكو إليك عشيّة لم نفترق
ما كنت إلاّ جنّةً فارقتها
ودّعت دارك والسماء تجودني
ما زلت أركض في الوحول مبارياً
فجريت والعكاز أخصر شكّتي
ورأيت غالية الطريق ومسكه
وحمى كساؤك لا عدمت معيره
فوليت يا بحر السماحة كسوتي
غيثان هذا ابن الذي من أجله
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـ
وخريدة عذراء رحت أزفها
جاءتك يحملها الجمال، وربّما
أهديتها خجلاً إلى متغلغل الـ
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي الـ
ضمن الحسين له وموسى رتبةً
انظر بعين رضا إلى ما صغته
وتجاوز الخطأ الشنيع وأخفّه
واجهر إذا أنشدتها في محفلٍ

فيها على مللٍ ولا استعتاب
كرهاً فصبّ عليّ سوط عذاب
بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
فيها الخيول لواحق الأقارب^(١)
قصرأ ولكنّي أعزّ ركابي^(٢)
طيناً معدّاً لي على الأثواب^(٣)
درّاعتي وعمامتي وجباي
وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
خلق السحاب وذا سليل سحاب
غشين ما بهما من التسكاب
ما بين ألفاظ شرفنّ عذاب
وقف الجباء بها دوّين الباب
أفكار محصد مرة الآداب^(٤)
إعراب حين يفوه والإغراب
في الفضل نافرة عن الخطّاب
وأعره سمع مسامحٍ وهّاب
عن ناظر المتفهيّق المغتاب^(٥)
فعثرت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء [من مجزوء الكامل] :

-
- (١) مبارياً : مسابقاً .
(٢) الأخصر : الأوجز والشكّة : السلاح .
(٣) الغالية : أخلاط الطيب .
(٤) المزة : القتل والإحكام في الصنع .
(٥) المتفهيّق : المتكبر المتوسّع في تأويل الكلام .

عدل الحبيب فمن يجور ودنا فأين بنا يسيرُ
عَوَضْتَ من عيسٍ تدور ربي الفلا كأساً تدور^(١)
وشربت ما وسع الصغير وزدت ما حمل الكبير
نَبَّهْتَ ندماني وقد عبرتُ بنا الشعري العبور
والبدر في أفق السماء كروضةٍ فيها غدير
هَبَّوْا فقد عَيَّ الرقيب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليسُ فقلنا كلُّنا نَعْمَ المشير
صرعى بمعركةٍ تعفَّ الوحش عنها والنسور
نَوَّارَ روضتنا خدود والغصون بها خصور
والعيش أستر ما يكو ن إذا تَهَتَّكَ الستور
هَبَّوْا إلى شرب المدام فائِماً الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيِّد الضقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنها فيه ضمير
وتظنّ تحت حبابها خدّاً تقبِّله ثغور
حتى سجدنا والإمام أماناً مثني وزير^(٢)
وإذا صحنونا فاللسان للعذب والفكر الغزير
نفتضّ معنىً أو يولّد بيننا مثلاً يسير
أو يمدح الملك الجليل السيّد الفرد الخطير
ما عزه شيءٌ بغاه فكيف أعوزه النظير^(٣)

ومنها :

(١) العيس : النوق .

(٢) مثني وزير : من أوتار العود .

(٣) النظير : المثل .

وغداة أنسٍ بشرتـك بها المعازف والخمور
 إذا ماء غشنا والأرض تربتها عير
 تغري بصبّ الماء يا ملكاً أنامله بحور
 ويقول سيبك هكذا صبت على العافي البدور^(١)
 ويقول سيفك هكذا تجري ، إذا غضب ، النحور
 هيات تبسم الثغور ولم تسدّ بك الثغور
 قد أذعنت أرض العد و وجاء بالنصر البشير
 هذي الأمانى لي عبيدٌ والسرور معي أجير
 لا قيته فغضضت طر في إذا بدا القمر المنير
 وجررت أذيالي بمجلسة وقلت فمن جرير
 وكان عاماً عشته في ظلّه يومٌ قصير

وقال يصف الفقاعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر]:

شغفت بداية لي أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناعُ
 ياردة المجسّ وما اقشعرتُ معصبةً وليس بها صداد^(٢)
 تمنع أو تحل ذؤابتها ويحسر عن مفارقها القناع
 وقال يصف سوداء [من البسيط]:

يا رب غانية بيضاء تصحبنى من العتاب كؤوساً ليس تنساغُ
 أشتاق طرّتها أم صدغها ومعى من كلها طررٌ سودٌ وأصداغ
 كأننا لا أتاح الله فرقنا يا لعبة المسك بازٍ تحته زاغ^(٣)

(١) السيب : العطاء ، والعافي : الفقير .

(٢) المجسّ : التحسّس باليد .

(٣) الزاغ : غراب صغير إلى البيضاء .

وأمره عضدة الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من الكامل] :

مرقومة الجنبات بالبدع التي لم يهدھا قط الربيع لروضة
كتمت روائحها فلما عدّبتُ بالنار فاح نسيمها فأقرّت
وكأنّما الملك الأجلّ السيد المنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكى مجامرھا بنار ذكائه وغدا الدخان على علو الهمّة^(١)

وقال من قصيدة عضدية سذقية [من الطويل] :

ولم تری الأوضح في دھمة الدجى	ومنشؤها بالناظرين رفيق ^٢
دخاناً سخاميّ الصفات شراره	بروق وعقد الريح فيه وثيق ^(٣)
وليلاً كيوم الوصل أمّا رياضه	فزهراً وأما مسكه ففتيق ^(٤)
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهرٌ	ودجلة روضٌ طرّاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاهها وعبراً	تراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار	ولا ذهباً صيغ منه جبلٌ
إلى أن جرت دجلة في الشعاع	وطنّب بالنور أعلى القلّل ^(١)
سحاب الدخان وبرق الشرار	ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا	ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضاء	فذهب النور حتى اشتعل

(١) المجامر : المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور .

(٢) السخام : السواد .

(٣) الفتيق : المشرق .

(٤) طنّب : أضيء بأشعة النور التي هي كالجبال ، والقلل : أعالي الجبال .

وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه [من الطويل] :

إليك بعثناها شوارد ضمنت	معاني لولاها لما شرف الشعر
عروساً ولكن زوجت بنت ليلة	مخدرة لكن فكري لها خدر ^(١)
إذا قال جسمي تستحل بحلة	تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به لا الدهم فازت بلونه	ولا البرش خازت بردتيه ولا الصفر
كميت تذال الشهب والبلق إن بدا	وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه	ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر ^(٢)
فغرته مبيضة وحجوله	ولكن أريقت فوق سائره الخمر ^(٣)
وأسبق من عاف إليك وشاعر	قوافيه أفراد محجلة غر
فلوشامه في أرض فارس فارس	لما أمسيا إلا ومصر له مصر ^(٤)
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله	وبالدم تسقى والنزال لها ضمير

وقال من أخرى في وصف السكر المبني بشيراز [من الطويل] :

على نهر سل في دجى الليل من رأى	كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى	به العين إلا الثلج مستودعاً جمرا
ثري قد أعاد الليل مسكاً عبيره	وماء أعاد البدر فضته تبرأ

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح] :

جملة أمري أني ركبت إلى دارك - لما أتيتها - الخطرا
لبست درأعتي وعمتي السخز فصارا كما ترى حبرا

(١) الخدر : الستار .

(٢) الغمر : الكثير .

(٣) الحجول : بياض الوجه .

(٤) شامه : أبصره وتطلع إليه .

أصبحت في الطين عققاً بلقاً وإن تعرّيت خلثني نمراً^(١)

ومن أخرى في وصف عمامة [من البسيط] :

حسنا صافيةً بيضاء صافية كأنّ رونقها في صارمٍ ذكر^(٢)
يزين أطرافها طرزٌ كما رقت على المجرة طرز الأنجم الزهر

وقال في وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لوننٍ واحد وهو طائر أغرٌ محشيّ الطيلسان مُدَبَّجٌ
ملوّنة أبراده وهو واقعٌ إذا حك أعلى رأسه فكأنما
وسود المنايا في حشاه ودائع يسالفتيه من يديه جوامع
ويخفي على الأقران ما هو صانع يخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلاً
عليه فباء زيتته الوشائع بدا فارسيّ الزيّ يعقد خصره
ومثره التبريّ أصفر فاقع^(٣) فمعجره الورديّ أحمر ناصعٌ
ويسقي كؤوساً ملؤها السم ناقع^(٤) يرجع ألحان الغريض ومعبّد

* * *

غرر من محدّاحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك العاصي فتحويهما أيدي وأعناقُ
في كلّ يوم لبيت المجد منك غنى وثروة، ولبيت المال إملاق^(٥)

(١) العقق : طائر كالغراب ذولونين أبيض وأسود طويل الذنب . والبلق : ما كان في لونه سوادٌ وبياض .

(٢) الضافية : الطويلة . والذكر : القاطع .

(٣) المعجر : الرداء والثوب .

(٤) الغريض ومعبّد : من كبار المغنّين ، والناقع : القاتل .

(٥) الإملاق : الفقر والعفاء .

كم خضت في لجة كالبحر زاحرة
 في فتية من ليوث الحرب قد حفظت
 من كل بعل حياة لا يعاقدها
 أمام كل خميس كل يوم وغى
 رم أين شئت من الدنيا تنله فما
 من شك أنك مخلوق لتملكه
 فللسماء سماء من علاك وللآفاق من ذكرك المحمود آفاق

ومن أخرى [من البسيط]:

يا أهل لست بمشتاق إلى وطني
 أضحى يهنأ في الأضحى بمنزلة
 أصغر بأضحى في غير يوم وغى
 وإنما أنت لطف الله جسمه
 عدلت حتى هممنا أن نجور، وكم
 إن المسيح وقد بانته دلالة
 في كل ناحية لم ترعها أمم
 إن البلاد ومن فيها مروعة
 وما نبالي إذا ما كنت شاهدا
 عدها بنصرك أو قل سوف أدركها

حتى أرى خيل فناخسر بينكم
 لا العرب نالت مراقبها ولا العجم
 فما أضحيك إلا الخيل والبهم
 لنا وفي يدك الأرزاق والقسم
 من شاكراً نعماً في ضمنها نغم
 لولا هداه لما ضللت به الأمم
 الهدى منها يبعد والأذى أمم^(١)
 بها إليك وإن ما طلعتها قرم^(٢)
 إن غاب معتضد عنها ومعتصم
 فإن قولك في أمثالها قسم

(١) أرمق : أرواح .

(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق .

(٣) أمم : قريب .

(٤) القرم : الشهوة والشغف .

ومن أخرى [من الطويل] :

يشبهه المداح في البأس والندى لمن لو رآه كان أصغر خادماً
ففي جيشه خمسون ألفاً كعتير وأمضي وفي خزانه ألف حاتم
ومن أخرى [من البسيط] :

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما نصوغه فيك تهليلٌ وتحميدٌ
فعش أعش في ذري رحب ودم تدم الخيرات لي وابق يبق المجد والجود
وقال من أخرى يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت في حيطانه أشعاره
[من الكامل] :

فالروض عَقَّتِ الصِّبَا أصداغه والموج صَفَّتِ الشمال طراره^(١)
وأظنّ دجلة أسلمت ، أو ما رأيت الجسر يقطع وسطها زناره
وحكى بناء المجد فيها غارسٌ غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صوّر الفلك المدار كأنه أنشاه قبل كيانه وأداره
وبنى على شرف الثريا قصره وطحا على فلك النعائم داره^(٢)
فالشَّيد يصقل صانعوه لجينه والسَّاج ينقش مخلصوه نضاره^(٣)
شغلت خواطرنّا ولحظ عيوننا مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسعُ مثلاً إن خطرت بباله ونلّ السماء إذا بلغت دياره
ينسى العمالق واصفٌ أخباره ويهين مصرَ معدّدٌ أمصاره

(١) الطرار : جمع طره بضم الطاء ، وهو شفير النهر .

(٢) طحا : بسط ، والنعائم : من منازل القمر .

(٣) الشيد : ما تطل به الحائط من جصّ ونحوه والسَّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب وأسوده .

ومن أخرى في وصف الحرب ، وهو أحسن ما قيل فيها [من الكامل] :

يا سيف دين الله ما أرضى العدى	لو أن سيفك مثل عدلك يعدل
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى	إلا أطلّ عليه منهم أيطل ^(١)
فألروض من زهر النجوم مضرج	والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطير	والأرض فرشٌ بالجياد مخيل ^(٢)
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي	بين الفوارس أجدلٌ ومجدل ^(٣)
وسطور خيلك إنما ألفاتها	سمرٌ تنقُط بالدماء وتشكل ^(٤)

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن	قلب الندى وحشي السحاب تنزل
ولقد نثرت على الهوا أمثاله	ذا سجسج صافر وهذا سلسل ^(٥)
وكأنما ذهبي زرافاتنا	ترمي بأسهم فضة تتسلسل ^(٦)
من فوق كلّ ذؤابتين سحابة	أو بين كلّ اثنين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه	مع غير ماء الورد لا يتبدل ^(٧)
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترق	ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

(١) الأيطل : الخاصرة، قال الشاعر : «له أيطلا ظي» .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الأجدل : الصقر ، ومجدل : قتيل .

(٤) السمر : الرماح .

(٥) السجسج : المعتدل الطيّب .

(٦) الزرافات : هي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما أشبه ذلك .

(٧) أرقت : سكبت .

لم يدرِ حيٌّ وقد جاء البشير به
فزارها ليث غابِ فرسٌ
لما تطلَّع والرايات تكتمه
أعدى بإقباله من أهلها نفراً
فليهنها منه روض زهره درر
لاحظ أباك فهذي مصر معرضة
لكنهم ما نوا غدرأ ولا نقضوا
أيا أخا الجود وابن المجد لا بلد
فدى لجودك آمالي وسابقها
فالقائلون بطاءً عن مداي ، وإن
هم إذا خلطوا شعري بشعرهم

إنَّ الزمان لما نرجوه متَّسعٌ
وبدر تمُّ عليه التاج والخلع
في ظلها وشعاع الشمس مرتفع
لم يعلموا أن درَّ السعد يرتفع
فتن العقود ومزن قطره دفع
وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
عهداً ولا أضمروا غلاً ولا ابتدعوا^(١)
إلاَّ بذرك أو بالسيف يفتزع^(٢)
ومطمعٌ من بحار الشعر ممتنع
أبدعت معنى فهم في أخذه سرع
كالطير يهزون أو يحكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان
فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً
ودعا الملوك فلم يلبَّ دعاءه
عظمت أمر الله في تعظيمه
وافاك في برد النبي محمداً
يشكو إلى الإسلام وخط مشيه
حتى بدا عضد الهدى وكأنما
حتى إذا أبدى الإمام أمامه

لك شوقه المطوي في أسرارهِ
إلاَّ أحقهم بدار قراره
وأقمت دين الله في استحضاره
بهدي النبي وسمته ووقاره^(٣)
ما كلَّفته الترك من أسفاره
كان الخضاب أحال شيب عذاره
ملكاً كبدر التسم في أنواره

(١) الغلّ : الحقد .

(٢) يفتزع : يفتح .

(٣) برد النبي : عباءته .

خلنا على الكرسي لثأ غابه سمر القنا نبتت بفيض بحاره
وغداة ظلت مساير الإقبال في خلع الإمام وطوقه وسواره
متسوراً بأهله متطوقاً بالشمس أو بالبدر أو بإطاره
في خلعة صبغ الشباب بلونها فالخلق قد جبلوا على إثاره
هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك

* * *

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]:
ركوب الهول أركبك المذاكي ولبس الدرع ألبسك الغلائل^(١)
ويومك ضامن لغد علواً وعامك ملحق بشري بقابل
وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من
عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب]:

ولما وقفت أمام الإلمم تأخر خلصانه والشيعة^(٢)
دنوت إلى تاجه والسرير فهذا تعالى وذاك اتسع
وضاحك برد النبي القضيـب أنساً بخوضك فيما شرع
سفرت فتيمة ما رأى وقلت فأطربه ما سمع
وأثنت فضائلك الباهرات على ملك الدهر فيما اصطنع
طلعت فكنت كنجم الصبا ح دل على الشمس لما طلع
ومن كلف الدهر أمثالكم فقد كلف الدهر ما لم يسع^(٣)

(١) المذاكي : جياذ الخيل .

(٢) الخلصان : الأصدقاء المخلصون .

(٣) يسع : يستطع ويقدر .

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمّت وسدت فالجدوى انتهاب إذا زرناك والمدح اقتضابُ
أخزانُ وما أبقيت مالا ؟ وأبوابُ وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدة [من الخفيف] :

وإذا هنىء الملوك فصبّحت من العيد أسعد التهئات
وفداك المحل فالنحر في أر ض منى والمهل في عرفات
وتعجّلت أجر من خلع الإحرام عنه الأظمار في الميقات^(١)
وأجاب الإله فيك دعائي غافر الذنب سامع الأصوات
زرتة والغنى مني ويدي قد أتعب الناس عهدا بالصّلات
فكأنني ملكة ناصية الدهر فصرّفتها على شهواتي^(٢)

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فما أرى في العالمين سوى سعيدٍ يسلمُ
وله من الحسن البديع برافعٌ وعليه من بشر السماحة ميسم^(٣)
عبقُ به مسك الثناء تكاد في النّادي نوافج ذكره تتكلم^(٤)

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه يا شقوة المتشبهين بأحمدٍ
يشرون مثل جواده وعبيده أفيقدرون على ابتياع السؤدد^(٥)

(١) الأظمار : جمع طمر وهو الثوب .

(٢) الناصية : أعلى الشيء ، وهنا يريد أنه ملوك قياده .

(٣) الميسم : العلامة والطابع .

(٤) النوافج : أوعية الطيب .

(٥) السؤدد : المجد والرفعة .

ومن أخرى [من الخفيف] :

هو بحرٌ من مائة ذائب التبر وأدنى أحجاره الياقوتُ
لي طعامٌ من داره وشرابٌ ومقيلٌ في ظله ومبيت^(١)

ومن أخرى [من البسيط] :

أقبلُ عليَّ وقلُ ضيفي ومتبَّعي وشاعري قاصدي راجيٌ ممّتاري^(٢)
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الدنيا فأين أفضي بعض أوطاري

ومن أخرى [من المتقارب] :

أفارق بغداد لا عن قلبي وأسري إليّ البين لا عن كرم
أروح وأغدو ولي قائدا ن عزّ الأياء وذُلّ العدم^(٣)
وأرجو فتىً مكرم للندى كما رجّت الأرض صوبُ الديم

ومن أخرى [من البسيط] :

ليس الوزارة إلاّ عندكم ولكم ولا مغارسها إلاّ بدوركم
لو أنصفت كلّ أرضٍ في منابتها لكان في أرض قمّ نبت الكرم

* * *

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل] :

أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهرٍ لا تعلمون بما أقيم تجملي^(٤)

(١) المقيل : حيث القيلولة وقت الظهر

(٢) ممّتاري : قاصدٌ خيرٍ وطعامي .

(٣) العدم : الفقر.

(٤) التجمّل : التصبر والتحمل.

قد بعث حتى بعث طرفاً قائماً
ورهننت حتى قد رهننت منادمي
فرأيت حالة حاسديك كحالي
ومن أخرى [من الوافر]:

تحت القدور على ثلاثة أرجل
ومناشدي ومذكري ومعللي
ورأيت منزل حاسيدي كمزلي

لبست العدم حتى صار ذيلي
وكادحت المطالب بعد ضرر
فقد أوقدت صندوقي ثيابي
فهل في الناس يا للناس حر
أريد أخي إذا مائل عرشي
فأما حين يصلح بعض حالي
ومن أخرى [من الوافر]:

يضيق تقلبي فيه كزيقي^(١)
ودارأت المعيشة بعد ضيق^(٢)
وصب الماء في حبّ الدقيق
يبيض وجه ممتحن مضيق؟
وصرت إلى المعيشة في مضيق
فإنّ الناس كلّهم صديقي

قطعتكم برغم المجد شهراً
وكيف أزوركم والمزن تبكي
وكانت منزلاً طلق المحيا
وبحراً من عجائبه خلوصي
بناتي كالضفادع في ثراها
أنادي كلما ارتفعت سحب
حوالينا بذاك ولا علينا
تهافت ركع الجدران فيها

أشدّ عليّ من شهر الصيام
على داري بأربعة سجام
فصارت وادياً صعب المرام
إليكم ظامئاً والبحر طامي^(٣)
وأهلي في الروازن كالحمام^(٤)
فأبكتنا البوارق بابتسام
كفانا الله شرك من غمام
سجوداً للرعود بلا إمام

(١) الزيق : من القميص ، ما أحاط منه بالعنق .

(٢) كادحت : من الكدح وهو العمل والجد . ودارأت : من اذأر الشيء أي توقّاه وتلافاه .

(٣) الطامي : المتلاطم الزاخر .

(٤) الروازن : جمع روزنة ، وهي الكوة .

كَأَنَّ مَصُونٍ مَا أَحْرَزَتْ فِيهَا عَلَى أَبْوَابٍ مَشْرَعَةَ الْخِيَامِ
فَلَا بَابٌ يَرْدُ وَلَا جِدَارٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ عَنْ وَجْهِ حَرَامٍ
وَكَانَتْ جَنَّةُ الْفَرْدُوسِ عَادَتْ مَلَاعِبَ جَنَّةِ وُكُورِ هَامٍ^(١)
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْخَفِيفِ]:

زَرْتُ حَتَّى حَجَبْتُ وَانْتَقَبْتُ النَّاسَ نَقَابِينَ طَرَزًا بِاحْتِشَامٍ
إِنْ بَوَابُكَ الْقَصِيرِ طَوِيلُ السَّبَاعِ فِي سُوءِ عَشْرَتِي وَاهْتِضَامِي
هُوَ تَعْوِيذُ مَلِكِكَ الْبَارِعِ الْحُسْنِ وَشَيْطَانِ عَبْدِكَ الْمُسْتَضَامِ^(٢)
سَمَحَ الْوَجْهَ لَوْ غَدَا حَاجِبُ الْبَيْتِ كَفَرْنَا بِالْحَجِّ وَالْإِحْرَامِ^(٣)
وَمِنْ أُخْرَى فِي سَابُورِ الْوَزِيرِ يَشْكُو حَالَهُ وَسَقَطَهُ فِي سَكْرِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

مَحَاسِنُ غَضَّتْ نَاضِرِي مِنْ تَعْتَبًا وَفَضْلٌ نَهَانِي وَصَفَهُ أَنْ أَشْبِيَا
تَرَى كَبْرِيَاءَ الْمَلِكِ فَوْقَ جَبِينِهِ فَتَقْرَأُ سَطْرًا بِالْمَهَانَةِ مَعْرَبَا
وَلَيْسَ الَّذِي أَبَاؤُهُ وَجُدُودُهُ الْمَلُوكِ كَمَصْنُوعٍ إِذَا مَا تَنْسَبَا
فِيَا نَاضِرَ الْإِسْلَامِ هَلْ أَنْتَ نَاضِرٌ إِلَى خَادِمٍ أَثْنَى عَلَيْكَ وَأَطْنَبَا
إِلَى شَاعِرٍ نَادَى وَقَدْ فُغِرَ الرَّدَى لَهُ فَاهُ سَابُورٍ مَعِيَ فَتَهَيَّيَا^(٤)
أَلَمْ يَخْبِرَ الشَّرْبُ النَّشَاوِي بِقِصَّتِي وَلَمْ يَتَغَنَّ الرِّكْبُ بِي حِينَ أَهْدَبَا^(٥)
وَلَمْ تَتَحَدَّثْ فِي الْخُدُورِ بِسَقَطَتِي عَذَارَى يَقْلُبْنَ الْبَنَانَ الْمَخْضَبَا
فَدَى الشَّعْرَاءُ الشَّامِتُونَ بِقِصَّتِي فَتَى فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ يَطْلُعُ كَوَكْبَا
فَتَى لَمْ يَسِرْ إِلَّا الَّذِي صَاغَ أَوْ رَوَى وَإِنْ قَعَقَعَ الْمَغْرُورُ مِنْهُمْ وَأَجْلَبَا

(١) الْوُكُورُ: جَمْعُ وَكْرٍ، وَهُوَ الْخُبَاءُ.

(٢) الْمُسْتَضَامُ: الْمَظْلُومُ وَالْمُسْتَقْصَصُ حَقُّهُ.

(٣) الْبَيْتُ: يَعْنِي الْكَعْبَةُ الْمَشْرُفَةُ.

(٤) فُغِرَ: فَتَحَ. وَتَهَيَّيَ: فَرَعَ وَارْتَاعَ.

(٥) الْأَهْدَابُ: ضَرْبٌ مِنَ سَيْرِ الْخَيْلِ فِيهِ جَدٌّ.

أظنوا بأنني إن سقطت تكسرتُ
توهنَ جسمي فاشمتوا أو تجملوا
وكم سار شعراً قاعداً عنه ربّه
سلوا الموت عني كيف فللت غربه
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا
ودجلة تجلوفي المصنديل شاطئاً
وكانت لنا في جبهة الدهر ليلةٌ
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالما
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي
وصبراً على خير الخمار وشره
أروح وصبغ الراح يخضب راحتي
فلو بصرت عين الوزير بشاعري
رأى اللهو ميتاً والمجون ممدداً
وباكرني أشياخ قومي فأكثروا
يقولون لي تبّ لا تعود لمثلها
وكم قبلها قد متّ بالسكر مرةً
كذا أبداً إما تراني مجررا
ولكنّ على الأحرار حمل مؤونتي

فوافي أو عاودت فكري وقد أبى
ولكنّ غضباً بين فكيّ ما نبا^(١)
ودون قول من سطّيح وصوباً^(٢)
ونازعته نفسي وقد كرّ مغضبا
على نرجسٍ قبل الشبية شيّبا
يرقّ وطياراً يحفّ وربربا^(٣)
كهّمك لان العيش فيها وأخصبا
وأحسن فيها بعدما كان مذنبا
ويا سوءتا إنّ مركبي زلّ أو كبا
فلا عار إن خطبّ عليّ توثبا
بما قلت أهلاً للكؤوس ومرحبا^(٤)
وأغدو بعضو من دمي قد تخضباً
على مركب قد شأنه الله مركبا
صريعاً وجثمان السرور معذباً
فضول لعمري والأذى والتعجبا
وهيهات ضاع الوعظ عندي وخيباً
وعدت فكان العود أحلى وأطيبا
ذيوليّ سكرأ أو كسيرا مشعباً
إذا ذهبت بي نبوة الدهر مذهبا^(٥)

(١) النّاب : النّيف . ونبأ : فارق ، ويريد بالعضب هنا لسانه .

(٢) دون سجّل ، وسطّيح : أحد الكهنة في الجاهلية .

(٣) المصنديل : من الصندل وهو شجرٌ طيب الرائحة والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الغزلان .

(٤) الخمار : أثر الحمرة في الرأس .

(٥) النبوة : الجفوة .

ولما جفانسا من ألفنا وصاله
 رهنا وصرفنا وبعنا منادلا
 رأيت ابنتي قد أحرزت بعض حليها
 تجول خلاخيل النساء ولا أرى
 سلبت الجواري حليهن فلم تدع
 فقلت لها ظل الوزير يبيحنا
 إذا كان بدر الملك سابور طالعا
 وأخلف عام كان يرجى وأجدبا
 وحليا ومذخورا إلينا محببا
 فأنشدت تعريضاً لها وتشبها
 لرملة خلخالاً فقالت هيا أبا
 سواراً ولا طوقاً على النحر مذهباً
 جناباً إذا رضنا به الدهر أعتبا
 فلست أبالي بعده من تغياً

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف]:

لي فيك التي ترى البحتري أمـتار في نظمها أبا تمام
 فهي لفظ سهل ومعنى بدیع غرة الفكر درة [في] النظام
 كلما أنشدت شهدت بأن الشهر أمر مسلم للسلامي

ومن أخرى [من الكامل]:

وأزور دارك وهي آنس جنة فيفيض حولي من نداك الكوثر
 وأقول فيك فلا تفاخر طيء إلا وتسجد لي وتركع بحتر

ومن أخرى [من الطويل]:

وهنيئته وحيأ من الشعر لم يلق بألفاظ غيري عند غيرك درسه
 صحيفته قلبي إذا ما كتبه وأقلامه الأفكار والطبع نقشه^(١)

(١) النفس : الخبر.

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقافية منك أوضاحها ولكن لفظي فيها لمع
عراقية اللفظ شامية المحاسن علوية المصطنع
فيا واحد المجد صنفا فمن سوى واحد الشعر ما تسمع
مدحتك حتى بلغت المشيب وكنت بيابك دون اليق^(١)

وقال من أخرى [من الطويل] :

وأعطيت طبع البحري وشعره فمن بالي بمال البحري وعمره

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومة تحت حُضْن الدجى مقبلة بشفاه الأماني
تروق زهيرا أزهيرها ويعشو إلى ضوءها الأعشيان

ومن أخرى [من الوافر] :

وقد زعمت رواة الشعر أنني ملكت عنان أبلقه العقوق^(٢)

* * *

قد تمت - بحول الله تعالى وتيسيره - مراجعة الجزء الثاني من كتاب «يتيمة الدهر» ، في محاسن أهل العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري . ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث مفتتحا بترجمة «ابن سكرة الهاشمي» نسأل الله - جلّت قدرته - أن يعين على إكماله ، بمَنّه وفضله ، آمين .

(١) دون اليق : دون الشباب .

(٢) الأبلق العقوق : مثل يضرب لما لا يكون ولا يوجد قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي ، قال : لا ،

قال : ولعشيرتي فمثل معاوية :

طلب الأبلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الأنوق

فهرس

الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر »
 في محاسن أهل العصر ،
 لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

٣	الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور
٦	أحمد بن عبد ربه الأندلسي
١١	عبد الملك بن سعيد المرادي
١٢	الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس
١٣	يوسف بن هرون البطليوسي
١٤	عبد الله بن إسماعيل بن بدر
١٤	سعيد بن محمد بن فرح
١٥	يحيى بن عبد الملك بن هذيل
١٧	قاسم بن عبد الرحمن العجلي
١٧	محمد بن هشام بن سعد الخير
١٧	عبد الله بن حارث
١٨	عباس بن قرماس
١٨	أحمد بن محمد بن فرج
١٩	أبو الصخر عبد الله بن محمد
٢٠	زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية
٢١	فاتك الشهواجي
٢٢	أبو بكر إسماعيل بن بدر
٢٣	مؤمن بن سعيد بن إبراهيم
٢٤	الوزير أبو وهب عهد الوهاب بن محمد
٢٥	عبد الله بن محمد بن حسين بن طلحة العبسي

٢٦	محمد بن مطرق بن شخيص
٢٦	علي بن حنّان بن أخت النظام
٢٧	محمد بن عبيد بن الجناني
٢٧	أحمد بن أبي صفوان بن العباس بن عبد الله بن عمر بن مروان
٢٧	أغلب بن شعيب
٢٨	محمد بن سليمان الفاني الأكبر
٢٩	حسن بن محمد بن ربيع الفاني
٢٩	عبد الله بن بكر
٣٠	محمد بن حفص بن فرح
٣١	عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي
٣٢	محمد بن أحمد بن قادم
٣٤	محمد بن عبد العزيز العتيبي
٣٥	محمد بن مروان بن حرب
٣٥	المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي
٣٥	مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم
٣٦	أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم
٣٧	محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، المعروف بعرجون
٣٧	عيسى بن أبي جرثومة
٣٧	أحمد بن عبد الملك ابن مروان
٣٨	عيسى بن جوشن
٣٩	عبد الله بن سعيد الكاتب ، المعروف بأبن الأخرس
٣٩	عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر
٤٠	الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله
٤٠	عيسى بن عبد الملك بن قزمان
٤١	محمد بن عبد الجبار النظام
٤١	الوزير عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد
٥٨	غسان بن سعيد
٥٨	محمد بن يحيى النحوي ، المعروف بقلفاط
٥٨	شهيد بن المفضل
٥٩	منصور بن أبي الهول

٥٩	غريب بن سعيد
٦٠	إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي
٦١	محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي
٦٢	قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى
٦٢	أحمد بن نعيم
٦٢	سعيد بن محمد بن العاص المرواني
٦٣	عبدالله بن حمد بن عبيد الله بن حسان
٦٣	سعيد بن عباس
٦٤	عمر بن يوسف الحنطي
٦٤	يحيى بن عباد البصري
٦٤	الغزال بن الحكم
٦٥	يحيى بن زكريا بن شماس
٦٥	الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر
٦٥	الديك الندي مطرق بن محمود
٦٦	أحمد بن إبراهيم بن قلزم
٦٦	يربوع بن أسد المالقي
٦٦	الوزير أبو محمد غنائم المالقي
٦٧	غالب بن عبدالله بن عطية
٦٧	محمد بن أبي الحسن العروضي
٦٧	إسماعيل بن إسحاق المنادي
٦٨	محمد بن وافد
٦٨	خلف بن أيوب
٦٨	علي بن أحمد الأندلسي
٦٩	يحيى بن الفضل
٦٩	أبو بطال
٧٠	القرشي المعروف بالفرح
٧٠	إدريس بن عبدالله بن عباد الليزي
٧١	عثمان إبراهيم بن النضر
٧١	المنصور بن أبي عامر
٧٢	الوليد بن الحكم
٧٢	القاضي محمد بن عبدالله بن أيوب بن أبي عيسى

٧٣	محمد بن فطيس
٧٣	أحمد بن عبدالله بن أحمد اللؤلؤي
٧٤	أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه
٧٤	الحسن بن محمد بن بابل
٧٥	عبد النصير بن أحمد
٧٥	محمد بن أحمد العطار
٧٦	موسى بن أحمد ، المعروف بالوتد
٧٧	حبيب بن أحمد الشاعر
٧٧	أبو علي بن حسان الأسنجي
٧٨	أبو محمد الباجي
٧٨	عبد الرحمن بن عمرو الحجري
٧٨	عبد الملك بن خزعة
٧٩	أبو العباس المرداوي
٧٩	محمد بن وهيب البدسمي
٨٠	أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي
٨٢	محمد بن يحيى بن يعقوب
٨٢	الفقيه محمد بن عبدالله بن أبي رعين
٨٣	أحمد بن محمد بن عفيف
٨٤	محمد بن عمر بن عبدالله بن عبد العزيز ، المعروف بابن القوطية
٨٥	أحمد بن محمد بن عبد ربه
١١٤	أبو عمرو يوسف بن هرون ، المعروف بأبي سبيح
١١٧	عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري
١١٩	أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي ، المعروف بالقسطلي

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

١٣٧	السري بن أحمد الكندي ، المعروف بالرفاء
٢١٤	أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

- أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان ، المعروف بالخباز البلدي ٢٤٤
عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي ٢٥٠

القسم الثاني

في ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : في الملوك الشعراء منهم

- عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ٢٥٧
عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة ٢٦٠
تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة ٢٦١
أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة ٢٦٤

الباب الثاني

- في ذكر المهلبى الوزير ، وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره ٢٦٥

الباب الثالث

- في ذكر أبي إسحاق الصايي ، ومحاسن كلامه ٢٨٧

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

- أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ٣٦٩
أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي ٣٨٢
أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني ٣٨٧

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

٣٩٣ القاضي التنوخي أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم
٤٠٥ ابنه أبو علي المحسن بن القاضي [التنوخي]
٤٠٧ ابن لتكك البصري أبو الحسن محمد بن محمد
٤٢٠ ابنه أبو إسحاق إبراهيم
٤٢١ أبو عبدالله الحسين بن علي النمري
٤٢٤ المفجع البصري
٤٢٨ نصر بن أحمد الخيز أرزي
٤٣٢ أبو عاصم البصري
٤٣٢ أبو الحسين الظاهر البصري

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد

٤٣٥ ابن التار الواسطي
٤٣٦ أبو طاهر الواسطي ، المعروف بسيدوك
٤٣٧ أبو عبدالله الحامدي
٤٣٩ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم ، المعروف بالأنباري
٤٤١ أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب
٤٤٢ أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب
٤٤٣ أبو الورد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد

٤٤٧ ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة
٤٦٦ أبو الحسن محمد بن عبدالله السلامي